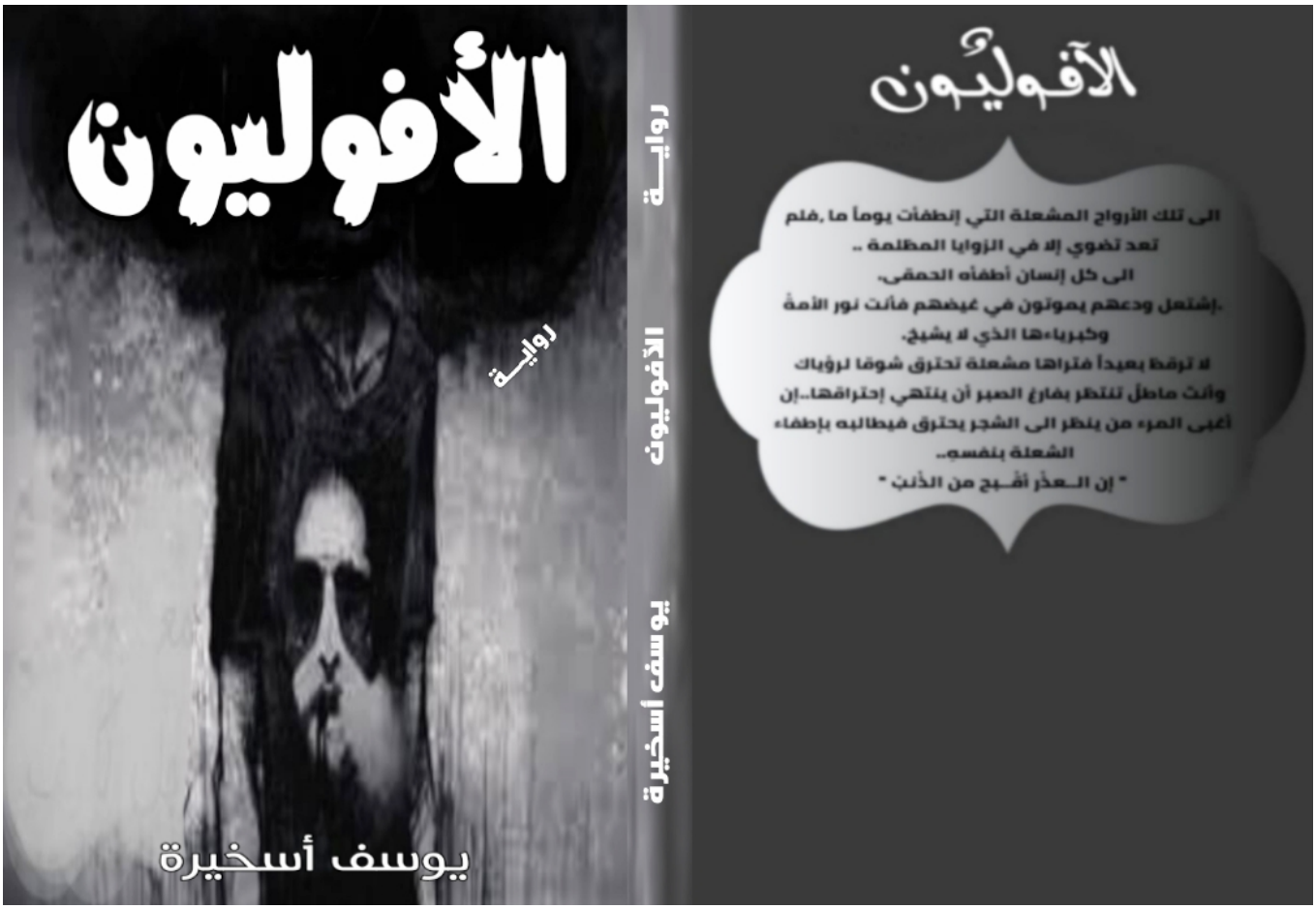
الأفوليون
رواية
يوسف أسخيرة
الآفوليُون
الى تلك الأرواح المشعلة التي إنطفأت يوماً ما ,فلم
تعد تضوي إلا في الزوايا المظلمة ..
الى كل إنسان أطفأه الحمقى،
.إشتعل ودعهم يموتون في غيضهم فأنت نور الأمة
وكبرياءها الذي لا يشيخ.
لا توقظ بعيداً فتراها مشعلة تحترق شوقا لرؤياك
وأنت ماطل تنتظر بفارغ الصبر أن ينتهي إحتراقها..إن
أغبى المرء من ينظر الى الشجر يحترق فيطالبه بإطفاء
الشعلة بنفسه..
" إن الـعذر أقـبح من الذنب "
رواية
الآفوليون
يوسف أسخيرة

الآفُـولِـيُـونْ

نحو

ـالــأرواحُ المَـغْدورة ـ

رواية

الجزء التـانـي

للكاتب يوسف أسخيرة

الى الإنسان غيري!

الآفولِيون،*الى تلك الأرواح المشعلة التي إنطفأت يوماً ما ،فلم تعد تضوي إلا في الزوايا المظلمة ..*

الى كل إنسان أطفأه الحمقى.

.إشتعل ودعهم يموتون في غيضهم فأنت نور الأمةْ وكبرياءها الذي لا يشيخ.

لا ترقظ بعيداً فتراها مشعلة تحترق شوقا لرؤياك وأنتَ ماطلٌ تنتظر بفارغ الصبر أن ينتهي إحتراقها..إن أغبى المرء من ينظر الى الشجر يحترق فيطالبه بإطفاء الشعلة بنفسهِ..

" إن الـعذْر أقْـبح من الذَّنبْ "

الى ذاك السيد العجوز الذي أخبرني أنني لن أنجو ،وكان على خطأ،فالنجاة من أولائك المحبطين الذين يستنزفون كل حيوية فينا،يتطلب القوة و العزيمة،وكلاهما لديْ، فقال شيخي مرة " فلو علمِ انسان لظَـل يَغلو بعلمهِ،فالجهل نعمة مثلها مثل المعرفة"،" فطالما تواجدتَ على هذه الأرض فستجد حتى وإن إغتشيت في القبر من يثمثم فوق رأسك يدعو لك بالجحيم،وفي الظاهر خلاصاً ونعيم.

الى أولائك النشَّالين الحمقى،الذين حاولو إحباطِ،والعزف على أوتاري،فها أنذا باقيٌ هناُ،فلست أود شكركم على لاشيء ،ولكني أحببتُ أن أذكر صنيعكم في ولاذة هاته الشخصية الشرسة التي أفتخر بأن أكونها .

الى شـّيخي (انـسـان عاقل فِيَـا).

والى كل شخص ناولني قلما عن غير قصد وعن قصد.

فشكرااا لكم يا من تنيرون ذروبنا:

♪♫♪♫

يوسف أسخيرة

عثـبَـةٌ مَهْجُورة:

أتريد حقًا أن أخربش لك مقدمة ،أخبرني كيف تَوَدُّها أن تكونْ،بريئة أم طائشة،صغيرة أم كبيرة،واقعية ام خيالية... ولماذا أسألك أصلا يا هذا ،فلست ستقرأها على كل حالْ،لماذا قد أتعب نفسي في تفكير بإحدى المقدمات الطائشة لأكسب رأيك،لنرى مثلا ها أنذا كَسِبْتُه وماذا بعدْ؟ لا شَـيءْ،سُخفٌ وبُؤسٌ لكل مِنَا.

أنتَ تحبُّ المختصر وأنا أيضًا،إذن لماذا نتشاجر على نشب مقدمة بائسة،على كل حال قد تقرأ التلات صفحات أولى من هاته الرواية لتنام من فرط بُطئها وقد لا تنام أبداً لإستحواذ المَلل على عَقلك الصغير،وفي حالةَ صبرت الى نهاية وأكملتها سأقول لك بكل فَخْر أني أبداً لا أطيق أمثالك،لأنه مهما كان ما يقرأه ليكمله حتى النهاية،فحقاً هاته الفصيلة تخيفني، لأنها تُدقق في التفاصيل ،فقد لا نجذ مشكلة مع أولائك الذين يضجرون من قراءة صفحة أولى من رواياتنا،ليضعوها جانباً بقولهم أنها مملة ومثعبة....المهم أنني سأتْعبك ،سأجعلك تَشقى طويلا في تتبعي لَتجذ نفسك في أخير ...ستراها وتقول" من هذا"،ستكون كذاك السجين الذي يشقى قبل خروجه ليجذ أنه مجبر على العودة الى زنزانته الجميلة التي إشتاق لقساوتها،وقد تكون شاكراً لي عندما أخبرك بهذا السر،الذي لن يعلمه غيرك، هاته الرواية هي لغْزٌ لم يَجِدْ أحد حلَّهُ،وأَشُكُّ في قدْرَتكِ على فهمه حتى ،ولكَيْ لا أُكُونَ غير عادِلْ سأعْطيك فرْصة لتَجذَ الحَلْ،لأعترف بعبقريتكَ يا عزيزي،فهاته الرواية قد لا تراها لغْزًا ولكنْ مع طول المسير ستجذ نفسكَ تتساءل من فْلانْ، ومن فلان،...ولماذا لم أفعل هذا ولم أفعل ذاك..

«لاَ تَـخْـدَعْك الـبدَايَات يَـا عزيزِي،فلربَّـما النِّـهايَـة أفْـضـل.»

الى من إستطاع تجاوز الفخْ :

سأقولها بكل صراحة اليومْ،لا تخفيك ملامحي ولا اسلوبي،فتلك المقدمة هي إختبار لكَ ولي،فإن أقنعتك وتركت هاته الرواية ذون أن تقرأها سأكون الرابح،لأني ببساطة غيرتُ فكرة في عقلك أنتْ،وإن أكملت الى النهاية سأكون الخاسر والرابح معاً،فقد أخبرك بشيء مفرح،وربما خيالي كما يفعلون عادة،ولكني لستُ شخصاً يلقي الى أصحابه السمومْ والكلام المعسولْ،فكل من يعرفني يعلم أني أبداً لا أتحدث إلا بالواقعْ ،والواقع حججي وإدعاءاتي..
إني متحمس حقا لأعرف رأيك وما ستقول بعذما ستنهي هاته الرواية..فإن كل رأي منكْ يبين عن شخصيتك ونفسيتكْ،فالذي يراها مملة ليس الذي يراها في نفسه .

"لا تقبع خلف النهاياتِ،تظن أن لا توجذ بذايةٌ،فإن كل نهاية تكون موصومة ببذايةِ،وغياب واحدة هو غياب أخرى "

الفـصـل الأول:

الرَسـائـل المنْـحرفَـة"

عندما تعثر على الشخص المطلوب،عليك أولا أن تفكر هل فيك المواصفات المطلوبة،لكي لا تعاني الهَـجْـرَ ،إسْـأَل ڤولـس كولكسيز عن شعُـور بالهَجرِ ؟
" تأكدْ دائما من أن رسالتك ستصل لأيدي المقصودةْ،فالطريق وعرةْ،وفيها أيادي ممدودة راغبةً في تشويهها"

**** على الجرفْ حيث تقبع البدايات:***

في قبيلة تدعى كوزاروف، بإحدى الجزر النائية ،كان يسكنها قلة من الناس،يميزون أنفسهم بتقاليدهم وأعرافهم المذهشة والغريبة،ومن بين غرائبها،أن كل منتَمٍ إليها ينذر طفلا من سلالته لتدوم هي نفسها ولخدمة القرية ،وأي أحد مِمن ينتمون إليها وإن أنجب أكثر من طفلين،عاقبه أشراف القرية إما

بدفع عشرون ألف قطعة من الفضة،أو أن يغاذر القرية وقد يصبح أطفالهم عبيد لباقي أهل القرية ،لما في ذلك من بلاء ولعنة قد تدمر سلالتهم.وقد كان هناك أسرة تدعى أل بيرْطهَايْن،وهي من يُسْمعُ لها الصيْت في تلْك القَريَة،نظراً لكونها تنتمي لسلالة نبيلة عاليةَ الشأن، وقد كان لهَا طفلان توأمان وفتاة تصغرهما سنًا،إبن أول يناذونه بيير ذو سنة واحدة،وآخر يلقبونه بيوڤان في نفس العمر،وقد إختلفاً في تلك الدقائق القليلة عنذ الولاذة، عنذما كادا يخرجا معاً،إمتدَّت قدَمُ بيوڤان اليمنى مسرعة في إرتماء الى هذا الوجود.وقد كانت لهما أختْ تصغرهما سناً تدعى سيلڤيا،بتلاثة أشهر.وقد أفرط السيد بيرطهاين في الذيوع حتى أنجبو طفلتهم الصغيرة،وقد كانو يعرفون هذا القانون جيداً،حتى أنهم اطلقو عليه إسم "رفض الدخيل"،لما فيه من بلاء ولعنة،وهذا ما أثار خوفهم ذاخل القرية،فقرر أبوان بشيء من الحذر أن يُخْفُو أحدَ أطفالهم،وألا يسمع له الطنين ،وقد إحتار الوالدان في إختيار الطفل الذي سيغمض أولاً،فقالت السيذة لارا سلوكهولمز،(هي أم الاطفال):

دعنا يا أب بيرطهاين ،نربي أحد أطفال،ومعه إبنتنا الصغيرة،وعندَما تكبر لنزوجها وتذهب في حال سبيلها،وبتالي نسترجع إبننا المختبئ ،ولن يكون للقرية ما تكنه لنا من عقاب.

ضحك أب بيرطهاين قائلا: فكرة رائعة،سنختار أحد الطفلين،وليكن أكتر فعالية لنا،ولقريته.وعندما إختارى الطفل المناسب للإختباء،أخداه من بين أخويه،وأرسلوه الى المدينة،لعمته إزابيل دوكلاسون،وقد وقع إصبع على الطفل بيير،ذو الجسد الهزيل،وقد تم تهجيره إليها وهو رضيع الى أن صار عمره خمس سنوات ،بسبب الصراع بينه وبين أبنـاء عمته إزابيل،وقد قالت الأم لارا أن تربية الطفل تبدأ من الخامس أو أربعة سنوات فما فوق،بحيث يبدأ في التعرف على عائلته،لدى فيمكنهم أخده بعذما تفك مشكلتهم،وعنذما وصل بيير للحظة دخول الحفلة،حينما كان في المدينة متواعدا مع أبنيتها وأزقتها والرواج الذي تحثمه،عاد الى القرية فتغيَّرَ جوه وإنقلبت نفسيته وهو في عمر الست سنوات،فإختبأ في صندوق،وكلما رَنَّ أحدهم الجرس فَرَّ الطفل مختبئا في صندوقه الصغيرخوفًا من أن يراه أحد فيفشل مشروعهم في البقاء في تلك أرض،وقد إعتاد الصغير مرة في كل يوم،النوم في صندوقه العزيز،وقليل الوقت الذي يحاول إسترق الشرفة لرؤية نور الخارج، وكلما حاول ذلك منعاه

أبويه،وقد كبرت سيلڤيا ولم تتزوج قط حتى صار عمرها مايقارب العشرين سنة،حيث كانت دائما ترفض النظر الى أخيها بيير،لما جلبه من بلاء الى منزلهم لذلك لم تتحمل أن تعيش كل ذاك الضغط الرهيب،أمام رغبة أبوان بدفعها الى الزواج بتلك السرعة المتهورة،ولهذا قد أحست بالحقد تجاه بيير لما جعلها عليه.وفي ليلة مبرقة وجو هادئ أفاقت سيلڤيا متوجهة نحو الصندوق الذي ينام فيه بيير وفي يدها سكين لتقطيع الخضر،وقد حاولت طعنه به ولكنها فشلت في نوع الضحية،فقد كان أخوها آخر بيوڤان ،فقد تبادلا أماكن في عشية ذاك اليوم،فضرب بريق القمر من نافذة المنزل وإلتقى مع صلابة السكين حتى دوى بريقه في أرجاء،فأفاق على وقعه بيوڤان يصرخ لما وجد أخته حاملة سكين تحاول قتله.فأسرع أبوان في تفحص ما يجري،وإذا بهم يجدون في السرير بيير نائما بغبطة أبدية يعانق الوسادة بقوة قاسية،فظنوه بيوڤان نظرا لأنهما توأمان،وقد أخدى يخطوان الى صندوق الذي به بيوڤان،أنذاك وجدو سيلڤيا حاملة سكين وبيوڤان يرتجف من الخوف.فوقف أب بيرطهاين صارخاً في وجه إبنته سيلڤيا يقول:

هل تحاولين قتل أخيك بيير يا سيلڤيا ؟ ولماذا هذا السكين ؟

صرخت سيلڤيا قائلة: لا إنه بيوڤان وليس بّيير،أريد قتل بيير إنه سبب مشاكلي،إن حظي العاثر ولد مع مجيئه الى هذا المنزل،وقد أخطأت التصويب عندما وجدتُ أخي بيوڤان نائما مكانه.

فغضب أب ورفع يديه راغباً في صفعها،إلا أن الأم لارا منعته،بدعوى أنه ليس من أخلاق قريتهم ولا يخص سلالتهم،أن يصفع الأب إبنته .

فقال الأب بيرطهاين: غدا يا سيلڤيا ستذهبين لمنزل خالتك في المدينة ،فقد يكون هناك حظ وافر في إيجاذ زوج يصلح لطيشك!

فقالت الأم : ماذا سنقول للقرية ولجيراننا أل غواستروف؟

أجابها الأب برطهاين:غدا عنـذ مـا تغاذر إبنتك القرية،إجتمعي مع صديقتك الترثارة السيذة أنجيلا بيالوڤار،وأخبريها بطريقتك إلتوائية أن إبنتك سلڤيا قد تزوجت البارحة من إبن خالتها سيرجو مالكاني.

وهذا ما فعلته،وقد كانت حرفة الوالد بيرطهاين نحات قروي يجني قوت يومه ببيع ما ينتجه من منحوتات لجيرانه،وشيئا فشيئا نقلها الى بيوڤان عكس بيير الذي ظل محبوسا في منزله.وقد بلغ بيير الخامس عشرة من عمره ،فصمد

عوده،وبانت ملامحه وقد تساءل أبوين مرة في الماضي عن الصمت الذي يكنه لهم بيير،فقد ظنوه أبكم ،عديم القدرة على الكلام،ولكن مع مرور الوقت إنقشعت المشكلة،لم يشأ بيير يوماً الخروج الى القرية ولم يلعب قط بل ظلَّ حبيس صندوقه،ولوم والديه وإخوته له ،مما جعله يتكتم بداخله،ولا لغة غير الصمت تحتويه،لقد كان أشبه ببالون ينتفخ يوما بعد يوم،وذات مساء إنفجر هذا البالون في وجه العائلة عندما حضرت جارتهم السيذة سولان بلايسون،وبعد أن وضعو الطعام صارت الأم لارا تتناقر مع جارتها في حضور بيوڤان والاب بيرطهاين في موضوع مثير لجارتهم كيرلي ماسنوليكج التي زوجتْ إبنتها من لصٍّ ،وقد ظل هذا الموضوع مركز سخريتهم طوال الليلْ،وفجأة وفي غمار الحروب الكوميدية خرج بيير بكل مهل نحوهم فإذا بجارتهم سولان تتفاجأ بالشبه بينه وبين بـيوڤان،فعاد بيير خائفاً الى صندوقه،جراء ما سمعه من مدح يتلوه أبوان على بيوڤان،فأسرعت الأم في حديث لتمنع جارتها السيذة سولان من تحريك أنفها،فاستـوقفتها في الطريق قائلة(أم الطفل):

أوه مهلا يا ڤولس تعالَ!

فإبتسمت الجارة بشيء من الخبث قائلة: ما هذا يا أم سيلڤيا ،لم تخبرينا أن لديك إبناً تالتاً ؟

فأجابتها الأم :لا إنه ليس إبني ،إنه إبن أختي،فهو يشبه إبني بيوڤان نظرا لما يكناه من القرابة لبعضهما...فقد غاذرت أختي للعمل وتركته لأربيه.

إبتسمت الجارة في خبث مرصع بالنفاق تقول : حسنا يا أم سيلڤيا !

وغادرت الى منزلها،فقال بيير في نفسه : يعيش إنسان الى وقت لا يبدو فيه للعيش قيمة...وعاد الى صندوقه العجيب مفعماً بفكرة المنسوبة إليه بإنتماءه لأسرة أخرى،فقال وهو يومئ رأسه بين قدميه: أنظري يا نفسي،ماذا يفـعل الخوف بالإنسان..

في صباح اليوم التالي،أفاق الكل متأخرين حتى الساعة التاسعة صباحاً على ضجيج يخترق ثقب الباب،إنهم أهل القرية يجتمعون مع ملامحهم البائسة أمام منزل أل بيرطهاين،وعندما فتحو الباب جاء أسياذ القرية وهم عباقرتها المخلصين في جلابيبهم المنمقة يدعون اللباقة،والمعرفة المزعجة.محنطين بغلاء الحكمة،وبقداسة طقوسهم المزيفة،فتقدم واحد من بين الحكماء يقول:

لأول مرة يخْـرَقُ هذا النِّـظَـام،ولا أكاد أخطئ في أن أطمس ما سمعته،وما قيل سابقاً عنكم يا أل بيرطهاين ،فهل أخطأت في طمسي،أم أن أذناي سمعا خطأ.
فقال أب بيرطهاين:ماذا سمعتم عنا يا أيها الحكماء؟ وهل هاته هي سمعتنا بين أقرانكم .
فخرجت جارتهم الثرثارة سـولان بلايسون تقول: أوليس بينكم فرد تالثٌ يخترق قانون الجماعة في إنجاب ؟ هيا يا أم سيلڤيا أحضريه لينال عقاب !
فدخل الحكماء الى منزل أل برطهاين فوجدو العجب،لما رأو من أشياء جميلة من منحوثات النَّـفيسة،فلم يجدو شيئا في المنزل،وهذا ما أخاف العائلة،فتساءل أب بيرطهاين: الى أين ذهب بيير؟ فهمست زوجته في أذنه قائلة:
لربما إختبأ في مكانٍ ماً.
وهذا ما ظنه الجميع،ولكنه لم يختبئ كالفأر في جحره،فكأنه الطفل نفسه الذي تحكيه كل القصص المأساوية ،التي تبدأ بعقدة وتنتهي بقطعها ،وهاته كانت حقيقته،لربما تَبَنَّته عائلة آل بيرطهاين،وسموه بيير لما يبدو عليه من قلة منفعة،منحرف عن مساره الوجودي.لقد فعل ما لم يفعله يوما لمصلحة تلك الأسرة الصغيرة وهي أن يجعلها على صواب أمام قبيلتها.محافظا على شرفها،وسمعتها،فالنظام القبلي هو نظام لا يقوم إلا على السمعة والشَّرفْ،وعندما يفقذ ذاك إنسان القبلي هاتين الميزتين يصبح غير موجود في روح الجماعة،بل يصبح مكروها،ومنبوذاً يستلزم طرده من أي سرب في رأس كل قارب نجَـاةْ.فمن صرامة نظم التي تقوم عليها هاته القبيلة تحديد نسلها،وقد كنتُ خارج المعادلة تماما،إنه ڤولس كوليكسيز الذي تخلى عن هويته،متجهٌ نحو الـقرية المجاورة،لربما يجد من يخدمه في إيجاد عملٍ، وقد إعتادَ الصمت لدرجة أن أسرته لم تفرق قط بينه وبين قطتهم جولي ومزهريتهم البشعة،إنهم ألفو بشيء من البؤس عدم سماع طنينه ولو بالغلط.إن هؤلاء الأشخاص الذين إعتادو سماع الصمت.ليبقو على هذه العادة البشعة،فيظنون على الدوام أن الحق حليفهم.وها هو ذا يخُـط جبهة قريتهم البائسة،إنها خليط بشع من التحضر الـمنمق بأشلاء تقليدية،لقد فرَّ الطابع القروي عندما جاء أثرياء الى قريتنا ،فبنو عليها قصوراً وملاهي ليليةً،فتحولت القرية إلى نوع من المدن المتشجرة،إكتسحتها رغبة في إلقاء بسقة على المحبطين،من أولائك أثرياء المشردين،وللحظة توقف عند نهر يفصل القريتين فيربطهما بجسر صغير

للقوافل تجارية القديمة،التي كانت تشكل إقتصاد القريتين،فوجد رجلا عجوزاً جالساً على صخرة في الجهة المقابلة،يلعب بالحجر الصغير ،وعندما وصل إليه محاولا إفلات من نظراته يتـوارا عن منازلته ، فقال ووجْـهُه نحو الحجر:
إلعـب بكل شيء عدى أرواح الناس. "
فعادُ إليه من شدة إبتهاجه بجملته هاته،فقال : لابد للإنسان أن يطعم أخاه إنسان من نفس ما ذاقه.وأنتَ يا ڤولس ماذا أذاقوك؟
فتعجب مندهشاً،فلم يسبق له أن تعرف إليَّه أحدٌ ما.وقال ڤولس:
لقد سموني بيير،وأعطوني نسباً،وبه لم أرضى عن نفسي ،فغيرته لڤولس ،وإمتنعت عن أكونه،لما بدوت عليه،كطنجرة ضغط وُجِدَتْ للاشيء.ولا رغبة لي في إذاقتهم ما أذاقوني منه.
فقال العجوز: يبدو عليكَ النذم،أهربتُ من منزلك ؟
ڤولس: نعم غادرتُ عُشيّ ،فقد مسته أيدي إنسانْ.فكل أشياء الجيدة تبقى جيذة وصالحة لو لم تصلها ولو نظرة من قِبَـلِه..
العجوز: هل تحتاج عملاً يا بني،فقد شِخْتُ ولا قدرة لي على زراعة حقلي،مادام هو ما يؤمن قوت يومي.
ڤولس: نعم يا جدي،أحتاج عملا،حسنا سأعمل في حقلك لحين أنتهي منه.
فإنحذر العجوز نحو مزرعته،وقد إتبعه ڤولس بكل روية متفاجئً بشكلها المنتصب فوق قبة خضراَءٍ يحيط بها سربٌ من أشجار الفلينْ ،مُسيجٌ بخيط من الحديد الصلب،فحينما وصلوُ الى المزرعة تفاقمت شهية ڤولس وإنهمك في إشتهاء الفواكه الطازجة التي تخيط قلب المزرعة،وكل ما كان ينصب في ذهن ڤولس كولكسيز هو رغبته الملحة في زيارة بيروت لما سمع عنها من عجب،ولن يتأتى له ذلك في ذاك السن الصغير إلا من خلال وسيط ثريٍّ .فقال العجوز وهو متجهٌ نحو إسطبل حيت تقبع الحيوانات:
يا بني ،لماذا تريد العمل في هذا السنِّ الصغير"14 سنة"؟ أتراك أحببتَ الشقاَءَ منذ الصغرِ.؟
فأجابه ڤولس: عشتُ ذون مأوى ،فحتى من أوى جسدي،أفلتتْ منه روحي ،فلا عيش ذاك ولا حتى سجن يبيتُ فيه المرءُ.لكي يعيش المرء عليه ان يعمل...
العجوز: إن ما على المرءِ أن يعتاد كل ما يجدُهُ أمامه ذون أن تردَّ نفسيته الى مرقضها ،فليس للإنسان مخرج من الدل سوى العمل.

ڤولس: الحق في مكانه،وما على إنسان إلا أن يبني نفسه بنفسه ،ذون أن يتعكز على إحدى العُصيّ المنذثرة حيثُ يقبع إنحطاطْ..
وقد أخده العجوز الستيني الى مزرعته وجعله خادماً يقال عنه كذلك.وقد كان لا يفقه شيئا في أي شيءْ،ولكنه مع الوقت تعلمَ كيف يسرق من الضيوف إبتسامتهم،بحرفيته في التعامل مع الآخرين،وراء إبتسامة تشوبها نزلة من الضحك،حيث كان يراه الخدم آخرين كتهديد مادام يكسب إحترام كل من لاقاهم،حتى العجوز كان مسرورا منه،فمرةً أراد طرد أحد الخدم وإختار أحد القدامى بدل ڤولِسْ وهذا ما زاد من كراهية باقي الخدم له ،وفي صباح يوم إتنين بعد إستراحة ذامت يوم أحد،راح الخدم آخرين يتآمرون على ڤولس لطرده من المزرعة،فقد جاءتهم فكرة الخادم الصعلوك الذي يكسب القلوب بحسه الفكاهي أمر بائس يجرهم الى الطرد،وقد يأتيهم أمر بالفصل فيما بعد عندما يحثل ڤولس كولكسيز قلب باقي أسرة،وقد حاولو إيقاع به بدعوى أنه يقيم علاقة مع إحدى الخادمات الجميلات،وهذ ما إعترفت به الخادمة المتواطئة مع باقي الخدم أخرين لسيد المزرعة إبن العجوز الذي وضف ڤولس كولكسيز،وقد جاءته الضحية" خادمة سوزيل سلوكهولم،صباح إتنين ،تشكي ما حدث لها ليلة السبت ،عندما إنتهت من عملها في المزرعة،تعرض لها ڤولس كولكسيز في المطبخ حيت أجبرها على إيقامة علاقة معه،ولكنها هربت عندما دفعته نحو الخلف فضرب رأسه مع حافة الطاولة ".
وفي خضم المحاضرة جاء ڤولس حاملا فأسه،بإبتسامة خفيفة تزين وجهه فقال له السيذ كستلوف روبرت : ڤولس تعالَ الى هنا ! بشيء من إنزعاج.فتقدم إليه ڤولس متسائلا عن سرّ الجمعة فقال في نفسه :
لربمَا جاء دوري في الطَردِ،ولكن ماذا قد أكون فاعلا لأستحق الطردَ؟
فقال السيذ كستلوف روبرت : لقد أتتنا شكاية في خصوصك يا ڤولس،فماذا تقول في شأنها؟
فحرك ڤولس رأسه متسائلا: شكوى ؟ بخصوصي أنا ؟ لا لا... أظن أن هناك سوء فهم يا سيدي !
فقال السيذ روبرت: هل هناك شخص هنا يدعى ڤولس غيرك ؟
فأجابه ڤولس: لا يا سيدي أنا الوحيد هنا بهذا إسم.

فقالت الخادمة سوزيل وهي تصرخ: إنه يحاول إربكاك يا سيذي لقد حاول إعتداء عليَّ ،فأرجوك خد حقي منه ،وراحت تبكي وتتنحب على شرفها الذي كاد يضيع سدا..أمام السيذ روبرت حتى إستمالته ناحيتها
فقال السيذ روبرت:أظنك أخطأت في حق سوزيل يا ڤولس،ولأكون عادلاً سأطردك ،في المساء تعالَ وخد راتبك .
إنزعج ڤولس مما حدث،وإنكسر حيله ،وهو يتساءل: ماذا فعلتُ لها لتضعني في هذا الموقف االبشعْ ؟
فقال بكل حزن: كيف للمرئ أن يبذل كل هذا الشرُّ لشخص قط لم يفعل له شيئاً،يا لهذه الطبيعة الماكرة.
في المساء جاء العجوز الى ڤولس بينما كان يجمع ملابسه،فجلس بجانبه فوق السرير قائلا: إن إنسانية إنسان سبب شقاءه !وإفراط في الخير ينقلب شراً يا بني !
فقال ڤولس: أتدرك يا عمي ما أقحمت نفسي فيه ،لقد جمُدَتْ قدماي أمام إبنك فلم أعي ما أقوله أمام ذاك الكم من إتهامات؟
العجوز: أتعلم يا ڤولس ما أشياء التي من المستحيل عدم تصديقها؟
ڤولس: لا يا عمي ؟
العجوز: إنهما دموع أنثى،وصِدْقُ الرِّجَالِ.
إبتسم ڤولس:لمْ أَنْدَم قط على يَوْمٍ قَضَيْتُهُ ذاَخِلَ نَفْسِي،فَكُلُّ نَذَمِي جَاءني مِن الخَارِجْ.ثُمَّ أمَال رأسَهُ على كتِف العجوز مُنْتَسِيًا أَنَّهُ غَرِيبٌ عنْهُ،فإستجاب العجوز لفعل الطفل وربتَ على ضهره يؤانسه في حزنه،فأغلب ما كنا لنحتاجه غريبٌ وسؤال ويَدانِ تربتان على كياننا المنهزم.
في الصباح الباكر يوم الثلاثاء جاءه السيذ روبرت حاملاً إليه ضرفاً مغلقاً،ينذره بنهاية فترته في ذاك المنزل،فأخده ڤولس كولكسيز وحمل حقيبته وخرج من غرفته محاولا مغادرة البيت وفجأة ولد من أعماق الجدران صوت ناعم يصيح بنبرة مزعجة تقول: توقف يا سيذ ڤولس ؟
فإستدار ڤولس لإسكات فضوله، متمنياً سماع إمتناع من مغادرته،فتفاجأ بفتاة جميلة،ذات شعر أسوذ متساقط كورق النخل المبهر في أعالي الجبال الشاهقة،أنفها الصغير وعيناها الكبيرتين البنيين تأسران الأعماق بما فيه من أشلاء،فوقف ڤولس منبهراً أمام داك المركب البشري الخيالي،بجمالها ،وهي

تقول له آلاف الأشياء ولكن أذناه تقيلتان ،بل قلب نفسه لا يمثلك أدنان ليسمع ما تقول،فأشارت له بطقطقة أصابعها ،فإستفاق ڤولس من الحلم حتى قالت له " هل أنتَ بخير؟،أجابها متلعثماً : نعم ،أنا بخير! لقد دخل السارق الى المنزل بعد أخد الإذن صاحبه،ثم سرق كل شيء حتى عمود إضاءة .قالت الفتاة: لن تذهب لأي مكان فأنتَ بريئٌ من جرمك !

تم جاء أب مُعلنا براءة ڤولس كولكسيز،وقد حاول طرد باقي الخدم المتآمرين عليه،لكن ڤولس إشترط عليه ما إذا أراده أن يبقى،فعليه أن يسامحهم ،وقد قبل السيد روبرت،مستثنياً على أخلاق ڤولس فقال له : نعم التربية وخيراً فيمن علمكَ يا بنيْ.

رد عليه ڤولس: علمتني أيام كيف أعامل الأشهر والسنوات،وخير معلم يتلقاه المرءُ هو الحياة نفسها .وسيء واحد كان يوسوس لڤولس في عقله هو صورة تلك الفتاة،لقد سحرته بجمالها وطريقة حديثها،لقد سطع نجمه الغابر في أرض موحلة يكسوها الرماد،وقد بحث عن السبيل الذي به يجتمع معها ليعترف لها بحبه،ولكنه مجرد خادمٍ فقيرْ،وراح ڤولس يسأل الخادمة سيلين عنها،ومن تكون فأجابته قائلة: إنها إبنتُ السيد روبرت وحفيذة العجوز،وقد جاءت في عطلة الصيفية لترفيه وتتخلص من ضجيج المدينة و بؤسها!

وقد فكر ڤولس بعد سماعه هاته أخبار بطريقة يستل منها رقم الفتاة ليتحدث معها على الهاتف،والمشكل الوحيد أنه لا يملك هاتفاً،فرغم ما يجنيه من مال ،فليست تستهويه فكرة شراء هاتف ما ! وبدل ذلك كتب رسالة يقول بخط عريض : الى عزيزيتي ناذين !

"أتعلمين أنكِ فرصتي للنجاة في هذا العالم ياناذين !،و لست أوقن أني أضحيت ما أنا عليه إلا بفضلك،لقد صرت مزارعاً يعترف بفضله،في سن صغير،ومنذ أن رأيتُكِ تذافعين عني سقطت في ذاك البئر الذي لا عودة منه،وقعت في حبك يا ناذين ،فأرجو أن تقبلي بهذا الفلاح الفقير،فالقلب عندما يقع لا يجد الخيارْ للقيام تانيةً"

"رسالة من معجبٍ مجهول.

مرت سنتين على تواجد ڤولس في ذاك العمل،كان مزارعاً شغوفاً يحْلق الحقل بأقدامه ويجني الثمار وها قد بلغ في العمر العشرينيات،وما زال الفتى على

حاله،فَزاد تقدير تلك العائلة له،ولخدماته،وبعد آلاف الرسائل بين ڤولس كولكسيز وناذين،وفي كل مرة يجذونه يتسلل الى غرفتها ليضع الرسائل ويعود لنفس المكان ليأخذ رسالة ناذين التي كتِبَتْ لهُ،وطيلة الصيف كانا يتبادلان الرسائل بشيء من الشغف ،وفي كل مرة ترغب ناذين في التعرف على ڤولس ماذام هو يرسل لها رسائل بإسم معجب مجهول،وقد ظنته حبيبها الذي يعيش في المدينة وهو من يرسل لها تلك الرسائل مع صديقتها زايسل،التي تفاجئها كل مرة بسرعتها في قراءة تلك الرسالة،ولكن السؤال الذي كلما حملت ناذين الرسالة جاءها محملا بألاف تساؤلات " كيف لحبيبها أن يرسل تلك رسائل الى قرية مادمنا لا نملك ساعي بريد في هاته المزرعة.فقالت في نفسها محاولة إقناعها " لربما صديقتي زايسل من تستقبلها وتضعها في غرفتي !ومرةً تكلمت نادين مع حبيبها على الهاتف،وسألته عن رسائل وشكرته بقولها: لقد شعرت بالحب رغم بعدك عني بفضل هاته الكلمات التي أرسلتها إليَّ،شكرا حبيبي!فأجابها لا لست من أرسلتها لك ،وسرعان ما أدركت أنها لا تنتمي إليهِ فغيرت الموضوع ممازحة إياه.تم أنهت المكالمة.ولتزال تفكر في المعجب السري الذي وقع في حبها وفي كل ليلة يرسل إليها رسائلا من الشعر والحب ،فألقت نظرة على كتابته ورأت ضوءاً في رسائله يرشدها على شخص الغريب،" مساعدتي ،براءة" وقد كانت ناذين أذكى بكثير من باقي الفتيات،حتى أنها لاحظت أن الرسائل تبدل في وقت معين من الليل في الحادي عشرونصف ليلاً،وقد خططتْ نادين للإيقاع بالمعجب السريّ ،فإختبأت له تحت السرير وكتبت له رسالة فارغة،كمصيدة فئرانْ،ولكن ڤولس في ذاك اليوم إشتغل لوقت متأخر في جمع الثمار، مما جعله ينام مبكراً من فرط التعبِ،وقد ظلت نادين ساهرة طوال الليل تنتظر المعجب السري بلهفة مبهرة في التعرف على صاحب الكلمات الساحرة،ولكن النوم قاطعها في الطريق ونامت تحت السرير،وفي الصباح جاءت صديقتها تبحث عنها،ولكنها لم تعثر عليها إلا بعد عناء طويل من البحث الشاقْ،وعندما سألت زايسل نادين عن سبب وجودها تحت السرير،أسرعت نادين في تغيير الموضوع قائلة أنها كانت تبحث عن قلادتها التي ورثتها عن جدتها،فلم تكن راضية لتقول لصديقتها عن هذا السرالخطير،لأنها تقرب حبيبها لوزار،إنها أخته من أم تانية يشتركون في نفس الأب،وإن سمعت بالمعجب

السري لتنط فاضحة إياها محاولة نشب عراك بينهما.إنها وإن كانت صديقة ماهرة،فليست أبداً ممن يبرعون في الحفاظ على السر.
لقد إكتشف ڤولس أن نادين تحاول كشفه،عندما رآى أنها تسأل كل الخدم عن من يأتي بالرسائل الى المنزل.فأرسل لها رسالة أخيرة موعدا إياها أنه سيكشف حقيقته أمامها في المساء القادم قائلا:
"... وددت لوتعرفِ كم من ليلة قضتيها أفكر في مسألة جلوسك تحت السرير،وأقنع نفسي بأنه ليس فخاً لتوقعِ بي،لم أعهدك غبية يا نادين بل كنتُ أحارب كوابيسي جميعها قائلا أن حبيبتي أذكى مني .ولكن المفرح حقاً إختباءك تحت السرير كنتِ كقطة بريئة ولدتْ هناك حتى أخرجتها مخالب زايسل المتوحشة.فقيمة المرئ يا عزيزتي هي في أشياء التي يحبها،وقليل من يحب أشياء التي تليق به وما عدى دلك فالكل يصوب سهمه على تفاحة ليست له.فليكن مساء الغد ليلتنا حيت ستكشف أغطية وتزول أقنعة،وسترين ما أكونه وستعلمين ما تكونيه أنتِ"
معجب السريُّ
وأرسها ڤولس مع صديقه تيودور وهو خادم يشاركه العمل ،قائلا أنه وجدَهاَ أمام باب المنزل،وهذا ما حدث فقد أخدها وأعطاها لنادين وقد ظنته في أول الأمر أنه هو المعجب السريُّ،فإذا به يستوقفها قائلاً "لقد وجدتها أمام باب المنزل".
فقالت ناذين بسخرية : أوه كيف لمزارع فقير أن يكتب كل هذه الكلمات المتميزة،وقد كان ڤولس يستمع إليها من وراء الباب ،وعندما سمع ما تكنه في أعماقها لتلك السحابة التي يطفو معها،إستوقفته فكرة أنها سوف تسخر منه،إن علمت من يكون المعجب السريِّ،وسيتعرض للإهانة والطرد .وقد كان ڤولس لشدة إقتناعه بما يكونه،وما يفترضُ به أن يكونه ،فقد وعدها وخلص الأمر،ويجب الوفاء بالوعد المقطوع مهما يكن الأمر مستحيلاً،حتى وإن طردَ من عمله،لقد كانت هاته الفكرة اللامعة تجره إلى إبتعاد عن باقي شريحة الخدم،فقد كانت صفاته النبيلة صامدةً لا تهتز حتى وإن جعلته يبيت خارجاً وهذا ما ميزهُ وأغناهُ.
في الليلة المعهودة،تأنق المزارع ڤولس منتقياً أفخر التياب حتى وإن كـان مجرد مزارع بائس،فالمزارعون أيضا لديهم أفخر الثِياب،فإرتدا ڤولس طقماً قد أهداه

له العجوز في يوم مجيئه الأول،وإستعد بكل شوق يهز هيكله ليقابل حبيبته ناذين،وفي تلك الليلة وقعة الكارثة.فقد كان أحد الخدم من بين الذي قد تآمرو عليه في المرة السابقة مشاركا في وضع الشراك،مع تيودور نفسه صديق ڤولس الذي كان يخفي نواياه البشعة طمعاً في ثروة صاحب المنزل،وعندما رآى ڤولس منكباً على الشعور بإخلاص لذاك الحب ،فأثيرت شهيته النفسية وعاطفية فقرر أن يجعل إبنت صاحب القصر نادين تقع في غرامه بدعوى أنه هو نفسه المعجب السري.وعندما قرر ڤولس فضح نفسه أمام نادين.جهز له تيودور شراكا مدوياً ،وها قد دوت ساعة ڤولس متوجها نحو غرفة ناذين بإحتراس شديد،وقلق عارم من جراء تلك الردود التي سيسمعها عندما تراه.وفجأة دخل من النافذة التي تطل على غرفتها كالعادة،حينما كان يجيئ لها بالرسائل،وفي تلك اللحظة أمسكت به ناذين متلبسا يحاول الدخول،فقالت له مفاجئة:

أوه.....هذا أنتْ،لقد شككت فيك منذ أن كنتَ هائما في ملامحي في لحظة إنقاذك من تلك الشبهة.

وقف ڤولس مرتعشا،وأقدامه تتقفقف من شدة الخجل وعيناه منصوبتان على أرض: أجل إنه أنا !

قالت ناذين: هل كتبت شعر لفتاة غيري من قبل؟

أجابها ڤولس: أبداً،لم يكن قلبي حليفًا لأحد،إلا أنه خانني عندما رآك لأول وهلة.

إبتسمت نادين وهي تقول: يا لك من مراوغ،كيف لي أن أصدقك،والمزارعون ماكرون يتملقون ساق أبي لأخد بضع قروش !

وقف ڤولس معاندا خجله قائلا: لست أي مُـزَارِعْ،فالحب لم يأتيني إلا وعلم من أكون،فحثما كل مظهر يشاع خطأً.

فقالت ناذين بإبتسامة مدهشة: كيف تعلمت كتابة الشعر وأنتَ مجرد مزارع؟

" فحيثُ تغفو الشعلة،من هناك يولد إبداعْ،والى هناك يعودُ،إنها منبع النفوس المنهارة التي تبحث دوما عن مكانٍ تفرغ فيه كل حطامهاَ،والركام الذي تدسه في أعماقها".

أجابها ڤولس: كنت أقلد أخي بيوڤان ،عندما كان يخرج لدراسة فآخد من كتبه وأطالبه في بعض أوقات بتعليمي .ولكن ناذراً ماكان يقبل.

نادين: أوليس الحب في نفس مكانتك يا ....ماذا كان إسمك !

تلهف ڤولس لرد ذون أن يهتم لما قالته في القسم الاول: إسمي ڤولس كولكسيز يا ناذين !
لبرهة أعاد سؤالها في عقله وأحنى رأسه قائلا:إن الذي يحب يكون منتظرا الحب في الزاوية،إن إقتصاركم أنتم الأغنياء على المكانة في كل علاقات حميمية باء بشعاً،لدرجة أن أيا من رآكم تقفون جامدين يبسق على وجوهكم قائلا : هؤلاء من الصخر.
فغضبت ناذين محاولة إقلاب الطاولة على ڤولس تقول: نحن أغنياء رؤوسنا الى السماء عالية،لا تنحني أبداً،والفقراء أمثالكم أوجدناهم نحن من بقايا طعامنا ومخلفات حياتنا !
إبتسم ڤولس ساخراً تم قال: قلتِ لن تنحنيِ،إن غنى المرء أبدا ليس دائم،فقد تعلو أعناق اليوم وغدا تلود ساقطة نحو أعماق تلم شتات الذي كانت تلقيه لنا..
فقالت ناذين: إفترضنا أنك تحبني حبا جماً ،فهل ستندر بطاطسك وطماطمك لتسد حاجياتي التي تعودت على رمياها خارج نافذتي ؟ هل لديك الإمكانية أن تعيشني فيما أحب وأنت مجرد مزارع فقير؟
أخذ ڤولس كرسيا وجلس يفكر في الجواب الذي قد يرتضيه لناذين فقال: الحق معك ،أنا مجرد مزارع فقير لا يؤمن قوت يومه الا على فتات السارقين!
وقفت ناذين من على السرير عابسة تحتكم قبضتها لما فيه من غضب تم قالت : سارقون ؟ من نحن ؟ لا لا يا بني لم تعرفنا قط لتحكم علينا بهاته السطحية الساقطة؟
ڤولس: بلى عرفتكم ،أتظنين أن كل هاته الثروة تجيء من بيع الحليب كما يقال ،أم من بيع الماعز والخرفان كما يهيأ لكم! إنها تجارة بالبشر والماعز نفسه..
إندهشت ناذين قائلة: إنك تكذب يا هذا سأخبر والدي بهذا الكلام ليطرك أيها المغفل احمق.
إبتسم ڤولس في سخرية ووقف ماسكا الكرسي الذي جلس عليه تم قال: ههه لا يا عزيزتي ،لقد كنتُ أمازحك ليس إلاَّ،لأثير شهيتك في الكلام والحديث إليَّ .فأكثر الغرباء يتلاءمون مع بعضهم بهاته الأحاديث السافلة وبنفس الفخ الذي نصبته لك الآن.
" عندما يدرك المرؤ أن الحقيقة هالكة،ومؤلمة،وإن منعتْ ما يصْلح ُله لغطــاها بحجـابه قائلا أنها مزحة ابْـريل"

فقالت ناذين: لم أصدقك أيها الغبي،هل خفت من أنْ أخبِر أبي فيَطردك،لدى غَيرت قولك ؟
فقال في نفسه: إن ما يزعجني من كل هذا ليس الحقيقة،بل كل ما يؤلمني أن أبتعد عن روحي ،فيهُم بي الشَّـوق معذِّبا إياَي.فلا أرجو منه غير العفوِ..
وجهر بصوته : لا إنها الحقيقة يا ناذين.
وبينما ناذين تتفحص وجه ڤولس بنظراتها الحادة،ومع أن عيناها كبيرتان مثيرتان بلونهما البني الجريئ، إلا أنهما حادتين كالسيف الذي ولدَ حديثاً،دخل تيودور من الباب مكسراً حيل الحفلةِ،ومعكراً جوهَا اللطيفْ،يقول:
هذا كل ما أخبرتك سيدي،هاهو ذا خائن ڤولس كولكسيز يتودد الى إبنتك ناذين.
فدخل السيد،وڤولس منذهش من فعل تيودور،ورجلاه معصومتان عن الحراكِ .
وقبل ان يبدأ السيد الحديث قفز ڤولس الثرثار يقول: قبل أن تأخد اي إنطباع يا سيدي تفحص جيداً ما نكونه لبعضنا،والمسافة التي بيننا!فهل في رأيك تتلاقى السماء مع أرض عند المغيب ؟
أجاب السيد: نعم عندما يغفو الكل يتلاقى العشاق في العلية.ولكن لم أعهدك هكذا يا ڤولس فقد أويناك،وألبسناك طباعنا وأقلودتنا،وتكافئنا بالحفلة مثيرة والضيف إبنتنا ناذين !
لقد أعطيناك شرفنا وجعلنا لك مفتاحا على كل أقفالنا،ثم تسرق ما قيل عنه ثروتنا ومواشينا وحتى طفلتنا!فلو قيل لي عنك لما صدقتْ،ولكن العينان مهما أخطأتا ستظل أصدق من أذانِ.
فخفض ڤولس رأسه قائلا: لا يا سيذي فعيناك جميلتان.....
فوجه السيد أنظاره قائلا: ماذا؟.
رد ڤولس : عفوا،قصدت أن عيناك يستحيل أن تخطئَ في شيءٍ،فحقاً أنا مغرم بناذين ولزلت أحرق من جراء الشعلة التي أوقضتها منذ أن نزلت عيني في عينها.
أوليس العشَّاق أبأس من ولدو من تلك الأرحام البالية،إنهم حساسون كبالون منتفخ يكاد يفرقع في الهواء.
ثم قاطعه السيذ قائلا: أرأيت يوما فتاة ثرية تتزوج بفقير جاهل؟ أبداً فكل أثرياء لهم طباع متوحشة قد ألفت اللعب بالنقوذ وإنْ فَقَدَتْهَا أصابها الجنون.لن تجد فتاةً لتقبل هذا المصير البشعْ مع مزارع أخرق مثلك.. فالأثرياء مكانه مع السحب !

رد ڤولس: أتقصد في الجحيم أم في عش طيور القوقز؟
إبتسم السيد قائلا: روح دعابتك يا ڤولس أبداً لن تنطلي عليْ فقد إعتدتُ عليها منذ زمن.غدا تعالَ خد أجر أشهر أخيرة وغادر المزرعة.لا نريدك قريباً من ناذين هل تفهم؟
ڤولس: لكن !
للسيد : أعلم أنك تفهم ! الفقراء لا يمتلكون شيئا أمام أغنياء.
وغادر السيد(روبرت).وإتبعه تيودور وهو يبتسم بخبث قاتل يذيب الجبال حقداً.فقال ڤولس لناذين:
أقسم بشعر أمي الذي لا أعلم إن بقي على رأسها أم سقط تحت أقدامها أنني أحبك،ومهما بلغت سفننا من الشاطئ بعدا لأعود سابحا اليك من تحث السياج يا ناذين.
فقالت ناذين: أنتَ أيضا تعجبني يا ڤولس ،فرغم فقرك،إستطعت جرفي بكلماتك وأسلوبك اللامع،هاك رقمي ولنصبح أصدقاء ما رأيك ؟
إبتسم ڤولس والحزن يطفو فوق عينيه قائلا:حسناً لك ما أردتِ.
ثم أخد رقم هاتفها،وغادر الغرفة نحو حجرته الصغيرة بجانب الحقل،فراح يلم شتاته وملابسه ليرحل من المزرعة ولكنه إعتاد في كل لقاء وكل مغادرة يزوره العجوز،ولكنه لم يَـأتي اليوم.فراح ڤولس يبحث عنه في أرجاء المزرعة إلا أن صيته مقطوع عنها،وفي إحدى المناورات إلتقى تيودور فقال له ڤولس:
هل أفرحت قلبك الآن يا صديقي العزيز؟
فرد تيودور: ماذا يا ڤولس ؟ أوه فهمتْ هل كنت تظن أنك ستفوز بناذين يا عزيزي؟ أنظر الى نفسك مجرد يتيم أبله وهي حفيذة الثراء نفسه.
فقال ڤولس موجها أنظاره وكلها إحتقار: أبداً لا تهمني الثروة فالفقراء قد يبنو صرحاً من الثراء يطفئ مشاعل أرواح،ولكن الأثرياء رائعون في إخْماد كل فانوس .أما ناذين فمهما زادت المسافات بيننا إلا وزاد عشقنا أيها الخبيث .
فقال تيودور مراوغاً: أظنك تبحث عن العجوز،لتلقي له آخر فصل من روايتك يا ڤولس.لربما ستنحني عند قدميه مترجياً إمتناع عن طردك يا عزيزي ،والمهم إنه بالكوخ بجانب إسطبل إنه يكاذ يفارق الحياةُ.

فأسرع ڤولس بسرعة جنونية نحو الكوخ متلهفاً لإطمئنان على العجوز إنه لم يكن بالنسبة له كأي عجوز بل كأب روحيّ قد إحتوى روحه عندما لم تجذ سوى الذيوع والذموع.
فعندما يعَـاب إنسان من أحد أضلعه ينسى ماهوفيه،فيَـذبُّ الى المعشوق آملاً إيجاد أمل يوقظه من أسوء ما قد يحدث.
فوجد ڤولس العجوز نائماً على سرير خشبي،فقال: إني مزارع فقيرً إلى حين رأيت ما أنتَ فيه يا عمي ،حتى شكرت فقري لما عليه أنا.
فتوجه ڤولس بحذر شديد يخطونحو والسرير بدفئ هادئ كي لا يوقظه من غفوته،وجلس على كرسيّ مهترئٍ يتصفح بأنظاره جسد العجوز النحيل فقال:
أهناك أمل يا جدي أن أجتاز هذه المرحلة ذون أن أعاني ألم في الرُكَـبِ وألا أصرخ من صراع المفاصل؟ هل سوف أكون مثلك عندما تسقط آخر شعرة من رأسي ،مكمما كالمجنون،نحيل الجسد العظيم الذي كان يقهر الزمان طولاً،هل سأجتمع بمفاصلي على ذاك السرير المثلج الذي يطالبني كل مرة بتذفئته بمفاصلي البالية؟ هل سأرغم على التكدس ككرة ثلج تنتظر الذوبان؟ أرجوك لا تخبرني بكل هذا!
وفجأة حركَ العجوز يده ماسكا يدَ ڤولس قائلا: إني أأتمنك على ناذين،إنكما روح واحدة يا بني...
فإبتسم الوغد ڤولس لما قاله العجوز،فأكمل عجوز قوله:
إنكما روح واحدة،وناذين كأختك الصغرى يا بني.فحاول مساعدتها في العيش ودلَّهاَ على الطريق صحيح كما فعلت معك أنا.إنها تعيش وسط أسوء مخاطرة يا بني ولن أجد غيرك ليخرجها من هذا المستنقع.
فحزن ڤولس عندما قيل له أنه وناذين كإخوة،إلا أن ما أثاره هو القسم الآخر من الحديث،فقال ڤولس متسائلا:
كيف يا عميِ ؟ لم أفهم ،أوليست ناذين هي إبنت السيد روبرت مالك هذه المزرعة!كيف لها أن تكون في خطر ؟
فتمتم العجوز بصوت متباطئٍ : إنها إبنتُ زوجته أولى،سيلين بوكلاين،ومنذ أن خانته ماعاد يحب إبنته ناذين بل يحتقرها لأنه يرى وجه زوجته الخائنة على الدوام في ملامحها. وأنا لست ما تظن أنه هو،فأنا مجرد مزارع فقير وصمت العجوز .

فنظر ڤولس كولكسيزالى نفسه ،مندهشا تم قال: أوهْ نفس الوضع نتشابه به يا عمي فكلانا مزارع ،وراح يتفحص ملامح العجوز بكل دقة وحماس.
فقال العجوز: إني مزارع قد إعتاد مغازلة الخضر ومرة أغرمت بصاحبة المزرعة،فطردني أباها وإنتهى بي المطاف أعمل في هاته المزرعة.وقد تسألني عن أب السيد روبرت،إنه كان زوج الفتاة التي أغرمت بها وقد تزوجها وأنجبا هذا الصعلوك،وعندما كبر روبرت طمع في ورثة أبيه وإخوته فقتل أباه راميا إياه في بئر المزرعة وإعتبرها الكل كمحاولة إنتحار،ولكني أنا من رأيتُه يلقيه في البئر،وقد خبأت هذا السر سنيناً ،والآن وضعته في رأسك يا بني، فأرجو منك أن تحمي ناذين ؟
فقال ڤولس: أنتَ لا تنتمي إلى هذه العائلة فلماذا تهتم لناذين يا عم؟
تردد في إجابة وقال: إنها إبنتي أنا ،وأنا والدها الحقيقي.
إندهش ڤولس بما سمع.وقال : سرك في بئرعميق غير ذاك الذي يوجد فيه أبا روبرت .
ثم غادر ڤولس الى حجرته ليأخذ أحزمته ويغادر المزرعة،وقبل ذلك أعطاه العجوز هاتفًا خلوياً ليطمئن على حاله ،عندما علم بمغادرته،ولكنه لم يعلم السبب حقيقي وراء ذاك الرحيل المفاجئ،وقد تزامن ذهابه بعودة ناذين الى المدينة غيرست بعد إنقضاء عطلتها الصيفية.
فأخذ ڤولس يعد المال الكافي للحاق بها الى هناك،فلم يجده كافياً فقال : سأتصل بِناذين لمرة واحدة وأغلق الخط !وهذا ما فعل ،وقد إنتزع الذاكرة من الهاتف وحاول بيعه للخدم آخرين ليؤمن مال كافي لتذكرة الحافلة.ولكن بدون جدوى لا أحد يحب هاته الأجهزة الغبية،إلا تيودور فركض إليه وعرض عليه شراءه فقبل تيودور ولكن بنصف الثمن،وهذا ما حدث.فأمسك ڤولس المال وتوجه الى شارع عام تتقاطع طرقه،ينتظر بفارغ الصبر متى يلاقي حبيبته ناذين .وفي تلك أثناء أخذ تيودور هاتف وذاكرة جديدة وقد وجد رقما مكتوب عليه حبيبتي ناذين فإبتسم الوغد بخبث تم قال: سنلهو قليلا مع هؤلاء العشاق .وأخذ يتصل بها ويغلق الخط،وفي أخير إتصل وتكلم معها على أنه ڤولس كولكسيز،وراح يحشو في أعماقها أفكارا تسيء لڤولس نفسه.حتى ماعادت ناذين قادرة على إستحماله.وقد إحتشد الحقد على قلبها ،تقول : إن الفقراء لا يهتمون إلا للمال ؛ إنهم أوغاد بطبيعتهم .

وتوجه ڤولس صباحاً نحو حافلة ،مُستقلا إياها نحو المدينة لملاقات ناذين،فجلس في المقعد الخلفي يقول ويتمتم : الحب تضحية ،وها أنذا أعدك يا نفسي فإما أن أفوز بحبها وإما أن أعود بخيباتي جميعها.فجلس بجانبه رجل عجوز قد تطبع فيه إنكماش وهو يقول له : بني أتقرأ لي هاته الرسالة ،وأخدها ڤولس يقرأها بصوت عالٍ،وكانت تلك رسالة من إبنته تشكو له من زوجها الذي خانها مع بائعة الكعك،ولم تعد تره إلا في نهاية أسبوع بدعوى أنه يتأخر في العمل،ولكن ڤولس كولكسيز عندما قرأ كل تلك الكلمات المسمومة التي قد تودي بالعجوز،أخبره قائلا؛ أبي العزيز،لقد أنجبت لك حفيداً تعلب معه،وأناوبخير ،فكيف حالك يا والدي ،هل لزلت تعاني ألام المفاصل،فكم أخبرتك بزيارة طبيب ولكنك عنيد للغاية.أرجوك إذهب اليه من أجلي. أتمنى لك الشفاء يا أبي لا تقلق علينا فقريبا سوف نجيء إليك لنطمئن على حالك ...إبنتك لوسي...وأقفل ڤولس الرسالة وأعطاها له وقال: بئساً،إن هذا إنسان يجبرك على أن تكف عن إنجاب ..صرخ العجوز: ماذا قلتْ؟ أذناه ثقيلتان لم تتحملى ثقل الزمان .فقال ڤولس : يا عمي إني جبرت في الخواطر من يقتات على الضغينة ،والمكر فكيف لهم أن ينجبو غير ما أنبثو في سلالتهم من أشواك،إنهم يتواعدون بالورود ويتركون الأشواك لباقي الزمان.

فقال العجوز:إنك ذاك الإنسان الذي يفضل الصحو على النوم،السفح الشاهق على بقعة ارض مرهقة .إني رأيت فيك ليس شخصا بل أشخاصاً تتعارك لتنال الحضوة،إنها تخطو بتعسف ولكن الأقوى دائما ما يخسر إن قوانينك ،ليست مؤيدة للقوة بل الحكمة والذهاء ،وأكثر شخص فيك لينال شرف الصعود على العرش.لن يكون إلا متهوراً،فخوراً بحكمته وذكاءه.

فقال ڤولس: لم أفهم يا عمي ما قد تقصده من هاته الألغاز!

وأجابه عجوز: وحتى أنا لم أفهمك قط ،فأنتَ أول من قرأ لي هاته الرسالة بروح متفائلة تغطيها ترانيم حسناء،وباقي من قرأوها غيرك،قالو ما فيها بكل برودة وإثراء .

إن الثراء يا عزيزي أبداً لا يعني المال،فقد تعيش ثرياّ تعاني من الجفاء العاطفي،تنقب في كل حانة عن منْ يسكت ذاك الحنان الضائع.الثراء هو الحب يا بني خدها مني كنصيحة.

فقال ڤولس: أخدتها..أخدتها يا عم... إن المرءَ قد ينال شرف المخاطرة بشرط أن تكون على حساب الأخرين.
تم بدى ڤولس كولكسيز هائما يفكر فيما قد تفعله ناذين في ذاك الوقت،وتناسا أمر العجوز،فقال له العجوز:
بني،أريدك لخدمة !
فأجابه ڤولس : نعم يا والدي؟
فقال العجوز: هاته الرسالة قد بعِثت من عالم آخر،وأريدك أن تفتحها بعدما ننزل من هاته الحافلة!
إبتسم ڤولس قائلا: كيف ....ثم صمت! فتنهذ قائلا مرة اخرى: لا تمزح معِ يا جد فكلانا يعلم أن الجن ،والسحرة والعوالم أخرى لا وجود لها إلا في الروايات .
إبتسم الجد بصعوبة تجعل من جفونه تقطر ذماً ثم قال: لا تتسرع خد هذه الرسالة إنها بوابة لعالم يرشدك لتعلم من تكون وكيف تكون ! إنها الجنة يا بني فأحسن إنتقاء اشياءك،لربما ستجد من تحاول إيجاذهم على هذه الأرض....
إن في عالم لم يرى فيه إنسان إلا مالا يرضيه أبدا لن يصدق مثل هاته الحكاية ! ولكنك يا فتى تمتلك قلبًا بريئا يصدِّقْ.
تم قال ڤولس محاولا تجنب إثارة هذا الموضوع تانية ،إنه يكره الخيال لما هوعليه إيقاع واقعي .فنام العجوز في نصف التاني من الطريق ،فرغم كل تلك الهزات القوية التي تصاحب الطرقات الوعرة لتلك الحفالة المهترئة إلا أن العجوز بعذما أعطى رسالة لڤولس نامَ فوراً،كأنه ذبٌّ لم ينم طول شباته الشتوي.فلم يوقظه سوء القيادة لذاك السائق الأبله الذي يتزعم الحافلة ولا حتى تلك الدردفات المميتة التي ترعب كل ما في الحافلة.فأخد ڤولس الرسالة تثيره بقليل من الغموض لما سمع عنها من العجوز،وحتى شكلها لم يكن كأي رسالة عادية بل كانت مختومة بختم غريب مثير للريبة ،إنها كلوحة فنية بشكل مصغر تحمل رسوما غربية واشكالا قديمة جداً،فحاول ڤولس تفحصها،فأمسكه العجوز من يده قائلا: إياك،إني أعلم لمن أعطيت الرسالة،لذى لا تخيبْ ظنّ بِكَ،فلو فتحتها الآن لسرنا شتاتاً في هذه الحافة ولترامت أطرافنا جميعا نحو الخارج،لدى لا تفتحها إلا بعد أن تشعر أنك متوتر،بل أن أقدامك نفسها تطالبك بالرحيل !
فأخدها ڤولس وخبأها داخل جيب سترته الذاخلي ! وقال : حسنا يا عم ،أعدك بهذا ،ونام ڤولس على المقعد محاولا تجاوز الوقت ،فقد كانت المسافة بين

المزرعة والمدينة كبيرة جداً،لتصل إليها يسعك أربع ساعات وهذا إحتمال ضعيف في حالة لم يصب الحافلة أي مكروه .وحتى العجوز،بدى عليه التعب فأغمض عينيه محاولا النوم..إلا أن ڤولس لم يرى النوم بل إنشغلت أفكاره بالرسالة وبالعالم الآخر.و لحظة نظر يجانبه فرأى إمرأة تحمل طفلا صغيراً فتذكر والدته عندما أرسلوه عنذ خالته، وعندما طردوه من المنزل متخوفين من كلام الناس،لم يكن يجيذ الحقد أبداً إلا أنه عازم على عدم العودة لهم مهما فعلو.وخلال الطريق راح ڤولس ينحث شكل ناذين في مخيلته،بوقفتها المثيرة وإبتسامتها الساحرة،لقد علم الجمال أين يصبو،بل أين يعثر على
مستوطنته.فجاءه رجل آخر ذو منظر رثٍّ وملابس بالية يعرض على ڤولس شراء هاتفه القديم،ولكن ڤولس لم يتبقى له الكثير من المال،فتناقصى على ثمنه إلى أن قبل العجوز،وعاد الى مكانه مصاحباً لماله ،وقد حاول ڤولس الحديث الى ناذين،فبدأ هاتفه يرن....ويرن..... لا أحد يجيب ! إنتظر قليلا تم أعاد المحاولة فأجابه صوت ناعم " منْ معِي".
فأجاب ڤولس: أنا هو مزارع الشقي يا ناذين !
أجابته : أوه ڤولس،لقد نسيتك تماماً !سمعتُ أنك طردتَ من المزرعة !
رد ڤولس: أجل طردتْ،وأنا الآن في طريقي الى مدينتك !
إنبهرت ناذين وأقفلت الخطْ !
وبعد قليل إتصلت به ،قائلة" أن والدها جاء يدعوها الى وجبة الغداءِ.
وقد بقيَ ڤولس كولكسيز يحادث ناذين كل الطريق فيرسل لها شعراً رومنسياً وتعيد له برودة القلوب الميتة.الى أن وصل ڤولس للمدينة.وقد إنتهى شحن هاتفه مع إنتهاء زمن الوصول.
فقال ڤولس للعجوز: عمي لقد وصلنا هيا أفِقْ !
وزعزعه قليلا إلا أنه لم يحرك ساكناً،وفجأة سقط العجوز من على الكرسيّ مفارقاً الحياةِ، فإنبهر ڤولس لما رأى،فقد كانتْ أول مرة يرى فيها جثة قد توفيت تواً....فقال :
إن مصير إنسان غامِضٌ كخروج أرنب وسط البرية فإما أن يعود بصحة جيدة ومعه ما يسكت جوعه ،أو أن يكون وليمة لأحد المفترسين الجوعى...
ثمَّ ترك العجوز وغادر موقع الحافلات ينقب على منزل خالته في ذاكرته المهترئة،إلا أنه لم يتذكر إلا قليلا حيٌّ الذي لعب فيه عندما زارها أول

مرة .فأخذ يتمشى إليه بخطواته المحفوفة بالحذر ،إنه متخوف من رؤية أخته لوسي هناك،وما تكنه له من حقد،وعندما وصل الى الحي،قال في نفسه: إن مجيئي كان خطأ،وأكبر خطيئة قد أرتكبها هي أن أقصد خالتي فأحيي عقد سنين بيني وبين أختي .وإلتفت ڤولس عائداً الى الخوالي ،يفكر في كيف عليه جنْيُ المالِ،وأيُّ عملْ هذا الذي قد يصلح لهذا المزارع !... وفجأة سمع نذاءًا من بعيدْ يصرخ عالياً بنعومة ساحرة ورطوبة عذبة : بني ....إنتظرّ..... ،لربما رأيتك في مكان ما ، : تقول إحدى السيذات !

نظر إليها ڤولس متسائلا عن من تكون ؛فقال محاولا تذكرها :أنتِ عمتيِ رازلين.....(جارة خالته).

فإبتسمت السيذة بذهول " أوه هذا أنتَ يا ڤولس ! كيف حالك يا بني أين غبتَ،بحثنا عليك طويلا نحن وخالتك،فلم نترك مكانا إلا ونبشناه من أجلك ...

أجابها ڤولس: هربت الى قريتنا ،فالعيش غريباً أصعب من العيش رقيباً.

إن جاري العزيز لم يبْقِي قط على شعور تجاهه بالتقدير ،إنه ينقب في كل حين عن ثغرة يصيبني فيها بخلل قد يودي بحياتي ،فأتركه يزحف وراء أرضي ناشراً قدماه الطامعتان في ثروتي .

فقالت السيذة رازلين : هيا يا بني لاشك في أنك جئت لتطمئن على خلتك ،هيا لنذهب إليها ..

إمتنع ڤولس عن الذهاب وقال بمنتهى الحزن: رَغِبْتُ في أَمر،والأمرُ لم يرْغَبْ فـِيَ...

فتركها تحادث نفسها وغادرَ محاولا التغاضي عن الحديث الذي تحاول بطبعها خلقه.وتوجه نحو حديقة للحيوانات لينبش عن عمل فيها،فقد كان يؤمن أن مصيره مرتبط بالأرض وبحيواناتها إنه ليفني حياته وهو يتأمل ريش طواويس،وعنق الزرافات وقوقعة السلاحف،إنه يراهم كأصدقاءْ.إن هذا إنسان الذي يوفر مشاعره لأشياء تستحق أن يبذلها من أجلها أبذاً لا يمكنه أن يخسر ما يخسره الكثيرين.إنه حقا يعْرفُ مِنْ أَجْلِ مَنْ يبْذُلُ إ

دخل ڤولس الى الحديقة كزائر من الزوار الذين إفتتنهم منظر الحيوانات،وتوجه الى حارس أحد السجون يساءله عن وجود عمل ،فأرسله الى إدارة المتنزه في الجهة الخلفية ،وكلما خطى خطوة الى أمام زاد إنذهاشه لنوع الحيوانات التي توجد هناك.فوجد غرفةً تحمل إسم المدير فطرق مرتين وسمع صوتا يأمره

بالذخول ،فإذا به يتفاجأ.لقد وجد خالته جالسة تدير كل تلك الحديقة،وهي نفسها إندهشت من رؤية ڤولس فقالت له:
كيف علمتَ أنني أعمل هنا يا ڤولس ،لم أعهدك ذكياً كاليومْ.المهم فقد فرحت لرؤيتك يا عزيزي ،فرغم هروبك مني المرة الفائتة ،فلا يهم مادمتَ بخير.
فقال ڤولس موطئا رأسه الى اسفل: أتيتك باحثًا عن عمل ،ولو علمتُ أنكِ هنا لما جئتُ،فقد طُرِدْتُ من أصلي ،والآن أبحثُ عن أصْلٍ جديد،أنبته من نفسي.
فإبتسمت خالته ثم قالت: حسنا يا ڤولس ،فقد وضفتك ،إعمل جيداً،وهل رأيتَ الغُرفةُ المجاورة إنها لك ستنام فيها.وحتى وإن رغبْتَ في عودة لدراسة فقد أقتطع لك بعض الوقت لذهاب إليها.
فرِحَ ڤولس وقبل العمل من اليوم،وراح يوزع الأكل على الحيوانات ويستقبل الزوار بإبتسامة عاجزة عن الخروج من القلب.
وبعدما شحن ڤولس هاتفه،أرسل رسالة لناذين ولكنها لم تردَّ عليه حتى بعدما قرأة رسالته.وهذا ما أَزَّمَ حَـالته وجعله يشمئز من نفسه أمامها.فإمتنع عن معاودة إرسال لها قط.
فإنسان مهما أنكر ماهو فيه ،ليعاب بعدها فاضحا نفسه بأسوء الصفات التي تنطبع في دواخله.فريثما يولد هذا الإنسان الماكر يكون المكر قد جهز نفسه لإستضافة هؤلاء المحبطين.إنهم أسوء السموم التي قد تودي بنا نحو الجحيم .
وبعد أسبوع من عمله في الحديقة يطعم الحيوانات ومرة مرة يلاعبهم إلا أنه يرتبك كلما توجه لإطعام التماسيح،بل إنه يرى نفسه مكان تلك القطعة من اللحم الطري التي تنتهي في توانٍ بفضل براعة إفتراس ،ولا يخفى عنكم أنه ترعبه النمور ليس بفضاعة إفتراسها بل بجذيتها أيضاً،إنها تفرط في التعقل لوقت لا ترحم فيه أحد،بنظراتها المرعبة وأنيابها الحديدية،إنها حقا مخيفة ،فكم سيكون نبيلا ذاك الذي قد يرغب في تمثيل المشهد لنا مع نمر حقيقي وإنسان حقيقي يكون وجبته الدسمة !.
مَـلَّ ڤولس كولكسيز وهو يحوم حول أشجار الحديقة،وتذكر فجأة قول خالته أنه بإمكانه ذهاب الى المدرسة،وراح بملئ الفخر والبهجة ليطلب منها "خالته" أن تسجله في إحدى المدارس القريبة من الحديقة ليسهل عليه إتمام كل
مهامه .فقبلتْ،وفي يوم التالي صبيحة الأربعاء جاءته تتمختر برداء من الحزن

بينما كان ڤولس يتودد لإحدى الذجاجات لتضع له بيضا يغنيه من الجوع عند الغذاء.فوقفت عليه فجأة ،فإرتبك ڤولس وقال : هل قُبِلْتُ يا خالتي؟
فإفترش وجهها بالحزن والضمإ وقالت : لا يا بني ؛ لا يقبلون أبناء القرى ،فقط ابناء الأثرياء وطبقات المتوسطة؛وأبناء المدينة .
فإبتسم ڤولس مخبئا إنزعاجه،وألمه تحت إبتسامة جوفاء قائلا: لا عليك يا خالتي ،فعلنا ما يتطلبه الأمر مناوالباقي لله.
وفجأة قفزت الخالة من الفرح والجنون يركب ظهرها تقول: أمزح معك يا عزيزي،فقد قَبِلوك في المدرسة .إنها مدارس تدفع لها المال لتدرس.
ففرح ڤولس إلا أن فرحته لم تدوم عندما سمع أنها تدرس مقابل المال.فقال : خالتي هل دفعتيِ من جيبك؟ فأرجوك خدي راتبي وإدفعِ به كل ما يتطلب لأدرس.
إبتسمت الخالة وقالت: لا عليك يا عزيزي،لقد صرت رجلاً مسؤولاً،يبقى لنا الآن أن نبحث لك عن عروس ...
وراح ڤولس يطوف حول الحديقة ويصرخ،بملإ إرادته " سأدرس....سأدرس يا ناس..."
إنه يرى في دراسة شأناً عظيماً قد إختزله أهل المدن في وظيفة بالية.فقال أحد الزوار" يا له من أحمق،يظن أنه سيذخل الجنة،إنه لا يعلم أنه قد وضع أقدامه على ارض الشيطان!
في صباح الخميس،إرتدى ڤولس أجمل التياب وحمل في يديه قلما وكتابًا متجهزاً لزيارة المدرسة لأول مرة في حياته مع خالته،وها هو ذا يطأها مع باقي زملائه،إنه منذهش من الكم الكبير الذي يحتاج ليدرس ليصير كل طبيباً والكل محامياً،فقال متعجباً: أكل هؤلاء يصلحون لعمل واحد؟ كم ستكون فرصتي من بين هؤلاء لأصير كما يحلم هؤلاء؟ وواصل التقدم نحو قسمه فأوقفه أحد الأساتذة قائلا: إلى أين يا بني؟.
أجابه ڤولس: إلى حجرتي يا أستاذ!
فرد أستاذ : ماذا تقول؟
فشرحت له خالة ڤولس ما حدث مادامت هي من تمول تلك المدرسة.فقد قبلو منح ڤولس فرصة التعلم رغم أنه يبلغ عشرون عاماً.فدخل ڤولس حجرة الدرس حيت وجد أغلب زملائه من الفتيات وقيل أن أغلب فتيان لا رغبة لهم في دراسة

لدى يتغيبون.فجلس ڤولس بجانب أحد الفتيان فوقف الفتى منزعجًا يقول : هل سمحت لك بالجلوس يا عمْ؟ .
أجابه ڤولس : كلا ... فضحك باقي التلاميذ وحاول ڤولس البحث على كرسيٍّ فارغ ليتجنب هكذا مناوشات ..
إن أغلب هاته الأرواح المحبطة ،دائما ما تحاول إيجاد الفراغ لينفسو عن حقده الذفين،تلك الكراهية المسمومة التي أورثها الأغنياء في أبناءهم تجاه الفقراء...وللحظة جلوسه لمح من بعيد دخول إحدى الفتيات الجميلات،وهي تشبه ناذين كتيراً،فبقي صافناً في ملامحها يتفحصها من بعيد...فأغض ناظريه يقول:
يا لهذا الشيء،أصبحت مجنوناً أرى ناذين في كل فتاة ألمحها أمامي..
وفجأة جلست بجانبه فتاةٌ جميلة في أواخر الصف،فقالت له وهو يطأ رأسه على الطاولة: هل أنت ڤولس كولكسيز؟
هزَّ رأسه قائلا : نعمْ انا هو! من تكونين؟
ردت الفتاة الجميلة،ذات الشعر الاسود المتساقط : لقد أوصتني إحدى الفتيات بإخبارك أنها تريد مقابلتك عندما ننهي حصة العلوم!
فإبتهج ڤولس قائلا:حسنا...من تكون تلك الفتاة؟ ما إسمها!
ردت الفتاة : معجبـة سريةٌ ...
وجلس ڤولس مركزاً في الدرس،رغم أن عقله الصغير لم يستوعب ما كان يمر أمامه،وعندما إنتهت الحصة،رآى ڤولس أن زملاءه يغادرون حجرة الدرس ،وطبعاً هذا ما جعله يفعل مثلهم ،فقد كان عقله لايذكر ما قد يفعل أنذاك لدى فضل تقليد زملاءه .
وعند خروجه وقفت عليه فتاة جميلة تشبه نارين بشكل صارخ ذات القوام الصلب والعينين البنيتين والشعر المتساقط فقال ڤولس في نفسه: لو أن هاته الجميلة ترتدي حجابا مثل ما تفعل ناذين لأيقنتُ أنها هيَ نفسها حبيبتي .
فقالت الفتاة: هل هذا أنتَ أيها المزارع الفقير،هل سرقتَ أملاك جدي أم ماذا؟
ضحك الكل على هاته السخرية البشعة،ولكن ڤولس بطابعه الساذج لم يفهم المزحة،وظل واقفًا ينتظر الفرصة ليحادثها..

إن أكثر الحمقى سذاجة،من ولدو وهم يحاولون في كل أوقات التفاخر بسلالتهم البائسة،وإن رأيناها من حيت نرى كل أشياء لوجذناها حقيرة تظهر نبالتها في شكل إدعاءات مزيفة ...
فكثير من يعيش على وقع الخناق على البسطاء بدعوى الثراء العريض،والمكانة الرفيعة ،والسمعة التي تفوح في علاقاته البائسة،ولكن في الأخير يصاب عزيزنا بالعار مادامت إحدى أقدامه قد إنزلقت نحو الحقيقة،بدافع الخطأ فيبين الصدأ عن المعدنِ.ليفضح البائسون...يحتاج إنسان الى الجرأة ليفضح نفسه،ولكن هؤلاء لا يملكون منها شيئا.
إبتسم ڤولس بعد كل هذا التهريج وقال : أهذه أنت يا ناذين ،لقد اشتقت لك وراسلتُك كتيراً لوقت قلتِ لي أنك ستسافرين الى مدينة آخرى غير هذه.
إنذهش الكل ،وأغلب أصدقاء يتهاوشون في كنف بعضهم البعض يقولون:
اوووه تبين أن ناذين تعرف مثل هاته أشكال المتذنية .
فغضبت ناذين تقول: أوه لا أعرفه،فقد كان خادما لنا في المزرعة ليس إلا...وأنتَ يا ڤولس ،إن صديقتي هي من كانت تراسلك ولستُ أناَ،فأنتَ أبدا لا تهمني ،وقلتها لك ،أبدا لا يمكنني أن أحب مزارعاً فقيراً مثلك فأنا أحلم بفارس ثرِيّ يحميني من بؤس هذا العالم.
فقال ڤولس والعبوس يرتطم بجفونه الحمراء: وأنا أيضا أبدا لم أراسلك ،ولماذا قد أفعل ما قلتِ...
إن الحب أبدا لا يولد إلا في كنف الفقراء،أما أثرياء فذائما نجذهم يولون إهتمامه للمال ومكانتهم البالية ،إنهم أشبه بتلك الحجارة بدون قيمة تظن نفسها ذهباً خالصاً وسط وادٍ لمْ يرغب يوما بالجريان.
أحس ڤولس بالحجر و إرتفع شأنه وقال في نفسه:
الإنسان الذي يُذَلُّ بالحبُ،ليسْ إنْسانِا ماذام يتقبل هذا إذلال،عليه المغاذرة مهما توقدت شعلته أمام من يحب "
وَهَمَّ ڤولس بالرحيل ،حاملا في قلبه ألف حربْ،مع ألْفِ شعور بالخيبة وبالحرج،بالنذم ...،فكيف لا يكون هذا إنسان أعزلا؟
الأسوء هو أن يولد أمثال هؤلاء الساذجون ،ذوي القلوب البيضاء في مستنقع لضفادع تؤمن بوجوذ الوحل كطعام صالح للجميع.

فَشحن هاته أرواح البريئة يبدو سهلا عندما تكون تؤمن بضعفها وبأنها تستحق كل ما يحدثُ لهاُ،إنها المكبُّ الذي منه تفوح كل الروائحْ.
". لاتتوقف عن صنع المفاجأت لنفسك،إشتري هدية وأرسلها في بريد يحمل إسما مجهولا وعنوان إقامتكَ ،وأخرج في الصباح الباكر متحمساً لإستلام الطردْ بلهفة مخاذعة،فليس المهم أن تبدو الهدية من غيرناَ،فنحن قادرون على إسعاد أنفسنا بأنفسنا... فقط حاول."
" فليس الإنسان سوى نفسهُ،وكل ما يحدث له نتيجة لقراراتهِ،فأفضل القراراتْ تفضي الى أحسن المصائر وأغبى القراراتْ إما تخلص لطريق مسدود تملأه الحماقاتْ، أو إلى الجحيم نفسه...

" فأرجوكم علينا من الصدماتْ،إن أقبح ما يثعب المرءُ ما يحملهُ في نفسهِ،من صدمات إننا مجرذ زجاجات فارغة من الكحولْ،فلمسة من يد
السكيرْ،تنهيناَ،وتكسرناَ،لدى عليْكُم بِنفَسٍ واحدٍ فهو يكفي لتحريكناَ،فأرواحنا هي زجاجات ليسَ إلاَ،فذرة من الشتاتِ كفيلة بتحطيمنا.

الـفصـل التــانــي :

ثُـغَـور من الأمــلْ

ولادة الإنْـســانْ"

كيف صار مصير ڤولس كولكسيز،بعدما كان مجرد مزارع فقير ليصبح إنسانًا مُهِمًا،لا تكتمل المهام بلاهْ"

في تلك اللحظة، تخلى ڤولس كولكسيز عن كل آماله ،وأحلامه، وغاذر الحديقة التي كان يعمل فيها مخلفاً وراءه ذكرياته المؤقتة مـع أناس محبطينَ،أحبطهم هذا العالم القاسي،وتوجه نحو إحدى الحافلات عائداً الى قريته،ولكنه في الطريق إلتقى رجلا أربعينياً مكسور القدمين ساقطاً في الشارع ،يحاول النهوض بصعوبة،وكل من مرَّ علَيْهِ تأسفوا لحاله وتركوه يمضي في المحاولةِ،الى أن جاء ڤولس وساعده على الوقوف ،فأخذه الى منزله حيت يقطن في حيٍّ يدعى حَيَّ النَّشَـالينْ،وعندما سمع ڤولس بإسم هذا الحيْ ،إرتعب من أن يكون من ساعده أحد اللصُـوص.ولكن ڤولس كعادته قاوم ما سَمِـعَهُ،وتحلى بروح المغامرة في إكتشاف هذا الحي المجهول،راكضًا وراء فضوله في نبش سبب التسمية،وبين ما سَمِـعَهُ،وتحليه بالشجاعة والجرأة في إقتياد الُمغامرات نحو قلبه المقذاذ.وفجأة وقف الرجل الربعيني يومئ خاصرته بعدم قدرته على المزيد من السير كأنه أوقف مسير الزمن في مفاصله تحت تلك التياب الرثة المتشردة،وبين مفاصل ذاك الجسد النَـحيل حيت تصيح كل العظام َطـالبَةً النجذة،إنها لفضاعة أن نشيخ ونحن صغار مع هكذا جسد خصب وهش تكسره أنياب الصبى وشقاء الدهر.

فقال العجوز: بني أتركني هنا،فلم أعد قادراً على المشيِ وجسدي هذا لم يعد صغيراً ليُـحْـمَلَ على الظهْر.

إبتسم ڤولس وقال: دعك يا فتى ،فالشيخوخة أبداً لا تصلح لشبابك اليافعِ،لَـتزَال قَـادراً على المشيِ...وأنا هنا أحملك حتى أبلغك الجَبَلْ.
فهَمَّ ڤولس بحمل العجوز رغم ثقله،فيخطو يمينا ثم شمالا كالسكير الذي أغوته كل الكحول حتى الرخيصة منها ،محاولا توصيل العجوز دون أن يتركه يمضي لوحده في حيّ كذاك.وهاهو ذا ڤولس ينجح في إيصاله لوكره الصغير في قلب حيّ نَـشَّـالينْ،وفجأةً جلس العجوز برفق على المنبضة يقول لڤولس:
لم أرى في حياتي شاباً مختوماً بصفات الحسنِ مثلكَ،وقليلون من قد يبْـدون شيئا ليساعدو الآخرين .لقد أصبح هذا العالم موحشًا حقاً،ليموت الضعيف وهو يحاول النجاة من ضعفه تحت أنظار السكارى البائسين .فشكرااا لك يا بنيْ على خيرك هذا الذي لن أنساه ما حييتْ.ثم غادر ڤولس كولكسيز عائداً نحو المحطة ليستقل الحافلة،ولكنه وجد خالته تبحث عنه وتنقب كل الأماكن وقد توقفت عندما سمعته يتحدث الى صاحب الحافلة يسأله عن موعد إنطلاق. فأمسكت به خالته وهو يحاول التملص من رؤيتها،فَـأعادته الى حديقة فظلت تسأله عن سبب تركه للعمل ؛ ولكنه أنكر الحقيقة وقـال: نحن في بيئة لم ترقى بعد لتكون في حُسْبان كل من يبذل أشعوراً تجاه شيء ما،فنحن نكتفي بالتسمع على ثرثرات الآخرين متناسين أحاسيسهم وعواطفهم.
إبتسمت خالته تقول: هل وقعت في الشراك يا ڤولس ؟
غضب ڤولس والعبوس يجلس فوق جبينه قائلا: أبداً فأمثالِي لا يَـصلحون للحب.
إبتسمت خالته وهي ماسكة إياه تجره نحو الحديقة تقول:
لماذا،لا تصلح للحب يا عزيزي؟ ومن أخبرك أني قصدتُ الحبَّ بكلامي؟ فكل من في هذا العالم،قد يجذ من يماثله في الصفات،بل في بذل الحب نفسه،إنهم في مكان ما،ينتظرون بفارغ الصبر أن يجدو أمثالهم.
إبتسم ڤولس يحاول إخفاء إنزعاجه يقول: ولد الحب للفقراء،ولا فقير قادر على الحب.
أجابته خالته: هل ترى في نفسك أنك أفقر كائن على وجه أرض؟
ڤولس: طبعاً كل مزارع ينال نصيبه من الفقر،ولست أقل المزارعين حظاً..
وصلت الخالة الى الحديقة وكلها تأنيب لنفسها ،لمحاولة ڤولس مغادرة ذون علمها ،كأنها تظن أن سوء العمل والبيئة التي تواجدَ فيها لم تناسبه وجعلته يكره

البقاء فيها.وسرعان ما غيرت رأيهَا عندما تكلم لها ڤولس عن الحب،فأيقنت أنه قد وقع في فخ إحداهنَّ،وتلك الأحد بفضلها أتى الى المدينة.
فقالت الخالة: لا تظن ناس كلهم سواء ،فطباع ناس متشابهة وأرواحهم مختلفة كل تندفع وراء غايتها.
فقال ڤولس محاولا تناسي الأمر: طبعاً،فأرواح المنحطة تبدو مزهرة على الذوام وتلك البيضاء الفاتنة متسترة تحت صمتها الأخاد ،فكل هذوء وراءه عاصفة.
ثم عاد ڤولس لعمله في الحديقة،وأمتنع عن العودة الى المدرسة ،ولكنه في اليوم التالي وصلته رسالة طرد من المدرسة تخبره بأنه لم يحضرلاربع ساعات متواصلة مما أدى الى طرده منها ولكن هذا ليس السبب الحاسم،فقد إنتشر الخبر أن ڤولس كولكسيز مجرد مزارع فقير،بينما تلك المدرسة لا تدرس إلا أبناء الأثرياء ومنابت طبقة المتوسطة.ومرة لاحظ ڤولس أن هنالك شابٌّ يزور الحديقة كل يومْ،ليلقي نظرة على السناجب إنهم يمثلون حسب ما قيل لڤولس أصدقاءه المخلصين،إن الحيوان الذي ننسب له كل ذرجات التوحش يمثل في أغلب أحيان أفضل صديق الذي قد يمتلكه إنسان ما.
وقد أطلق عليه ڤولس إسم" سوييروز" مادام قد أخبره بقصته؛والتي من خلالها طلب منه عدم سؤاله عن إسمه،لما له من إحراج في قلبه .وقد أمضو قرابة شهرين وهما يلتقيان كغرباء في مدينة غريبة عنهما،ومرة وهما يتنزهان وسط المدينة ،وقفاً تحت منظر مخضر تزهو به أشجار المثمرة ،يتأملان جمال المتنزه ،وبعض الفتيات الحسناوات،لقد كان صديقه سوييروز شديد المكر،فيجيذ تصنيع الكلام،وصباغة أي كيان أراد ببعض الكلام المعسول،وقد كانت نقطة ضعفه،هو الفتيات،إنه لا ينفك يترك واحدة في حالها،يراقص الكل على أنغامهن،زير نساء بريئ.وهذا ما كان ڤولس يكرهه فيه،حتى أنه في يوما ما غادره منسحباً من صحبته السيئة ،فعاد سوييروز ليراضيه في اليوم التالي.
وقف ڤولس مع سوييروز بجانب نفس المدرسة التي طردته،بدى يحكي له عن سبب طرده فقال سوييروز:
أنا أيضا لم يحالفني الحظ،لألجها،بفضل يتْمي..وفجأةً خرج سربٌ من التلاميذ يبدو كأنهم أنهو فترتهم المسائية في الدراسة وڤولس مترقب خروج ناذين فقد إشتاق لرؤيتها رغم ما إفتعلتْ له من إحراجْ.

وبينما هو شارد في الشباب يخرجون كالفئران من جحرهم ،فإذا به يرى سرباً من التلاميذ يخالطون أصدقاءهم،فقليلون الذين يحملون محافظ وأكثرهم شباب الذين لا يحملونها،ربما هم مجرد أصدقاء أتو لزيارة أصحابهم في المدرسة .وفجأة رأى ڤولس فتاتين آتيتين نحوه من بعيد يحوم حولهما بعض الشباب لربما اصدقاءهما،فقد يبدو أمر كذلك ولكنهم أشبه بعصابة من الثعالب يقودها فتاتين ،وبينما الفتاتين العشرينيتين يتجادلان بقوة،الى ذرجة يكادان يتعاركان بأيدي،فتمسك إحداهن أخرى من شعرها وآخرى تصرخ من ألم مؤنبة إياها مما قد يحدث،وفجأة،تذخل أحد الشباب ولا أحد مدرك للأمر،فكل شيء يبدو عادياً ومألوفاً لهم.فتذخل أحد الشباب ممن يرتدون ملابس الأنيقة وذو الشعر الاسود كفراء كلب يسير نحو الزوال،بموضة هذا العصر المريض،فأخرج سكينه وأمسك إحدى الفتاتين وذبحها علوة والكل متجمهر حولهما لكيْ لا يظهر من فعل الجريمة،وتركها في دماءها راقضة،وهرع الكل للهرب حتى الفتاة التي أنشبت الخلاف.وقد ظلت الفتاة منبطحة على أرض تصارع لتعيش،ولا أحد من المارةُ حركه شيْء،بل كل من رآها بسق بسقة لما ترتديه من لباس كاشف يقولون" مصيرها وله الحق فيها"...
وعندما رآها ڤولس،إنقشع لونه،وإندهش لداك المنظر الموحش فقال :
إن إنسانية الحيوان،أقدس بكثير من حيوانية إنسان.وقد حاول إسراع لمساعدتها،ولكن صديقه منعه من الذهاب بدعوى أن الذين فعلو لها ذالك سيعودون ليفعلو به مثلها ،فهذه هي قوانين المدن.ولكن ڤولس بقلبه الطيب،لم يخفه التحذير وراح ليساعدها،فقد حملها بين يديه وكل أنظار منصوبة عليه يقولون" مسكين سينال ما أوردته فيه تلك إنسانية المريضة".فأخدها لمستشفى خاص،ولكنهم لم يستقبلوه بل قيل له أنه ينبغي دفع لمال وڤولس مفلس حتى الآن،فقال لآخدها لمستشفى العام،إنه مجاني،وبعد جهد كبير من البحث وجده،ولكنه فارغ من الأطباء والممرضين لم يرضو بمساعدتها،إلا إذا ما كلفه أمر قليل من المال،وقد حاول إخراجها من المستشفى تلك التي ظن أنها مجانية ولكن الحرس منعوه يقولون: لتخرجها ينبغي عليك دفع المال لصندوق مساعدات ! ابتسم ڤولس مع ثقل الفتاة ولحد الآن لم يرى وجهها،قائلا: صندوق الدعم قالْ هههههه يا لكم من نَشَّالين ،حتى حيُّ النَّشالين أكرم منكم يا حمقى... فكيف لكم أن تظنو أنني سأدفع المال للاشيء،فحتى من يصارع الموت تدعونه

يغرق في جحيمه لوقت تجبرون فيه عائلته بدفع مال مقابل إخراج الجثة...لن أدفع شيئاً..فصرخ ڤولس بقوة إهتز على وقعها كل المستشفى فقال أحد الأطباء : دعوه يخرج دراهمه لن تكفينا حتى لشراء مبيذ حشراتْ...وخرج ڤولس يحاول النجاة بالفتاة من أنياب ومخالب الذئاب .فوجد رجلا عند مخرج المستشفى فسأله:

يا عمْ من يمتلك هاته المستشفى!

أجاب العم: إنها لدولة يا بني !

ڤولس:ماذا تفعل هنا؟

العم: أخبروني أن هذه المستشفى مجانية تعالج بقليل من مال الفقراء،ولكن عندما أتيت إليهم طلبو مني رشاوي،بل حق عملية تساوي مليونين ،وأنا على حد الكفاف،لا أملك ولو قرشين .وها أنذا أنتحب لوجودي،على هذه أرض التي لم ارى فيها إلا الأكاذيب ،فقد كنتُ بصحة جيدة وسمعت في التلفاز بوجود هذا مستشفى مجاني،ورغبة مني في إختبار صحتي هل هيَ جيدة..جئتهم طالباً النجاة ولكنهم زرعو في كبدي جرثومة ليسلبو أموالي وكل قرش أملكه .فما قصة تلك الفتاة على ظهرك يا بني..

رد ڤولس: إنها صديقتي تعرضت لإعتداء وجئت لأسعفها ولكنهم إمتنعو عن ذلك.وقدحرت ماذا أفعل الآن !

فقال العجوز: رحْ بها الى حمام قريب ليتوقف النزيف وخد لها بعض ادوية وضمادات وخد هذا إنه رقم صديقي دكتور خاص أخبره أنك تعرفني وسيساعدك بدون مال حتى..قلْ له أرسلني" قاف .ع.2." ،ابتهج ڤولس قائلا: أهذا لغزٌ يا عمْ؟

رد العم: نعم،نحن الشيوخ كلنا ألغاز،وألغام،هيا إذهب قبل أن تموت تلك الفتاة... وفجأة وبعدما جال ڤولس كل أَماكن باحثا عن حمامْ يضعها فيه،وجده بكل صعوبة،وقد أدخلها لحمام النساءْ بعدما أخرج كل النساء منه،وطبعًا لقد نال ما يراد من الشتم إذ قالو عنه" مختلٌّ عقليًا،منحرف بغيض ....وهو يبتسم لهن كالمجنون ،وعندما أدخلها أجلسها في المكان الساخن فإنقطع صيت الذماء وأزال ملابسه الخارجية وكل النساء يتجسسن عليه من وراء الباب.وكلهن حيرة فيمن يكونان فتقول إحدى السمينات " يا ويلي رجل في حمام النساء،ألم يخجل من نفسه فمحروم على الرجال دخول هاته الأماكن،ومع فتاة أيضاً هذا جيل لم يعدْ

يطاقْ،إنه بذون خجل،وقحون للغاية. وبعدما توقف النزيف،تطلع ڤولس ليرى وجه الفتاة لأول مرةْ،وقد تفاجأ بمن تكون إنها ناذين نفسها تلك الفتاة المتكبرة التي جعلته مسخرة بين أفواه الحمقى،فتسارعة نبضات قلبه،وعيناه منصوبتان على وجهها البريئ،يناذيه صوت من بعيد بتركها كجثة تنتظر الفناء بكل إخلاص،وقلب صاخب يُـجبره على إنقاذها،فكيف لا يحتمل المرؤ وِزرَ الحماقات عندما يتعلق الأمر بالمعشوق،فحملها ڤولس بين دراعيه النحيلتين وهي بدورها تمسكه بقوة كأنه عناق أشواق التي ذامت قرون من الفراق ،"فكم هو مؤلم أن نرى شخْـصًا نُحِـبُّهُ على وشكِ مغَـادرَتِنَـا،ذون أن تَكون لَـنا فرْصةَ لقاءِه تانيَـة،إنَّـهُ شَـوْقٌ مَسْمُومْ..بدتْ له تصارع لتبقى على مقربة منه،وقد وعد نفسه بألا تذهب إلى مكان إلا وإرتضاه لها،فخطى ڤولس في شارع مهجور تلفه الظلمات وحتى الكلاب والقطط مستغرقة في نومها،فإذا به يجذ ورقة في جيبه تحمل عنواناً ما،فتذكر نصيحة الأبل " صديقه" ،و العجوز معاً،فأخذ يخطو خطى المريض بثقل ناذين وخوف القلب المأثور الباكي،فإقتاده الزمن الى حيِّ النَّـشالين،حيت كان اول مرة،وفي نفس المنزل ،ولربما نفس الرجل حتىَّ...فدق الباب ويداه ترتجفان من الثعب والخوف لضياع نـاذيـن من بين يذيه .
" فحتى القلب القاسي يلين،عندما يتعلق أمر بالحبيبْ"
وفجأة فتح العجوزالباب قائلا : أوه هذا أنتَ...ادخل يا بني...
دخل ڤولس متسائلا عن سلوك العجوز،كأنه كان ينتظره بفارغ الصبر .فقال ڤولس:
هل أنتَ هو...قاف. ع. ٢.
رد العجوز: نعم هو ..انا الطبيب لاوسكي ريلتشرد،طبيب عسكري متقاعد...فما بال هاته الفتاة أهي حبيبتك؟
رد ڤولس مومئاً رأسه الى أسفل: لا إنها غريبة عنيِ ولا أعرفها حتىَّ،لقد وجدتها مرمية على القمامة قد أقرفت اعين الناس منها،فتداركت الوضع لألا يضع وقت القدر سدىَ.
ضحك لاوسكي العجوز وقال: عيناك تضيئان ضوياً يا بني،وهذا هو الحب ،لذى لا تقاومْهُ يا ولديِ،فأكبر خسارة هي أن نقف ضد من نـحِـبْ.
وأخذ العجوز لاوسْـكي يضَمدُ جُـرح ناذين ولكما لامس جرحها قفز ڤُـولسْ يتَـألمُ،فقال لاوسكي ممازحاً:

هذا هو الحب الحقيقي يا بني !
ولكما رآى ڤولس ناذين تتألم أدار رأسه خشية أن يرى العجوز دموعه المتساقطة،إن القساة دموعهم غالية،يعرفون متى يبدلونها ولمن يبذلونها.وعندما إنتهى الطبيب لاوسكي.جلس مع ڤولس على طاولة يتحدثان عن سبب إصابة ناذين ولكن ڤولس أنكر خوفاً من إبتداع المزيد من المشاكل.وقد حكى له قصته كاملة ورغبته في إيجاد عمل يقِيه من التشرد والجوع.فقال لاوسكي:
لك عندي عمل،وإن وجدوك فيه بارعًا سترتقي الى مراتب عالية تفع من شأنك،فأنت قد ساعدتني من قبل وقد أحببت أن أرُدَّ لك جمِلَ ما فعلتْ".
إبتسم ڤولس وأنظاره متجهة نحو ناذين تم قال: حسنا أقبل،ولكن قبلا،لماذا تنكرت في لباس متشرد في اول أمر عندما أتيت بك الى هنا؟ ألم يكن عليك إخباري من تكون !
فقال لاوسكي: لو أخبرتك بمن أكون ستكون مجبَراً على مسَاعدتي. فهل رأيت قدماي إنهما في صحة جيدة،فأمر لم يكن إلا خدعة لأجدَكَ بـهاَ!
فالمرؤ دائما يرفض مساعدة البسطاء،ولكنه مجبرٌ على تقديم العون لأصحاب المكانة الرفيعة،دوي الشخوص المتينة في إدارة الدولة.
فقال ڤولس: هاته فهمتها،ولكن لماذا حاولت المزاح معي؟ بل لماذا كنتَ تبحثُ عنيّ..ألم يجذر بك أن تأتيني مباشرة،فلا أظن أنني قد أرُدُّكَ.
إبتسم لاوسكي قائلا : لَسنا جَيذين في الاجابة ،وقد تكون أفضل بإمتناعك عن طرح مثل هاته أسئلة.
وفجْأة وقَفت نَاذين،فرأت ڤولس وعادت الى نومها مغمياً عليها،وحينئذ خاف ڤولس وأسرع إليها يحركها لتستفيق يظنها توفيتْ بعد تلك السقطة المريعة،ولكن لاوسكي الطبيب إطمأنه في شأنها تم قال:
لا داعي للخوف،فأمر عاديٌّ،والآن تعالَ سأرسلك الى مكان حيت ستصبح أفضل رجلٌ،بلْ أفضل جُنْذيّ...
تعجَّبَ ڤولس تم قال:جُنْذِيْ منْ أناَ !
أجابه لاوسكي : نعم أفضل،سأجعلك كذلك إن قبلتَ طبعًا!
ففرح ڤولس وقال: نعم أقبل ! أريد.أن أكون أفضل !

وفي صباح اليوم التالي عنذ ساعة الخامسة فجراً افاق لاوسكي وأيقظ معه ڤولِسْ،وأخبره بما يفعلْ،وأعطاه كتَبٌ صغيرْ،وأتصل بشخص ما على الهاتف فقال له "ڤولس":
أحزم حقائبك ،وخد معك القليل من تيابي،وإنتظر عنذ الباب ! سيأتي الرائد سيسيل موكانزي ليَستقلك الى التكنةِ حيت ستتدرب على يديه،إنه بمثابة إبنٍ لي ،وستكون ضيفه لأربعة أشهر ،فكن جاذاً يا بني ؛ وأعدك أنك ستكون كما أحببت أن تكون! فهذا العمل يتطلب الجذية والمعقولية في أقصى حليها .
وفي صباح الباكر حمل ڤولس نفسه مغادراً مع الرائد سيسيل ! في سيارة الجيب.وقد كانت آخر ما قاله ڤولس لاوسكي الطبيب:
يا عمي أوصيك بناذين،فقد أوصَيتك على روحي،إنها ورغم ما حدثْ فإني لزلْت أراهَا كشمسٍ تضيء أرضي. ولديَ لك وصية،فأرجوك أبدا لا تخبرها عني مهما قالتْ،فهي محثالة تجيذ التأثير على المشاعر.وأخبرها فقط هاته الجملة:
لنبحث سويا على نفس الثقوب التي تملأ الروح،فلستُ قادراً على لومك عنذ ضياعها،ولست ممن يجيدون لوم أحد عندما يتعلق أمر بقلب مجروح تنسفه ثقوب الزمان..
. من معجبك السري.
ثم غادر ڤولس كولكسيز لإتمام مهمته،وبعد أربعة أشهر عاد الشاب ،بشخصية أخرى ولباس أنيق كأنه ولد حديثاً بعقل راجح ،و شخصية قوية ،يرتدي لباس الجيش،كأنه أتم كل إستعدادته لينضم اليهم ،والشيء الوحيد الذي كان يشغل باله طوال تلك الفترة حال ناذين حيت كان يتصل برقيب السابق لاوسكي ليخبره عن حالها،ولا ينفك التفكير في مدى إحراج الذي عاناه بسبب وضعه إجتماعي ،وأنه مزارع فقير لن يقبلَ به أحدٌ،وهذا ما جعله قوي العزيمة وصلب إرادة.وفي شهر نوفمبر عاد ڤولس كولكسيز الى منزل العم الكائن في حي النَّشَالينْ،بعد أن أمضى سنةً وهو يتدرب في المعسكر النيڤار التابع لقيادة الغربية لمدينة كيرتون.
فدق ڤولس مرتين وفتح له العم لاوسكي والفرح بادٍ على وجهه،فعانقه وأدخله المنزل تم قال له :هل أدركت ما كنتُ قد قلته لك؟
رد ڤولس: نعم سيدي!

فقال لاوسكي: لقد تجاوزت إختبار الأول،وبدوت الآن تعلم ماذا يفعل الجيش،ومن الآن فصاعداً ستعمل معِي أنا!
اندهش ڤولس قائلا: هل سأعمل جراَحاً أم طبيباً بديلاً مكانك ايها الرقيب!
إبتسم لاوسكي قائلا: ستعيش الدور الأمر أكبر من جراح بسيط ! ستكون جاسوساً،ومخبراً محترفاً لدى تعلمْ مني قدر إستطاعتك!
تحمس ڤولس وقبل العرض،وقد كان لاوسكي يجزه له إختبار ليكتشف قدرة ڤولس على الحفاظ على الأسرار ،ومواجهة أوضاع التي قد يوجد فيها،فإختار له مهمة أن يلاحق إحدى الفتياة اللواتي يعرفن ببيع الحبوب والمخذرات والقتل العمد أتناء مزاولتها لعملها كمضيفة حانةَ تصطاد فرائسها الأثرياء بجمالها الناصع وجسدها الفاخر تم تقتلهم وتقطعهم إرباً،وتبيع أطرافهم لمستشفيات تحتاج للأعضاء،وهذه كانت مهمة الأولى لڤولس كولكسيز،وقد إقترح عليه أن يخفي هويته ويتعامل معه على أساس رمز سريّ لا يعرفه سواهما،فقال ڤولس:
سنختار رمز،كينذو ذ.ع!
فرد لاوسكي : لماذا إخترت هذا الرمز ؟
رد ڤولس: إنه إسم قبيلتي التي تخلت عني !ونصف تاني"ذ،ع" هو لحبيبتي ناذين،ومادمت أتذكرها يصبح دافعي قويا،ومن السهل تجريبُ كلُّ شيءِ...
لاوسكي:حسنا يا ولدي لك ما أردتَ.
فتوجه ڤولس كولكسيز الى مدينة التي كانت تحتضن إختبار،مع المال المطلوب لتأمين الكراء و الطعام،وقد كان ڤولس يفكر في العمل بقرب تلك الفتاة التي تتاجر في أعضاء وهاهو ذا يضع قدميه في مدينة كلازيسك القريبة منه،يتفاوض مع نفسه في أي مكان يضع فيه جسده المثعبْ،فأول ما خطر بباله أن يجد عملا في نفس الحانة التي ينبغي عليه مراقبتها،وراح الى مالكها يتودد اليه فوجده يتسكع مع إحدى الجميلات بعدما قام باللجوء الى وتائق تمكنه من معرفة كل ما يدور في تلك المدينة من أسماء حتى أفعال أصحابها.فذهب إليه محملا بالحقائب،والتياب مشردة ليستميله إليه،بعدما تنحب ڤولس أمام قدمي صاحب الحانة،وهو جالس مع عشيقته في أحد المطاعم المشهورة،لم يكنْ ليقبلْ لو أنهُ كان في مكان غير ذاك،ولا لشخص فقير كڤولس كولكسيز؛فَقَبِلَ صاحب الحانة توضيفه،وأخبره بقدوم في المساء لبداية العملْ.

وراح ڤولس جَـالِساً في إحْـدى الحَـدائِـق المقابِـلة للحانَـة ينتظر بفارغ الصبر قدوم المساء،ليبدأ العمل!فرأى فتَـاةً جمِـيلة تَـرتـَدي من التياب ما يجعلها توصف بالجميلة،بل بالفَـضِـيعَـة فقد كان نصفها عاري ونصف آخر شوهَـته الشمس،فتذكر نَــاذيــنْ وأذمعتْ عيناه من فرط إشتِيَــاقِ.فقال حزناً:
إن أسوء ما قد تنجبه إنسانية هذا العصر،هو كما يمكن أن نسميه المتهور الشغوف،ذاك الخصم العنيذ الذي يمكنه أن يصمد وأن ينحني لشقاء هاته أيام في الوقت ذاته.إنه ماكر وفي الان نفسه بريئ،خجول وجريئ ..ولكن ما يكسبه صفة القباحة هو العذر الذي يخفيه تحت سترته الوفية،لنقل أنه بمثابة تلك النقطة من الشغف التي تخفي بحراً من إنحطاط والذعر،فطالما أعتُبرو من المتنمرين أعداء النجاح،لا يدعون إنسان يبدع في شيء،ولا هم يفعلون ذلك .إنه أكثر السموم وقاحة حيت يعصف بأرواح وليس فقط الجسد وحده،لدى من المحتمل ان يزيد هذاالعالم شقاءاً ماذمت البطون تسرع في إنجاب مثل هكذا خطيئة.
فجاءته تلك الفتاة العارية تقول: لقد سمعت ما قلتْ،ألزلتَ تعيش في عصر الظلمات،عقلك البدائي أقدم من أوانينا المنزلية!
تعجب ڤولسْ وقال: كيْفَ سمعتني وأنا تكلمت بيني وبين نفسي؟
ردتْ الفتاة: تتوهم يا عزيزي،فقد كنتَ تقولها في العلن،صامداً إصبعك فياً تقول أنني فاجرة،لا تصلح لا لأن تكون زوجة صالحة ولا أماً افضل.
ضحك ڤولس تم قال: يا ويلي،لقد قلتها في نفسي ،فكيف سمعت كل هذا الكلام! إنها مخلوق عجيبْ.
فقالت الفتَـاة: إن هذه الموضة هي التحضر وإن لم يعجبك فحثما أنتَ قرويٌّ بَـائِسْ،لم يصلهُ العلم بعدْ.
ضحك ڤولس بسخرية تم قال: نعم قرويٌّ وأفتخر بنفسي،بجهلها وعلمها،فلو خُيِّـرْتُ بين أن أموت في المدينة او أن أفنى في قريتي ،لإخترت قريتي،إنها ورغم ما عرفته منها من قسَـاةْ،فإنها أنقى أماكن حيت يولد فيها العظماء،ذوي النفوس المطبعة بالعز والشغف الماطر.
ضحكتْ الفتاة بخبث وقالت: شغفكم وعزكم الى القمامة أيها المتوحشون.فطالما رأيتم في حريتنا الشخصية عيباً فستظلون متوحشون تطوقون للحرية!
فقال ڤولس بإنزعاج:تظنين أنتِ وسلالتك المتخلفة ،أن الحضارة والتحضر والحداثة بتعرية أجساد وإرتداء ملابس كاشفة،ولكن الحقيقة أنها أكبر مهزلة

عرفها العقل العربي،فقد تطور الجسد قبل الفكر وهو ما يعانيه حتى الأن شَـخْـصُنَاَ التقافيِ..
إن تلك الموضة التي أذخلوها عن طريق إعلام لم تكن إلا سمٌّ لطيف يأسر أذواق العمياء في دائرة إستهلاك،وإرتداءكِ هذا اللباس ذليل على أنكٍ من بين أولئك الحمقى المحبطين الذين وقعو في فخ إستحداثْ..
فوقف ڤولس مبارزاً ونظراته منصوبة عليها فقال : نحن المزارعون ذوي إرادات الصلبة والعزيمة التي لا تقهر فنحن نعيش أشقياء ونموت بشقاءنا،عكسكم أيها المدللون أصحاب المدن فكل المشاكل تنبع من أعماقكم ،والحقيقة أنكم أنتم المتوحشون وليس نحن.وفجأة وقف رجل ضخم ذو الملامح الطفولية أصلع الرأس ،قوام باهر يرتدي سروالا ضيقًا للجينز أبيض ،وقميصا أبيض وسلسلة حديدية يربطها على عنقه.فعندما وقف على ڤولس إنذهش كأنه رأى كوكبا عظيما قد حجب أشعة الشمس عنه،فقال بصوته الرعدي:
ماذا تفعل مع عشيقتي يا هذا!؟وأمسكه من عنقه بيديه العملاقتين،وڤولس نفسه إرتبك ولم يعرف ماقد يقول أنذاك !
فقالت الفتاة: مهلا يا عزيزي،إنه فقط كان يتغزل بي طوال الوقت،فقد أجبرته على الذهاب منذ أن بدأ ألاعيبه الخبيثة معي،ولكنه كان عنيذاً وظل يضاجني ويتغزل بي الى أن جئتَ،اووه الحمد لله.
تعجب ڤولس وقال: لعنك الله يا خطيئة الأربعاء!
عبس الرجل وقال: كيف تسمح لنفسك بالتغزل لفتاتي ألا تعلم ان لها عشيقاً وزوجاً يحميانها من قساوة الظروف!
فقال ڤولس: مهلا ...مهلا ألست زوجها؟
ضحك الرجل وقال: أترى هذه العضلات يا بني !
ڤولس : نعم رأيتها!
الرجل: إنها من إصطادها ولستُ أنا،فناذراً ما تجد فتاة جميلة كهذه متزوجة من رجل قوي مثلِي...وإن أغلب من يتزوجن،يأخدونه ذو بطن منفوخ،أصلع الرأس ملابسه الرثة تبكي حاله،لدى فإن زوجته تلجأ إلينا لنغطي على بشاعته وفقره.
ڤولس: اذن أنتَ عشيقها؟
الرجل:نعم كما قلتْ.
ڤولس: هههههههههه .أهذا يا سافلة هو تحضركم ؟ أجيبي أيتها الساقطة ههه!

حينئذ أخرج الرجل سكيناً صغيراً من فردة حذائه،وعندما لمحه ڤولس ذبَّ هارباً،جسده الهزيل الشاب،خلفَ قدميه السريعتين.
فالناس لا يعنيهم قولك الصدق،قل الكذب،مع القليل من المكر وحلاوة اللسان،لتجذ كل أحمق يجلس خلفك !
إن أكبر فشل يوجد فيه إنسان هو إختيار شريك حياته،فإذا كان له قليل من الحظ ستخونه زوجته مرة واحدة مع شخص واحد،وإن كان سيئاً نهائياً فقد تتركه في فقره لتذبَّ راحلة الى عشيقها الثعلبْ،في حالة لم تكن قد خـَانَتْه مع الكثيرين.
لذى على المرئ أن يختار ِبرَوِية شخصاً يحبُّهُ بدل شْخْصِ أوقعه في شباكه،فالأخلاق والقيم والتربية كل هذه التراهات الفاتنة لا تعني شيئاً عندما يصبح إنسان فقيراً يصبح من السهل على أي شخص خيانته مع مَنْ يمتلكُ النقود.إختَرْ من تُـقَـدِّرُ فقركَ،الى أن تثْرَوْ،من تحبك في قساوتك،ضعفك ،هزيمتك ،إنتصارك.... فطبعاً لن تجذها مهما تطبع في روحك شقاوة التنقيب،فأغلبهن يحببن الشاب الكوميدي ذو الحس الماكر،والمنتصب على عرش سلالات وهؤلاء مفضوحون والسيء أن بعض منهن تخفي هاته الرغبة البشعة تحت رداء صلحاء والمتعففين،متحجبة بأزياء لائقة لتخفي نواياها البشعة.
وصل المساء،فوجد ڤولس نفسه قريباً من الحانةً ونظراً لقربها من حانتين أخرتين فقد أتلف العنوان،فدخل للأولى فلم يجد الساكب "فتاة " ودخل لثانية فوجد فتاة فسألها : هل أبدأ العمل الآن ؟فضحكت وقالت: هل أنتَ مجنون؟ فصاح أحد الخدم قائلا: نحن لا نستقبل الفقراء يا هذا ،تيابك المهترئة لا تصلح لهذا المكان،بل الى الشارع يا عزيزي!
فهذه الحانة مخصصة للأثرياء ذوي النفوذ العريض،أصحاب النفوذ الصامتة التي لا تبدد إلا على راقصاتنا...
غضب ڤولس وقال : رجالكم كنساءكم ،جميعاً جسدٌ فانٍ يفتقر لعقلْ.
وخرج مسرعًا متيقن أن الحانة الثالثة هي المنشوذة .وعندما دخلها وجذ ساكب فتاة تشبه،إنها نفسها نَـاذِيـن صاحبة السوالف السوداء الناعمة والعينين الكبيرتين البنيتين،إنها تسكب لأحد السكارى المتعطِّشينَ للنِّسْيَـانْ.فوقف ڤولس عليها فقالت مسرعةً: هل أسكبُ لك من سحري،فكحولي تنسيك عذاب أيامْ.
فتعجب ڤولس تم قال: عذابي عذاب أشهر لا يمكن لكحولك الرخيصة جعلهُ ُينْـتَسَى.

وفجأة جاءه صاحب الحانة يقول: ألست واقفاً هيا الى العمل يا هذاَ..فتعجبت الفتاة وقالتْ: أهذا هو الموظف الجديد؟
فأجابها صاحب الحانة: نعم هو،إن مهمتك تانية بعد السكب هي تعليم هذا الفتى،رَوِّضيـه جيداً كما يُرَوَّضُ الثَّـوْرُ الهَـائِجْ....
فقال ڤولس بابتسامة خبيثة وماكرة: أنا من سأروّضهَـا .
فقالت الفتاة وهي تبتسم له: ويحَكْ لتزال صغيراً على هاته الأمور يا عزيزي،وحده السريرْ من يعلمْ كم ستصمد أمامي...
فقاطع صاحب الحانة ڤولس وقال: هيا الى عملكما ..
فإبتسمت الفتاة الجميلة،وظلت سامرة عينيها في ڤولس فقد أعجبها صاحب الشعر أشقر.
وفي كل مرة يحاول ڤولس أن يسكب لأحد تسرع هيَ في إبعاده،حتى أصبح يلاحظ أنها تغـازله في كل أوقات خصوصاً بعدما سمع أحد سكارى يحادث صديقه بقول" يا له من محظوظ فحتى مع سنه العشريني الصغير وجد فاتنة كتلك الساكبة، ونحن أيام نرتاد هاته الحانة لنأخدها يوما ما الى السرير ،فلا هي ترضى ولا قوامها الساحر يسمح لنا بالتنحي...
ولكن ڤولس كان حساساً مفرطاً في الشعور،فلم يستطع الردَّ على هاته التصرفات المنحرفة،فقد عاد يكره النسآءَ عندما رفضته ناذين بشيء من السخرية ،وما رآه من أخته التي كادت تقتله في تلك الليلة المشؤومة،فما يرى من بعدها إلا كوابيسْ تتمختر في مخيلته،فتظهر له أخته في المنام تمزقته إرباً بنفس السكين فتعيد مرة أخرها تجميع كل أعضاءه فتحرقها بعدما تصب عليها البنزين فيقوم مفزوعا من مرقضه يمسكُ أطراف وجهه الصلب ويصرخ قائلا" لا....لا تقتليني أرجوك ....،وهذا الحلم البشع يعاد تكراره يومياً،وهذا ما زعزع نفسيته وأربكها فقال بعد نوبة من الهلع الساخن وهوعلى الفراش " إن ما يُـضِـر إنسان ليس ما يحدث أنذاك بل طول تفكيره فيما قد سيحدث ". تم قال تانية " يستحوذ الرعب على القلب عندما يصير أحد أقرب الناس إليك عدوك،فهو يمتلك جميع مفاتيحك حتى تلك التي تخفيها عن الناس،فيصبح أذاةً مدمرة في أيدي الأعداء .
فأغمض عينيه تانية وقال: الموت والحياة بروتوكلات ينبغي علينا التعود عليهما.فلكل بداية نهاية ولكل حيّ على وجه أرض وقت ليفنى فيه.

لقد كان للإنسان أن يحيى بشيء من الذعر الخانق الى متى؟ الى ذاك الوقت الذي يشعر فيه،على أنه بالون منتفخ على أقصاه،فينفجز ناثرا هواءه المسموم في أرجاء" هذا هو إنسان هذا العصر!
إن ذاك إنسان المخنوق بدعوى الصبر،كطنجرة ضغط على وشك الثوار،ففي أي لحظة نسمع إنفجار ليكون على من أرشدوه نحو الصبر أن يغطو ليس أسماعهم فقط،بل حتى أعينهم،إنهم من أوجذو هذا إنفجار ولكي لا يكونو من فتح الزجاجة يحركونها بأقصى ما لديهم من ثرثرة ويتركون السدادة لينتزعها الزمنْ.هؤلاء من ندعوهم بالحكماء إنهم يوجدون ملتصقين برجل كل سلاَلَـةٍ،فلا عيْـش لهم إلا تحت أقداهما،من حيت يقع الفُـتَاتْ.
جاء أحد السكارى يطلب نبيذاً فقالت الفتاة:
يا ڤولس قدم لصاحبنا العصير!
رد ڤولس: أتقصدين الكحول؟
الفتاة: لا بل العصير ،ههه أمزح نعم الكحول.
فقال ڤولس: هل ذاك هو الحمام ؟
ردت الفتاة : نعم انه هوَ،هل أوصلك إليه وهي تبتسم بخبث.
فقال ڤولس: لا ابداً لديَّ قدَمَـايْ.
فأسرع إليه ڤولس وأخرج هاتفه الخلوي يتحدث الى الطبيب لاوسكي بشأن الفتاة فإقترح عليه لاوسكي أن يظمها الى صفه،فإن كانت تحتاج الى الحب فسنقذمه لها ولكن بالمقابل.رفض ڤولس في بادئ الأمر ولكنه قبل عندما ألحَ عليه لاوسكي أمر.
فخرج ڤولس كأنه شخص آخر،وقف أمام الطاولة يسكب للسكارى الكحول والنبيذ الرخيص،ويفرغ الزجاجات.وفي تلك اللحظة جاءت من وراءه تلك الفتاة وڤولس محترس منها فضربته ضربة خفيفة كأنه إصطدام عن طريق الخطأ،ولكنه متأكد أنها تحاول ملامسته وإستمالته،وعندما أنتهى الليل وغادر كل سكير الى حيت تقوده ثمالته،طلب ڤولس من صاحب الحانة إعطاءه مكانا ليبيت فيه،داخل تلك الحانة وهذا ما وقع،وفي الليل جلس ڤولس بعدما تناول بعض الطعام على وشك النوم،فجاءته تلك الفتاة تقول:
هل ستنام الآن ؟ أداك السرير فارغ لكلينا ؟

فرد ڤولس: كلا انه يحملني وحدي،....مهلا كيف دخلتي ولماذا لم تذهبِ الى منزلك؟
الفتاة : هذاهو منزلي وأنا يتيمة أبوان تربيتُ في الشارع وأوتني هاته الحانة العزيزة.ومكان الذي تجلس فيه هو مكانيِ أتظنني منحرفة الى تلك الدرجة !
ابتسم ڤولس وقال: عفواً...كلاً انك منحرفة قليلا عن السكة.
فترك السرير لها وهو نام على أرضِ،وفي صباح أفاق الوغد على بعض اللمسات الخفيفة فوجد الفتاة تعانقه بقوة فوق السرير فتشد عليه بقوة تقول " إبتعد عنيِ....ارجوكْ إبتعدْ لا تلمسني...
فلحظة قدفته بقدميها راميةً إياه من فوق السرير فأصيب رأسه،فأفاقت الفتاة قائلة: ماذا حصلْ،لماذا تجلس بعيداً كالمجنون.. مهلا... أين تيابي،هل نمتَ معِي في نفس الفراش ايها الوغد.فأجاب ڤولس متوتراً:
كلا لا أعلم ماذا حصل حتى الآن فقد نمت في أرض وفي صباح وجدتُ نفسي فوق سريركْ.
فقالت الفتاة: لا يفعل المروُ الإ ما جبر على فعلهِ،وها قد عاشرتني فوق السرير لدى ستدفع كباقي زبائني أوغاد.
إنبهر ڤولس بقولها وهو يرتدي ملابسه ليغادر فقال: أبدا لن أدفع،لأني بكل بساطة لم أفعل شيئاً.
فضحكت وقالت: لأنني أحبك ،سأخفض لك الثمن!
إنزعج ڤولس وصرخ عاليا: لستُ مثل أولائك الحمقى الذين يخضعون لشهواتهم ولا لأنثى بائسة مثلكِ.وغادر الى الحانة ليبدأ العمل.
ولدت من بين الركام كقشة منهارة،فما كان يخطر ببـالي، لشخص أنجبه الحطامْ أن يكون غير الحطام! أوليس هذا غباءٌ أن نظنَّ أن فأراً ما قد يصير يوم ما قطًا ليحين دور القط أصلي في الفرارْ! هل حقاً نحن بائسون الى هاته الذرجة .أدركْتُ أخيراً. معنى أن لا أكون شيئًـا،أكون كُرسياً خشبياً أو ملعقة فضية،وطاولة بأربعة أرجل فتراء لي صرصوراً في زاوية السقف عالقًا في شبكة عنكبوت قاسية ينبش لينجو ولكن بـلا جدوى،هاهو ذا إستسلم وقد أثعبه الأخد والردْ،لقد أتى الجلادْ" العنكبوتْ".
أترون أن إنسان كذاك الصرصور الغبي،يقاوم ويقاوم وفي أخير يستسلمُ أليست هذه مـضيعة للوقتْ،لو إستـسلم مبكراً لإخـتصر عليه كل ذاك الثعب والعذاب

الذي سيعيشه بين يدي مفترسـهِ فكم هو سيء وشقي أن نموت حاملين شقاءنا بين أيدينا ننتظر من العقاب أن يأتي أيضاً ليأخد اليد اليسرى لهُ ويترك اليمنى لصديقه الثعبْ....هذا أنَـــا ڤولس كولكسيزْ .
تم وقف ڤولس أمام السكارى ينتظر من يطالب بالنِّسْيانِ،ولا واحد طَـالِـبٌ،الكُلُّ مع كحوله الرخيصة ولا واحد تقدم ليشرب كحـولي،فقال أحد السكارى الأثْـرياء ذو التياب المبهرة كَـأنَّـهُ أَلِـفَ المَـجِـيءَ اِلى هُـناَ : أين كحولي الرخيصة تلك الجميلة التي تحمل الطابع ألماني بروح النشوة،التي تغْـلي في ذاخلي.فإلتفت ڤولس يبحث عن القنينة،وفجأة جاء صوت من خلفه رقيق وحساسْ،يقول" ها أنا يا سيذي ! فإلتفت ڤولس ليجذها تلك الساكبة الوقحة .فقال" يعيش المروُّ على الفتاتْ وعندما يجد طرف خبزٍ ينبهر ليزيدَ جَشُـعَهُ في نيل المَزيدَ منهُ،إنها لروحٌ ماكرة التي وإن وجدتها ما يكفيها لتطـالِـب بالأكـثر من ذلـك.
وفجأة ذخل رجلين طويلين يلبسان بدلة رسمية سوداء وقد شكَ فيهما ڤولس،فأكثر من يَـجيء لتلك الحانة القدرة هم أولائك الأثرياء الحمقى الذين لم يجدو مكانًا يضيعون فيه أموالهم المسروقة،ومن تيابهم ترى بخلهم ونواياهم البشعة،غير أن هادين الإتنين بلباسهم الأنيق لا أظنهم جاءو لنفس ما يجيء به آخرين.فقال أحدهم لڤولس،أسكبْ لي أغلى نوع لديْكم من الـكحول.
فنظر ڤولس الى الفتاة التي لم يعرف إسمها بعد ،تم قال" أسكبِ لهم يا فتاةْ".
فقال أحدهم ذو نظارات السوداءِ: لا أنتَ من سيسكب. فنحن لم نأتي لنشاهد الساقطات ،بل جئنا لنحتسي بعض الكحول بمناسبة زواجنا.
فإبتسم ڤولس وقال: تأمر سيدي..
فكان شك ڤولس في قمته،حيت يقول في نفسه" لربما هم من تلك العصابات التي تختطف أثرياء وتنشل أعضاءهم. مرة يصفهم بالغريبين فذاك المكان غير جذير بلباسهم ذاك،تم يقول: هل أصبحت أشك في كل شيء ماذام هذا العالم يذفعنا الى الشكْ فسمع أحدهم قال جملة وإستغرب لها وهـي: "السرير يجمع الحمقى،والحمقى ينجبون الحمقى"لدى لا تتَوَرَّطْ في إنْجـابْ حتَى تفهمَ لما عليك ،وهل ستُـوجذهـم في بيئة تصلح لوجودهمِ ،فالحمقى والمجرمين وأشباه الرجال ليسو إلا نتيجة حماقات زادت بيئة مسعورة من حماقتهم.
وشيئا فشيئاً لاحظ ڤولس أن أحدهم ورغم ما يدور بينهما من حديثْ،واضعٌ أنظاره على الساكبةُ،لربما أعجبه قوامها أو أنه يخطط لشيءٍ مـا فقال أحدهما

للآخر: كاد الخروف أن يفر من المرعى لولا أن الذئب لم يكن هنَـاكْ.."فتعجب ڤولس لقوله ،فقد ظنَّهَا مجرد تفلسفات في لحظة إنزواء،ولكنها كانت لغة مشفرة تكسوها المعاني والرموز.
فجاءهم ڤولس قال:ألذيكم أغنام سمعتكم تتحدثون عن الخرفان،فقد كنتُ مزارعاً يكسب الألف رأس من أغنام وأضحيت ساكباً في حانةً.
فقال أحدهم: لا ليس لدينا أغنام ولكن يُـعجِـبناَ أنْ نخوض في مثل هكذا نقاشات وأن نرى خروُفًـا كتلكَ التي تحبْ أن تنط أمام ذئب جائع لم يأكل لشهرين.
فقال ڤولس : أتوجد مثل تلك السلالة؟ فلم أرى إلا ذئباً وقف أمام القطيع فدعسته بعض الخرفان بأقدامها.
فناذت عليه الفتاة الساكبة تقول: ڤولس تعالَ عملك هنا وليس بين الجمهور ياعزيزي.
فأسرع إليها ڤولس وقال: لزلت أجهل إسمك يا ساكـبة السخط أنتِ! فَـرَدَّتْ بابتسامة ماكرةً: يناذونني جوُلــينْ،ولكن إسمي حقيقي لا أحد يعرفه ولا أنوي أن يعرفه أحدْ..
فقال ڤولس : ماذا قد أفعل به فلو عرفته مثلا ،أبيعه في سوق السوداءْ؟
إبتسمت وقالت: وهو كذلك،...مهلا ماذا أخبراك أولائك الرجَـالْ،رأيتك تأخد وترد عليهم الكلام ؟
فقال ڤولس محاولا إنكار: سألتهما عن ثمن داك الطقم فقد أعجبني ،وأنوي شراء مثله عندما أجني راتبِي الأول،في نهاية هذا الشهر.
إبتسمت جوليــنْ وقالت: راتبَك في آخر الشهر،هههه من سيدفع ثمن تلك الليلة البائسة فوق السرير معيِ هل هي والدتك ياعزيزي!
غضب ڤـولس وأشبعها ردودًا قاسيةً،فقد كره من يذكر له العائلة وما يحوم حولها،لأن بفضلهم سار مشرداً يعيش حياة الكلابْ.
فقال غاضباً : الويل لكم يا جنس الشياطينْ،إن براءتكم ماهي إلا مكرٌ في مكْر،تحاولون إخفاء نواياكم البشعة تحـتها،فإلـى متى سيظل ذاك الغطاء موضوعًا بهذا إحكام .
فضحكت الفتاة لبرودة قلبها وقالت: فعلاً لسنا بريئات،فنحن اللواتي يسرقن الخبز من مناقر الصـقور بإبتِسامَة خانقة،وحركة خفيفة لجسدنا الهزيل.نحن مجرد فخاخ تعلم متى توقع كل فرائسها ومتى تنسحب بعزة نفسها.

فجاء رجل متشرد عجوز فقال: يا إبنَـتِ أسكبي لي من أرخص نبيذٍ لديكمْ
فقالت: حاضر سيدي ..
فأحضرت له قنينة يظهر عليها الـقدَمْ،وإنتهاء الصلاحيةِ وتحتها ورقة بيضاء.فأخدها العجوز وغادر الحانةَ.
وهذا ما أاثار ڤولس كولكسيز فأسرع وراءه بعذما قال لي ساكبة أنه ذاهب الحمام.فأمسك ذاك العجوز في المنعطف يجبره على البوح بخفايا تلم العصابة وما تحمله تلك الرسالة !
فقال العجوز: أنا مجرذ مزارع بسيط ،أشتري نبيذي بنفسي وكل كلامك لم أفهم منه ولو كلمة.
فغضب ڤولس قائلا: وتلك الرسالة ملصقة تحت القنينة أهي مجانية كشرفك يا هذاً.
وأنتزع ڤولس القنينة وأخد يقرأ ما فيها فوجد هذا القول : "
أبي عزيزي،أراسلك من تحت الإجبار،وأنت تعلم ما أنا فيه،وأسفة لأنني لم أزرْكَ قطْ، فتأمين مَـصروف الكِـراء والطعَـامْ أثْـقلا كَـاهلَـي.وهذا العمل البائس لم أجد أحسن منه لتوفير ما نحتاَجُـه. أود يا عزيزي سؤالك عن كلارك هل هو بخير،سمعته قد تعرض لحادث أودى بإحدى قَدميه من طرف طبيب جاء لينسى بؤس مَرْضَـاهُ عنذي في تلك الحانةِ.أرجو أن يشفى في أقرب وقتْ لنذب راحلين الى مدينة أحلام لـوبراغْ تلك التي كنا نحلم بزيارتهَـا حالـما أجني المزيد من المال لذلكْ....

... صغيـرتـك لوجِـينْ

بعذما قرأ ڤولس رسَـالَة أخَـدَهاَ من بين ذموعه التي تعجز عن التوقف ووضَـعَـها بين يدي العجوز وعاد مسرعًا الى الحانة.
أتدركـوُن ما قد يَـخفى عن الزمَـان في هكَـذا موقف عاجـزٍ عن الكَـلامْ، هو ما يَـحْـدُثُ للمَـشاعِـرْ،فبعض النَّـاسِ يَـهربوُن بعدما يجِـذون أنفُسهُم مَـصدُومِينْ وخصوصا إن كان أمر متعلق بالحبْ.فلا تُدْهَـشِ إنْ غادَرَكَ الحبـيبْ عِـندما يسْـمعُ بحبـكْ،فقليلٌ هُـمْ من لا يُدْرَوْنَ بما يسمى الحب،فلا يعرفونه إلا في

القصص والمسلسلاتِ.وعندما يقال لهم " أحبك" يصابون بالهلع لسماعهم هاته الكلمة لأول وهلة.لدى لا تبتئسو لوضعهم فقد يعتادون أمر بعد عدة صدماتْ.
بدأ ڤولس يفكر في الأمر ويقول: كيف لإنسان أن يتواجد في كل مكان في وقت واحدْ، وبنفس أنفاسِ،لربما هذا ما يسمى جنون الحبْ،حيثَ ينال الضحية شرف منازلة من يحبْ،في كل لحظة يراه فيها.إنه حقاً عقابٌ قاَسٍ أن نستمر في رؤية هاته الأرواح المغدورة التي لطالما عششت في ذاكرتنا لوقت لن تنفك تتحرر منها.
كيف للإنسان بمثل هذا الشقاء الأخاذ أن يحب أحداً غير نفسه،إنها من دواعي الريبة أن نحب شخصاً يلقي تقله على كاهلنا فيزيد شقاؤنا شقاءينْ.فحثى لو هربنا الى الحب محاولين إفلات من شقاءنا،فلن نزيد إلا شـقاءاً ،لنملأ الجو بالضبابْ،فليأتي الحب في سماء صافية وجو مليئ بعطور الساحرة.في يوم غير هذا.
قيل أن الحـب أنقى ما يصـل اليه الشعور،والأروع أن هذا الشعور في يوم ما لم يرتدي توب الخلاصْ،فذخل بأرجله المتسخة لوقت رآه الجميع وماكان لأحد غير النبيل أن يذخل فعاد الكل يرتدي نفس الثيابْ،فينهب من عناقيد الحبْ بإسم النقاء والطهارةِ،فإتسخت بركة الحبْ،وعاد إليها العطشى يتسممون من ينبوعها متذوقين مرارة الحبِّ،وأكثر من نجَوْ منهُ أخدو يشتمون الينبوع بدل الأرجل التي لطختْهُ بسمومهاَ.
فلكي تكون ساذجاً مفرطاً في النسيان،عليك أن تكون ڤولس كولكسيز.
فعاد ڤولس الى الفتاة وعيناه تدمعان،فسألته لجين:
ماذا حدثَ لكْ،أجعلتك معدتك تبكي يا عزيزي؟ أم أن أحدهم أبرحك ضرباً في الخارج؟
فقال ڤولس وهو يحاول صب لأحد السكارى:
لقد صدمْتُ في أحدهم!
إن أخطر الظنون من يشْعِرُكَ بالسوء،فبعذما نخطئ في نعثِ أحدهمْ،لتبدو صورته لدينا محضَ كذبةٍ،وهو في الواقع غير ذلك تماماً فمهما كنَّا جيذين في معرفة الآخرين فأبداً لن نكون نعرفهم كما يحق لنا معرفتهم.
إبتسمت الفتاة بشيء من التفهم وقالت: هل رأيت حبيبتك على حقيقتها،لقدأخبرتك أننا نحن النساء نركض وراء الوسيمين يا عزيزي ،فالبشعين يعوضهم المالْ.

فقال ڤولس: لا ليس لديَّ حبيبةٌ! فهل تكونين حبيبتي..
فضحك أحد السكارى الجالسين على الطاولة تم قال:
هههه يا ولدْ،أتراني،أنا أغنى شخص في هذه المدينة وصاحب أكبر متاجر الذهب هنا،ولكنها يوما لمتقبل بي كعشيق لها،إنها دائما ترفضني بدعوى أني متزوج ولديْ أطفالْ،فكيف لك أيها الساكب الوقح أن تطالب بهذا الذهب الثمين وأنتَ فلاحٌ فقيرْ.
تعجب ڤولس لقول السكير وسأله: كيف علمت أني فلاحْ؟ ألهذا الحد أصبحت مشْـهوراً.؟
ضحك السكير والقنينة فمه ترجف وقال: من كلامك الفقير تبدو فقيراً،و اسلوبك في معاملة السكارى أمثالي دليل فلوحيتك يا عزيزي،فلو كنتَ ممن يعيش في المدينة،لأحضرت لي مشروبا دون أن أطلبه حتىً،وأن تعاملني بجرأة أكبرٍ،ولكنك غير ذلك تماماً.
إبتسمتْ لوجين وقالت: كيف لك أن تفكر في أنني قد اقبل بمزارع مثلكْ؟
رد ڤولس: طبعاً ستقبلينْ،فقبولك للعمل هنا يبدى تواضعاً في طباعكِ،فلستِ من تظنين أنك أنتِ.
وفجأة عاد العجوز"أب لوجين" فقال مقاطعًا حديثهما":
هذه الرسالة لك يا بني فقد سقطتْ منك عندما اوقفتني في الباب وقتئذٍ حملتها ونسيت ممن سقطتْ،بفضل عقليِ الذي لم يعدْ كما كانَ ،فقد شختُ تماماً..خدها فهي لك!
فأجابه ڤولس: عمي إنها ليستْ ليِ،ولم أكنْ أحملُ رسالة قطْ!
فقالت لوجين : أتود كأسا نبيذ يا سيدي فكحولنا اليوم ثرية للغاية ليست كتلك الرخيصة التي تعودتَ على إقتناءها ؟.
فأجابها والدها: لا يا إبنتي ،فاليوم ثعبتُ من هذا العالمْ،ولم يصلْ بي الأمر لأحتسي كأساً آخرْ حتى وإن كانت تلك الكحول مصنوعة في الهندْ.
وراح الأب،مخلفاً وراءه شك ڤولسْ في الرسالة،وشك إبنته لوجين في لقاءه بڤولس التي عملت جاهداً لعدم رؤيته لهْ.
فقال ڤولس: لم تردي على طلبيِ،اتقبلين هذا المزارع الفقير في مزرعتك الخضراء المعشبة،عفواً قلبك الكبير الضخم.

فضحكت لوجين وقالتْ: هههههه أتودُ أن تتورط معِي؟ إن أثرى شخص هناَ يضع أنفه تحت أقدامي،ولو علمو بقبولي إياك،فلن تعيش لترى النور غداً.
ضحك ڤولس باستهزاء وقال: ألهذا الحد تهمينهم جميعهمْ،فحتى النبيذ الجيّدْ لن يكون بأهميتك عنذهم.فلا يهم غداً فأنا اريد أن أعيش هاته الدقائق معكِ أنتِ فقطْ.
قد يكون العثور على شخص المناسب قاسٍ بعض الشيءْ،إلا أن سهولة إيجاد الحمقى تفضي بنا الى إختيارات مغلوطةٍ.فدائما الإنسان يبحث عن المختصر،عن سهولة الشيءِحتى في قساوتهِ.
فصاح أحد السكارى من زاوية الحانةِ يقولُ: لقد سمعتك تتودد الى زهرتي يا هذاا اتريد أن أبرحك ضرباً اليومْ،فصاح أحد بجانبه يقول: " إخرس يا هذا كيف تنعتها بزهرتك ،إنها زوجتي المستقبلية ايها الحقير..وإرتفعت الطاولات في السماء فوق الرؤس تماماً،فكل سكير يأخذ كرسياً فيضرب آخر،فحتى الثمالى النائمون لم يسلمو من الضرب ،فنسمع نواح أحده بينما كان الحلم قد بدى له غريباً،فيصرخ بأنينه"أهٍ ،يا ضهري،يا لها من فتاةٍ حسناءْ"، وڤولس كولكسيز إختبأ تحت الطاولة مع لوجين،وتركو الحانة مشعلة بالمعارًكِ،فإبتسمت لوجين في وجه ڤولس سارحة في ملامحه،فقال ڤولس بإرتباك" يا ويلي الحانة تتكسر وقد يفضي المساء الى تكسير عظامنا معها.
فتغيرت ملامح لوجين فجأة كأنها قد أفاقت من نوم عميقْ،فقالتْ: حسناً أنا أقبَلُ بحبكْ،ولكنَّك ملزم على جعلي أصدقك "
فصرخ أحدهم عاليًا،فبتأكيد كان أحد السكارى ممن يهابون الضربَ مختبئاً في جانب الآخر من الطاولة وهو يقول"
تَـوقَّفـوو...!
ولا أحد توقف،الكل متعطش للحربِ،الكل يرغب في التخلص من طفله المتوحشِ،حتى جدنا العزيز رغب بذلكْ.
وفجأة توقف الحشد عن العراك،كصدمة قلبية أوقفتهم جميعاً فقال أحدهم.: ماذا تريد يا إسماعيلْ،أسرعْ فظهر أحدهم ينتظرني لأكسرهْ.
فقال السكيرْ: تباً لكمْ،فهاهيا ذي قبلتْ بهذا المزارع المزعجْ.
فجلس كل السكارى على طولاتْ،في إنذهاش مطولْ،كأنهم خدرو بجرعة تالتة من الكحولْ.فقال أحد السكارى أربعيني:

يا لهذا الزمن حتى الكحول لم تستطع جعلني أنسى كل همومي،وجعل فتاةً كتلك تتلاعب بمشاعري.
فحمل قنينةً في يديه بينما الكل ينتظر منه لمحة واحدة لبدءِ العراكِ مجدداً إلا أنه أخدها وغادر الحانةُ.فتبعه الجميع وبقي ڤولس ولوجين نائمين تحت الطاولة.معانقين بعضهم كملاكين قد جمعهما الجحيم الساخنْ.
"إن مواسم الحب حيت تصفو الطيور قانطة على كل غصن مخضرْ قد أتت محملة بأشِقَّـاءَ الودِّ،وأرواحٍ منذثِرَةٍ حيثُ وجدَتُ جموعهاَ وأنصافها"
وفي الصباح الباكرْ،أفاق ڤولس على صراخ يعم الحانةٍ، ماسكاًا في يديه قنينة من الكحول الغالي فارغة، فإذا به يجذ صاحب الحانةِ واقفًا أمامهُ يقول لهْ:
يا محلاك يا ڤولسْ،البارحة سهرت طويلاً حتى قادتك قدماك الى هناَ،أفتعلم كم تساوي تلك القنينة التي إحتسيتها ؟
وقف ڤولس مرتبكاً،ومتخوفاً من طردهِ لهُ بعدما يرى الكركبة التي تعم الحانةِ.فنظر ڤولس الى الحانة وقال:
أوهْ اين كل ذاك الركامْ؟
رد صاحب الحانة: أي ركامْ،هل جننْتَ أم افرطت في احتساء المشروب.
فجاءت لوجين مقاطعةً ڤولس وهي تقول: أوه هاته هي الزجاج التي تركها داك السكير هنا البارحة لقد كنتُ أبحث عنها طويلاً..
وهنا توقف ڤولس عن التفكير وراح متفاجئاً في الوضع.فقال صاحب الحانة:
أسف ظننتها لكْ هيا عد الى العملْ. وفجأة أدار وجهه قائلا: في العاشرة مُرَّ بمكتبي أريد محادثتك في شيءْ.
فقال ڤولس بكل دعر: حاضرْ يا سيدي .
ومنْ ثَمَّ وهو يفكر في سبب إستدعاءه،لربما سيطرد ويصفو في الشارع.فالحياة لا تصنع الجميل بل إنسان من يصنعه .
فقال ڤولس لناذين وهي تنظف الكؤوس المتسخة : لقد علمتُ من تكونينْ،ولدلك أحببتكِ.
إرتعبت لوجين ووجهت وجهها بمحاداته تقول: أحقاً،فمـاذا تعرف عني يا هذاا ومن تكون اصلا؟
فقال ڤولس منحي الرأس للاسفل: أعلم أنك إبنت داك العجوز الفقير ،وقد أكرِهتي على العمل هنا..

فلا عُذر لمن إختَــار شيئاً بإرادتهِ"
فقالت كأنها قد تخلصت من جبل قد رسى طويلا فو ظهرهاَ
: أجل إنه والدي وتلك أنا،فهل لزلت تحبني ؟
ضحك ڤولس وأخد كوبا من الماء ورشها به وقال:
أترين ملامحك في المرآة قطْ،كم تبدين جميلة عندما تتوثرين،فقد أحببتك لبساطتكِ،وقد أخيفك عندما اقول أن كلامك المعسول قد وجد طريقه إلى قلبي.ثم سكت طويلاً كأنه جاءه الصمم.
فوقفت لوجين أمامه مستغربة لشروده،فقالت:
أين ترعى تلك الذجاجاتْ،يا ڤولس؟
فإبتسم ڤولس في إنذهاش عارم وقال: أعيدي ماذا قلتي!
فأعادت جملتها المتعلقة بالذجاج ،فقال : لا لا النصف الأخير من الجملة،المرتبط بإسمي ،فأعادتهُ.ففرح ڤولس وقال:
إن وقع إسمي. من شفاهك كشعور لامس القلب لأول مرة،فكلما أعدتي قولها زادت حالتي سوءاً ،وزاد عشقي لسماعها تانية تحت أنغامك ،فكم هو شعور رائع أن تسمع إسمك من فم شخص تحبه إنه كنافت الأمل في جو يعمه الإحباطْ.
فقالت لوجين : أوهٍ...شاعرٌ مختلط بمزارع..أمر ملفتْ حقاً..إنك تبدو حساساً جدا عن اول مرة رأيتك فيها .
فرد ڤولس: منذ ان قبلتي بحبي وأنا شاعرٌ ،أحس بشعور غريبٍ ورائع لا ينفك يخرج عن كيانِي إنه لبهجة مبهرة هاته المسمى حبْ.
فقالت لوجين : منذهشةً" ماذا ؟ قبلتُ حبكْ..مهلا مهلا ،أنا لم أقبل حبك قطْ،ولن أفعل ،أتظن من السهل سرقة قلبي حتى فقرك هذا عجز عن تحريكي ،فقال متسائلا:
مهلا ألم تقبلي بارحة بي كحبيب لكْ وإثر ذلك قامتْ معركة بين سكارى الثملين فراحت الحانة ضحيتها !
فضحكت لوجين وقالت:
إنك تتوهم يا عزيزي،فالبارحة سقطت كالـذُّبِّ بعذما شربت تلك الزجاجة التي كانت بين دراعيك بعد أن استيقظت، فقد جررتك تحت الطاولة لضخامة جثتك و ثقلها كي لا يدوسك أحد الثمالي البارعين في التمايلِ،
فقال ڤولس بشيء من الأسف :

اوه،كل هذا حلْمٌ إذنْ،قبولك لحبي،ومعركة السكارى،وحقيقتك ...
إنصعقت لوجين وقالت: حقيقتي؟ اي حقيقة تلكْ.
فأخبرها ڤولس بما قال لها في الحلم عن أنها إبنت عجوز فقير وان عملها إكراه ليس إختيار فقالت لوجين : نعم معك حق تلك حقيقتي...فحتى حلمك ظل وفيا للواقع.
فقال ڤولس:
كيف لي أن أنظر الى البحر مرة تانية ،بعذما نجوتُ منه بأعجوبة في المرة الاولى،إن غباء البشر سبب مشاكلهم،أترين يا لوجين... عانيتُ طويلا من الخذلانِ،وها قد أدخلتُ قداماي بين وحل الذي طالما هربْتُ منهُ ..
فقالت لوجين: هل حقا لزلت تحبني لسماعك حقيقتي...وهل خدلتك أنا أم نفسك؟
فقال ڤولس: طبعا أحبك ،إنه قلبي من خذلني إنه كديل أفعى حيت يقطع يظل يتمايل ذون توقفْ.
إن أول غلطة يرتكبها إنسان هو البحث عن شخص يرمي عليه كل قاءه ،إنه حيثُ تقبع البساطة ملفوفة في كيان متحجر ،ينفثُ أسرابًا من القساوةٍ،فهم أولى بالحب،وهم افضل من يستحقونه.

وفي لحظة من الراحة يشوبها الشك تذكر ڤولس طلب سيد الحانة أن يزوره عنذ إنتهاء،وبينما لوجين تسترق النظر إليهِ،تطلع إليها كأن صوتاً أخبره أنها تراقبه فأدارت في سرعة خارقة وجها،وبدت كأنها تحدث أحداً في الهاتفْ.
فراح لسيده متسائلا عن دواعي طلبه...فوصل نحوالغرفة ودق مرتين فسمع صوت سيده يناذيه بالذخول...
تم ذخل ڤولس فوجد صاحب الحانة جالساً على مقعده بجانبه كوبين من العصيرْ،فتفاجأ ڤولس تم قال :
أراك تملك كل هذه الحانة وأنت الآن تحتسي العصير بذل الكحول"
فقال صاحب الحانة ذو البطن الكبير،والعينان المنتفختان ،وقامة القصيرة،وعيناه البنيتين الصغيرتين اللتان يشبهان عيني الذجاجْ.: يا لك من الجاسوس لعينْ،لا أحد من عملائي الذين يعملون معي لسنوات قد لاحظ ما لاحظته أنت في هاته التوانِ من ذخولك...فأغلب من ينتجون السجائر لا يدخنونْ،ومن يشرب الخمر لا ينتجهُ.إننا نسعى لربح يا عزيزي،لاشيء آخر حتى ولو على حسابٍ

الحمقى...فطبعاً ستكون منا يوما ما،فمنذ أن رأيتك أيقنت أنك تستحق هذا العمل.لقد طلبتك لغرضِ شخصي ،أريدك أن توصل حقيبة تحوي أشياء تخص زوجتي إليها في مدينة كوزرك،سأتكلف بالمال وكل ما تحتاجه،فعنذ الرابعة مساءًا ستنطلقْ حسنا؟

___ مهلا .....مهلا ...لم أوافق بعدْ ؟

فصاح السيد بغضب: إنه أمر يا ڤولس ،فأنت مجبر أن تطيع رب عملك.

فقال ڤولس : حاضر يا سيدي...

وعاد ڤولس بين السكارى يسكب لهم وعقله قد تركه في غرفة سيدهِ،،يقول: أيحق لإنسان أن يَسْتَعْبِدَ إنْسَانَاً غَيْرِهُ بدَعْوىَ العلاقَاتْ.؟ لا أصدق كيف أصبحنا نخضع للحمقى مجبرين على أوامرهم فقط لأنهم أصدقاءنا.فأخذ كوباً من الشراب وإحتساه علوة وسط الشبابْ،وكل متفاجئ بفعله هذا،فإنقبضت حنجرته الصغيرة التي لم يطرأها المشروب يوماً وراح يتقيأ قُرحتهُ ومرارته،فأحضرت إليه لوجين كيساً من البلاستيك ليحمل قرفهُ،وعنذما إنتهى راح الكل يشتمه" يا لك من مقرف فحنجرتك الصبية لم تعتَدْ قوة النبيذ بعدْ،أتفكرُ في دخول عالم الكحول بإحتساءك لهذا المشروب في تانية واحدة؟فلم نعهد قطْ غبيًا مثلَكْ...لقد خسر السيد كلارك فولكاين عنذما شغلَ مراهقاً مثلكْ....ولتلك اللحظة لم يكن ڤولس يعلم بإسم ربِّ عمله...

فحمل ڤولس رأسه ينظر الى الحشد من السكارى تم قال:

إنكم عنذي،فأنا الساكبْ...أفلا يحق للساكب أن يشرب يوماً؟ويحق للبائع ان يأكل مما يبيعْ؟

ثم تدخلتْ لوجين تقول:

لا عليكم يا سادةْ،إنه مراهق غبي لا تأخدو كلامه على محمل الجدْ....

فقال أحد السكارى: كنَّا لنفعل لولا أنك لا تقفين وراءه أيتها الجميلةْ فوقع الخلاف إثر هاته الكلمة وراحت كل القنينات المشروب تتلاوح في السماء،فيقول أحدهم للآخر وكلاهما قد قامت في أرواحهم مأذبة من المعارك بين ذاتٍ تتجرع ألام والهموم وأخرى مملوءة بأكياس من الكحول المثلجة: جميلة قلتْ،أهي أختك يا هذاَ...إنها زوجتي المستقبلية ...وقد أفضى بهم العراك الى الإستلقاء جميعا في الأرض بينما كل الطاولات مقلوبة رأسا على عقبْ،والزجاجاتِ الفارغة تملأ

المكانَ وأخرى المكسرة على بعض الرؤوسْ.فأخذ ڤولس لوجين وفراً من الحانة خارجاً هرباً من السكارى الذين حاولون إمساكَ بهمْ...
فوصلو معا لحديقة يطلق عليها،روح العشاقْ،فقال ڤولس والثعَبُ يزلزل في أعماقه: يا لهم من حمقى،لأجل فتاةٍ يخسرون أرواحهم البائسةِ.
فنظرت إليه لوجين بقبسة عينيها توشك على صفعه من شدة الغضبْ فقالتْ: إنك تلعنُ السكارى لأنهم يحبونني،فلو كان لك من يحبك فلن تلعن أحدًا . إنك دو حظ عاثرحتى في إيجاذِ عدوٌ يصلح لعداوتكَ.
فقال : مهلا ...مهلا.. نسيت الحقيبة في الحانة تلك التي أرادني السيد أن أوصلها الى أحدهمْ.لدى سأعود الى هناك لأحصل عليها وأنتِ إجلسي هنا ولا تتحركي،سنناقش أمر الحب فيما بعدْ...
فضحكت لوجين وقالت : حسناا يا غبي...وأخرجت قنينة صغيرة من جيب بنطالها القصير والضيق،وراحت تسكب في أعماقها سموم فقال ڤولس وهو يدير ظهره لها: لا يعثر إنسان عن السعادة إلا بعد البؤس،فمن يظن أن مشروبا كهذا يستطيع إعفاءه من همومه فهو على خطأ.
فعاد ڤولس الى حانة،فوجدها مكركبةً بعض السكارى لزال نائماً،وآخرون خرجو للشارع يشتمون المارة،فحثما إنها الساعة العاشرة مساءًا حيثُ يبدأ السهرْ.فذخل ڤولس بحدرْ،ولكنه لم يسلم من أحد الثمالى حيت أمسكه من قدمه يقول:
هذا أنتَ أيها الساكب اللعينْ،أين هو كحولي؟ فأجابه ڤولس بشيء من المرَحْ : كحولكُ تتنزه خارجاً!
فرد سكير: أحقا ماتقولْ،حسنا سأذهب إليها...أرجو منك طلب لو سمحتْ...
ڤولس: ماذا؟
جرَّني إلى الشارع،لأكمل زحفي إلى كحولي !
فضحك ڤولس.. هههه وقد كان يرغب بشدة في جَرّ أحدهم وإلقاءه الى الشارعْ،وهاهو ذا وجدَ جثَّةً،وراح ماسكا إياها من يديها يجرها بين الجثة المنكبة الى الشارعْ،وفجأة وبتهور مرفوعْ،شحط رأس الثمل بعمود إضاءة،فغاب عن الوعيِ،وملأ الجو رعباً إثر تلك الحمم من الذماء التي تنبع من رأسهِ،فلون الذماء لم يكن عادياً،لونه فاتح أكتر من اللازم،بفضل الكحول الناذرة التي يظل يحتسيها.فعذما رآى ڤولس منظر الذم لأول مرةْ إرتعب وترك الجثة في مكانها وفرَّ عائداً الى لوجين... وفجأة وصلتهُ رسالة وهو على سرعة البرق التي تليِ

الْرعْبَ ،ولكنَّهُ أبداً لم يلتفتْ إليهاَ،فالإنسان عندما ترعب روحه،لا يعود يرى شيئاً غير الخوف متلبسًا في كل وضْعْ.
وها هو ذا وصل الى الحديقة،ولكنه لم يجد لوجين،وظل يبحث عنها طويلاً الى أن أعياه الثعبْ،فوجد المكان الذي جلست فيه،وزجاجتها الصغيرة فارغةً ومحطمة تملأهاالذماءْ،فإنخلعت روحه من جسدها وألبسه الوضع حجاب الخوف على لوجينْ.
وفجأة تذكر أن هاتفه قد رنَّ مسبقًا،او قد وصلته رسالةْ،ففتح الهاتف وقرأ الرسالة تحتوي على سطرين فقط وعنوانْ"
تقول : إن حبيبتك معناَ خذْ الحقيبةْ التي بين يديك الى هذا العنوانْ،كي لا يصيب حبيبتك مكروهْ،وإن فكرت في التحايل معِ ستلقى منظراً لن يعجبكَ.
فأسرع ڤولس في الركض الى العنوان،فلم يكن يعلم ما يحمله في يديه،وما قد يحدث له إن فتح الحقيبةْ،بل ظل يفكر في لوجين وفي سبيل نجاته من ذاك المختطِفْ..
فهنا وصل ڤولس كولكسيز حاملا الحقيبة بين دراعيه،فالعنوان لم يكن إلا مقبرة للشهداء،حيت يدفن فيها العساكرِ الأفذاذْ،فذخل الخوف يلبسه من أول شعرة في رأسه لآخر إصبع في قدميهِ،وبعدما بلغَ منتصف المقبرة ولا يخفى أن في ذاك الوقتْ،تبدو المقبرة مرعبة عندما تصل الساعة لمنتصف الليلِ.وقتئذٍ خرج رجُلٌ من خلف أحد القبور مرعباً ڤولس لذرجة أن ڤولس حاول إعادة التفكير في نجاته ،محاولا الهربْ،لولا لوجين فكأنه الجلاذ تماماً،يلبس جلبابا سود رثْ ،وحذاءاً يبذو عليه الوسخ ،بملامح باهتة ،وشعره الطويل المشعْب الذي يبدو متسخا منذ زمن فقال ڤولس : أيها الحفار ألم ترى شخصاً هناَ،أو فتاةٌ جميلة...
فقال الرجل : أتعني ذاك الرجل هناك ذاخل داك القبرْ؟إنه منذ زمن وهو يحفر ذاك القبر واليوم أحضر زوجته المتوفية إليهِ.
فقال ڤولس : ربما ،سألقي نظرة عليهِ..لأتحقق منه.
فعندما وصل ڤولس الى القبر وجده فارغًا لم يجذ لا الرجل ولا الفتاةْ،فإذا بقدمٍ قوية تركله من الخلفِ فتسقطه ذاخل الحفرة،ولم تنتظر من ڤولس حتى التفكير في الأمر،فبدأ الترابَ ينزل على جثته وشخص ما يلقي الثرابَ عليهِ،إنه الحفار سعيد اليوم فقد وجد جثة كلدَى ڤولس كولكسيز شابةً ومراهقةً،فقد أعياه ذفن العجائز والأطفال الصغار،فلم يجرب قط شعور أن يذفن مراهقا،ماذام هوقد فقد

مراهقته في الماضِ.وڤولس يصرخ بقوة : لا أريد الموتْ،أرجوك لا تقتلني ....إبتسم الحفار الوغد وقال: أتعلم من أكونْ؟
فصرخ ڤولس قائلا: أتركت لي الفرصة لأعرف من تكون أيها الأحمق؟
فإنتزع الحفار ريشه بيديه،وتبينَ أنه تويودور كوستروف صديق ڤولس القديم،وعدوه المحثال البغيض.يحاول قتله للمرة التانيةْ،وقد تعجب ڤولس لرؤيته بعد كل هذا الوقتْ،فقال:
كيف للحقد أن يطول بعذما تغيب المصافحةُ....
فقال تويودور كوستروف: أتذكرني ،طبعاً ستفعلْ، فهل تعلم لماذا أنتَ في القبر هناَ،ولستَ في الطرف الآخر من المقبرة ؟
أجابه ڤولس بشيء من الذعر: أبداً،لماذ كل هذا الحقد يا تويودور؟
أجابه تيودور: سرقتَ عملِي،سرقتَ إهتمامي،وأسوء أنك سرقتَ حبيبتي ناذين تلك الفتاة التي أحببتها منذ زمن،جئت في شهر وسرقتها مني..أيجذر بي تقبيل رأسك على هذا المعروف يا هذا.
فقال ڤولس: ابدا لم أفعل،فحتى ناذين لم تقبل بحبي كما تظنْ،فقد تركتني محبطاً أمام حبي الذي جعلني كالطفل أمامه.فالويل للحب،بل للبشر جميعاً..
فرد تيودور: ألم تعلم ما حصلْ أيها البائس؟
تعجب ڤولس وهو نائم في القبر وقال: ماذا حصل؟
رد تيودور: لقد ماتتْ ناذينْ،في حاثة سيرْ،وهذا ما وصلني من الخبرْ،فقد ظننك أنْتَ من قتلها،ولهذا فستدفع ثمن موتها !
صرخ ڤولس ،ينتحب امامه،ويمتنع ما ينتسب إليه،فقال:
أقسم لك اني لم أراها منذ شهر تماماً،فمنذ أن رفضتني وأنا أشعر بالكآبة تلعب في ذواليب روحي،فلم استطعْ نسيان وقاحتها وما فعلتْ بي أنئذٍ.
فقال تيودور: حسنا سامحتك...بشرط أن تحيي ناذين من القبر بجانبك..
وسرعان ما أراد ڤولس الرد عليه،حتى سقط تويودور بجانبه في الحفرة على إثر ضربة من الخلف ففقذ وعيه .فجاءت يدان صغيرتان،رطبتين ممدودتين لڤولس فأمسك بها وإنتزع من قلب الحفرة،فإذا به يجذ لوجين واقفة أمامه تبتسم وتقول:
أيها الغبي،أكنتَ تبحثُ عني داخل القبر أم ماذاَ...

ففرح ڤولس وإرتمى على لوجين كالمجنونْ،يعانقها كأنه إنتقل من الجحيم مملوء بالحمم المنصهرة ،الى الجنة المليئة بالذفئ.
فقال وهو يبكي على كتفها.....: ظننتكِ....ظننتكِ...
فردت لوجين: ماذا ظننتني ؟ اظننت أنك تخلصتَ مني بكل هاته السهولة ايها الأحمق،سألحق بك حتى الى الجحيم ! لدى فإطمئن.
كان أول عناقٍ يلمس روح ڤولس ذون أن يعي فعله هذا،إنه الحبْ،هذا هو الحب الحقيقي..
فقالت ناذين : هل خفت عليْ؟
رد ڤولس بغضب عارم: كيف لا أخاف وأنا أحبك يا أنسة.
فصمت لبرهة وقد لاحظ تغير في ملامح لوجين تهز حاجباً وتسقط آخر،فأدرك ما حصل،فتراجع خطوتين الى الخلف وإلتزم الصمتْ..
ففالت لوجين : سمعتُ ذاك الأخرق ذكر إسم ناذين فمن تكونْ؟
فرد ڤولس: إنها أول نغصة وقت في قلبي،وجعلتني أمرض كتيراً،إنها حبيبتي أولى وهي سبب تعاستي وكل هذه الكارثة.
فضحكت لوجين وقالت: ظننتك ملاكاً يا هذا،حتى تبين أنك سكير أثملته أنثاه فأفجعت روحه وتركته لنا نحن الساكباتْ الوقوراتْ.
فقال ڤولس متعجباً: كيف وصلتِ الى هنا،أتيودور من خطفك الى هنا؟
فردتْ لوجين: لا أتيت لابحث عنك،فقد وصلتني رسالة بأنك هنا وستتعرض للموت .لدى اتيت بسرعة..
فضحك ڤولس وقال: اتودين قتلي اليس كذلك،أعلم أنك أبدا لا تحبينني وحتى أنا لست من نوع الذي تفضلين.
فغضبت لوجين بلا سبب وصاحت وسط المقبرة حتى كادت توقظ الأموات من مرقضهم: أأنت أحمق ام ماذا؟
خطوت كل هذه المسافة لأني أكرهك !
نعم فعلتْ.....وذب راحلةً...فتبعها ڤولس يخطو معها ويمازحها يحاول لم خاطرها المشتتْ،فقال:
أعلم علم اليقين أنك تحبينني ! وأقسم لك!
خجلت لوجين وقالت بمهل: أنك تائق في نفسك كثيراً،...
فرد ڤولس: قلبي لا يخيبْ،وإن خابْ سأدفعه الثمن ...

فضحكت لوجين بإبتسامة جميلة تصفن فيها اوجه...
قالت: حثما قلبك على خطأ يا عزيزي!
فوجه ڤولس وجهه إليها صامدا عيناه في وجهها .فقالتْ...
حسنا نعم أحبك،فلتكف عن النظر إليَّ بهاته النظرة البائسة ارجوك..
ونسيِ أمر ناذين التي قيل أنها مذفونة في القبر بحانبه.وللحظة تذكر ڤولس أمر الحقيبة،فجلس وسط حديقة الأرواش القريبة من المقبرة مع لوجين،يريدان تفحص الحقيبة وما تحتويه من سرْ.وفجأة وبينما يحاولان فك الرمز السري.وقف عليهما رجلانْ أصحاب القامة الطويلة الضخمة ،إنهم أسودان جداً حتى مع الظلمة لم يراهما ،فأمسكا بهما وأركبوهما في سيار سوداء كبيرة،وكل ما كان يطالبه به ڤولس هو إخلاء سبيل لوجين،وحتى وإن أرادو الحقيبة ليأخذوها لا مانع عنده.وفجأة أحس ڤولس بأن شوكة وخزته في يده اليمنى ،وقد أبدت صداعاً لا ينتهي،فلم يستطع رؤية من لسعهُ مادامت عيناه مغطتان بقماش حصينْ...وبعد ساعاتْ وڤولس غائب عن الوعي ذون أن يدري أين هو وجد نفسه في منزل مهجور يسكنه ركام المباني المهترئةِ،مرميُّ كجثة أحد النزلاء الذين قذفهم البحر بعدما إستولى على أرواحهم،ففتح ڤولس عيناه على وقع ضرباتْ خفيفة على جبينه من شيء ما،وقد سارع في إسيقاظ مذعوراً فوجد أن أحد القطط الصغيرة هي من كان يربت على جبينه ليوقظهُ،فإنصعق بوجوذه في مكان لا يعرفه،منزل مهجور وسط قرية مهجورة،فتذكر لوجين وما حدث أمسْ،فراح يحمل تلك القطة الصغيرة النمرية،ويبحث عن لوجين لربما يجذها مرمية في مكان ما ...ولكنه إستغرب من بقاء الحقيبة معه،فتلك العصابة لم يكن هذفها الحقيبة كما يبدو بل لوجين نفسها.فمالذي كان ليفعله أنذاك غير أنه لا يفعل شيئًا.وفجأة أحس بنغصة ضربت الجانب الأيسر من مخه فأمسكه متألماً يصرخ من شد الوجع لبضع دقائقْ،ولحسن الحظ أنه نجى منها بأعجوبة فتذكر لسعة التي تعرض لها،فوجد أن مكانها حيت لُسِعْ إزرقَّ وإرتسمت دائرة تحيط بمكان اللسعْ،وقد أيقن أن ألم الذي شعر به هو بفضل تلك الحقنة ربما،فترك القطة التي أيقضته وسط الغابة وعاد مع الحقيبة الى منزل رب عمله ،فعجزه عن فتحتها بفضل الكود المستعمل جعله مهووساً بما تحتويه.وعندما سلمها الى زوجة سيده طرح عليها سؤال: سيدتي مالدي تحتويه هاته الحقيبة؟فقد عشنا كثيراً بسببها!

فأدخلته المرأة التلاتينية الى منزلها ووضعت أمامه تلك الحقيبة فادخلت الكود،وبان مافيها،إنها ألاف الأوراق وأسطواناتْ !
فقالت : إنها عملي زوجي،إنها كل أسرارهِ،فإذا تسربت الى الشرطة سيسجن بالتأكيدْ،لدى كلفك بمهمة إحضارها لأنه يثق في قدرتك على ذلك.
إبتسم ڤولس بسخرية: نعم قدرتي همه أين هيَ؟
وراح يخبرها بما حدث له في المقبرة وفجأة خرجت لوجين من المطبخ تحمل فنجانا من القهوة وقطعة بسكويتْ . فقالتْ:
ها أنتَ هنااا ايها التعيس كم بحثتُ عنك البارحةَ،لربما تملث مجدداً!
فأغمض ڤولس عيناه،تم فتحهما،يقول: ألم يختطفك أحدْ؟ وأين كنتِ البارحة؟
لوجين: لقدً إختطفوني وأحضروني الى هنا....
وفجأة دخل السيد (رب عمله)،يقول:لقد نجحت يا ڤولس كولكسيز،سُعدتُ بالعمل معكَ....
فوقف ڤولس محَـاديا إياه مُكشراً عن انْـيابه،يقول: لماذا فعلتَ كل هذاا.؟
ردَّ سيده :فلو أعطيتك الحقيبة مباشرة،لن تتوقف عن التفكير في محتواها لدى نسجت لك قصة لتلهيك عن التفكير فيها.
وقد كنتُ أرغب في إختبارك،هل ستعيد الحقيبة حتى وإن فقدت شخصا عزيزاً عليكـ..أم أنك ستفك فحواها وتأخد ما فيها مادمتَ لا تملك شيءً تخسره...هههه ولكنك ربحت في اختبارْ...
قليل هم الناس الذين يصلحون لإيقاظ أحد دون أن ترتفع أصواتهم،وهم أيضا من يجيذون حفظ الأمانة ...
وفجأة وفي العز صمت دخلت الشرطة المنزل،والكل متفاجئْ،فأخدت زوجة رب العمل تخفي الحقيبةْ،فقال أحد الشرطيان الضخمان :
سمعنا أن أحدكم يخفي حقيبة من الكوكيين،وقد جاءنا خبر أن هذا المنزل يخفي المتهمْ؟
وقتئذ دخل تويويدور مفاجئاً الجميع وخصوصًا ڤولس كولكسيز،فقال موجه إصبعه إلى ڤولس:
إنه المتهم ياسيدي وهاك الدليْل!
فأخرج هاتفه وأصمده في وجه الشرطي ،فقال الشرطي:

هيا أمسكو بهْ "ڤولس".فأمسك الشرطيان بڤولس وهو يحاول فهم ما يجريِ،فتذخل رب عمله بقوله"
مهلا .....مهلا... ففولس من عمالي المخلصين،إنه بريئ فأبداً لم يرى مثل تلك الحقيبة،وأؤكد لك أنه بريئ.
ففرح ڤولس لشهادة رب عمله وثقته فيهْ،إلا أن الشرطة لم ترضى بسماعه،فقد كان الدليل بحوزة تويودور مقنعاً جذاً،ولتلك اللحظة لم يكن يعلم ڤولس أي ذليل ضده...
اليوم الأول ذاخل الزنزانة "يقول ڤولس"
شعرتُ لوهلة أنني كنتُ أعيش طويلا داخل غابةٍ أحكمها لوحدي،وعندما دخلتُ كوخي أحسستُ بإختناق،كأن أحداً إنتزع مني ليس حريتي فقط بل كياني الذي كنْتُ أعيش بهْ،لربما هاته الزنزانة ليست الوحيدة التي كرهت بقاءي فيها،فحتى الآن لم أجذ من يرغب في بقاءي معه إلا من توسدو أثربتهم في تلك المقبرة ْ؛ولو أحسنو الردْ،فلن يكونو غير الباقي،ها أنذا أقولها بحنان الأم وعجز اليتيم،بصياح الذيك الذي عجز عن الصياح باكِرًا أقولها " لقد إنتفيتُ"،فقد إنهدَّ حيليِ،أفلا يوجد من يعلم أننا نرقظ على ركامنا وخرابناَ،ألا يوجد من يفهم أننا صامتون وهذا الصمتُ يرعِبُ حقًّا،إنه ليس الخلاصْ،إن الصمت هو العذاب،فهل تسمعيني يا جدرانْ،إني أخبرك بأسراري حيت تقبع مثاعبي،حينما لم أجد أحداً دسستها في مرآبي،وقد كان مملوءاً لحد القرفِ،فما أحسست أني شخص يستحق كل هذه المعاناتْ،إني كالباقي أفضل السعادة،أفضل الكوميدية،..لا ارغب بشيءْ..
فصرخ أحد السجناء : أكرمنا بسكوتك يا هذا،فصوتك المزعج قد أودى بسمعي ...
فَرَدَّ آخر: يبذو هذاالمجنون مفعما بالنشاطْ،إنه ليبدو عليه أنه لأول مرة يدخل السجْنِ،فيفرط في الحزن ويمثل فيها دور الحكيم....ففقز أحدهم وهو يجلس بجانب ڤولس:
كلناَ فعلنا ذلك! ومن لم يفعل،فلأنه ليس أول مرة يزور السجنْ فيها...
فإنقشع لون ڤولس عندما رأى السجين بجانبه،فجأة راح السجين يخطو إليه ويتمتم له :
هل فعلتها؟ .....هل فعلتها؟.....

ردَّ ڤولس في خوف مستمر: ماذا فعلتْ.....أنا بريئ لم أفعل شيئاً..
- السجين : أنَــا ر،ب .غ ...
- ڤولس: ماذا ؟ لم أفهم قولك؟ وضح ارجوك!
- السجين :الرقيب بوران غارسيز...أنا من الكتيبة التي تتلمذت على يدها يا ڤولس،وقد أوصاني الرقيب أول بتتبع ملفك ! ومساعدتك على الهربْ!ولكن قبلاً أريد أسألكْ!
- ڤولس : تفضل ارجوك!
- السجين : هل أنتَ أحمقْ ام أن المهمة التي أسندت إليكَ لم تكن سهلة ما تبدو؟ فنحن أردناك أن تخدم الشعبْ ورحت قتلْتَ عائلة بأكملها..
وراح ڤولس متفاجئً بما يقوله السجينْ....
فصرخ أحد السجناء:
توقف يا غارسيز فهاته عادتكْ،كل من يدخل الى زنزانتك،يشعر أنه ذاخل كتيبةً... فلا تقلق يا عزيزي،فتلك طباع الرقيب السابق الذي قتل عائلته لأنهم لم يعطوه حقه في الورثِ، وحاول إنتحار إلا أنه فشلْ وإنتهى به الأمر مركونا في تلك الزنزانة،وإثر دلك فقد عقلهُ وراحتْ أعمالهُ كلهاَ تظهر له في شخصْ آخر،وهو السجين الجذيذ الذي قد يدخل تلك الزنزانة معهْ،ففي كل مرة يعاد المشهد مع سجين جذيذْ.
فقد كاد ڤولس أن يفضح نفسه لولا السجين السابق الذي أظهر حقيقة النقيبْ،فلو علم السجناء أن ڤولس يعمل مع الشرطة،فحثما ستكون نهايته في تلك الزنزانةْ،وأيضا عملهُ الذي يتطلب إحتراس والسريةٍ.
حينئذ دخل رب العمل الى ڤولس،وبدى متأسفاً على حاله،فيقول له بحزن شديذْ زارعا فيه شتائل الأمل :
لا تقلق يا عزيزي،إنك مثل إبني،سأخرجك بكفالة إن تطلب الأمر بشرط ألا تخبرهم بمكان الحقيبةْ...
ڤولس: هل حقاً كانت تحتوي على كوكيين؟
رب عمل: ربماً...
ڤولس: إذن كذبت عليْ،واردتَ مني حملها الى منزلكَ،مادمتَ تشكل بؤرة شكوكهمْ!

رب العمل: ربما...هههه.لقد وقعت في الفخ يا عزيزي،لقد كنتَ وسيلتي لتهرب من الشرطةْ..
وفجأة دخل تويودور يلقي التحية على السجناءْ،فوصل لڤولس وقال له: لقد إنتهى بالذئب حيت ينبغي أن يكونْ،بين أنياب الفهدْ...
-ڤولس : إنها مؤامرة اليس كذلك.ماذا فعلت لك يا سيدي لتسجنني بهذا الباطلْ.
- السيد: فعلتَ الكثيرْ،ولن تفعل غير القليل الآنْ...
- تويودور: ماذا سنفعل به الآن يا ابي.
تفاجأ ڤولس وقال: هل قال لك ابي؟
السيد: وهل كنتَ تنتظر منه أن ينادني أمي .هههههههه
ڤولس: إذن أنت والده ! صدق من قال أن الإبن لا يشبه إلا أباه ،والذئب لن ينجب غير ذئب مثله..

السيد: هههههه يبدو كذلكْ،ستشيخ في هذا السجن يا ڤولس ..نوما هنيئاً...

ڤولس: ألديك يا تويودور كل تلك الأملاك وذهبت لتخذم كمزارع؟

تويودور: لا،فقد كنت ألهو فقطْ،وها أنذاك قد إستوليت على كل ثروة ناذين تلك الفتاة المتعجرفة،وهذا سبب تقربي من تلك العائلةْ،فاليوم لم تبقى لتشهد سجنك،فقد دفناها تحت الأرض التاسعةُ...
فتعانقا الوغدان وراحا يرقصان خارجاً...
وڤولس مصدوم بما سمعه منهما....فعاد لركن الزنانة الأيمن،بينما الأيسر يجلس فيه الرقيب،إنهما يبدوان كمرآة تعكس ظل شخص واحدْ...فصمت ڤولس كثير وقال:
ألهذا الحدْ ينبغي للحياة أن تعيدنا الى الصفرْ،فكيف لا تتخلص من أولائك الحقودين،بل تكتفي بأخد الناس الطيبينْ....إنها ليست عادلة...
وبعد يومين خرج ڤولس بكفالة سددها أحد المجهولين،فظن أنها لوجين،وفي عقله آخر،يعيد نشب واقعه ليخبر نفسه أنها مساعدتهم،ولربما هي من ورطتهُ في تلك المكيدةْ...فتذكر الدليل الذي سجن بسببهِ...وراح لمفتش الشرطة يسأله عنه...فتبين أنه عندما كان فاقداً الوعي،أخدتْ لوجين الحقيبة المليئةَ بالكوكايين

وأجلستها بين أحضانه وأخذته له صورة وتلك هي الدليلْ،فلم يكن المصور ظاهراً في الشاشة ولكن خياله ظل حاظراً،فتبين له أنه فتاةْ من شكله،وما من فتاةٍ كانت هناك غير لوجينْ..

لقد كانتْ تالتة خيبة يتعرض لهَا،إنها الخيانة من أعز شخص في حياتهِ،فلو أراد شيئا،لتمنى أن لا يكتشف حقيقتها قطْ.
وعندما خرج من مركز شرطةِ،وصلته رسالةْ من مجهول تقول:
" أرجوك سامحنى،فلم يكن لديْ خيارْ.....لقد حاولت عصيانهم ألاف المراتْ،إلا أنني موضوعة بين أنيابهم...
ظل ڤولس يفكر في صاحب الرسالة،فتأكد أنها لوجينْ،بعذما فطرت قلبه،أصر على التخلي عنها،ولكن الحبْ الحقيقي ليس من السهل التخلص منه،فراح عائِداً الى منزل تويودور ليطالب بلوجين،وعندما فتح البابْ وجذهم يحاولون تزويجها لتويودور فقال ڤولس :
يا ويلي.... ألهذا الحد لا املك نصيبْ....يا سارق الحبيباتِ انتْ يا تويودور..ألم يكفيك قتلك لناذين واليوم تنظر الى حبيبتي لوجين...
فاندهش تويودور وأبوه تم قال: كيف خرجت يا هذا؟ ألم تعفن في السجن؟
رد ڤولس: لا فقد خرجت رغم أنفكما...
فتقدم ڤولس الى لوجين وهي واقفةٌ بمحادات تويودور يقول:
هل تحبينه يا لوجين؟
ردت لوجين: نعم احبه يا ڤولس!
ڤولس : أحقا ما تقولين؟
لوجين : حقاً أخبرك اني أحبه...
ڤولس : حسنا..سأتركك مع حبيبك...وأنتم يا سلالة السافلين لن أنسى جميلكم هذا فإما أن تذخلو السجن برضاكم أم القبر برضايْ..
وغادر المنزلْ،ولكن عندما وصل للحديقة تبعته فتاة صغيرةٍ،تبدو من اهل المنزل تعطيه رسالة،وتخبره فيها لوجين أنها مكرهة على الزواج منه،وأنهم يهددونها بوالدها حيت يسجنونه في مكان ما في الغابة ...
ففكر ڤولس في خطة لينقذهما معاً،فأولى إهتمامه لأبيها راغبا في إنقاذه منهم،فلو أوقف الزواج بذون عذر سيكون الأب في خطرْ،فوجد في تلك الرسالة عنواناً

لربما مكان إقامته وسجنه...وراح إليه بسرعة البرقْ،وها هو ذا وصل الى الغابة ووجد كوخا صغيراً تلفه أشجار من كل النواحيِ،فدخل ڤولس إليه فوجد رجلين أسودين ضخمين فضرب أحدهما والآخر أمطر ڤولس بالضربِ ،حتى أعياه فإنبطح أرضاً وصار المخطوف مخطوفانْ،ولكن ڤولس ليس غبياً بل مجرد غبي صغيرْ،كان يحمل في جيبه سكينا صغيرًا للحيطة فقطْ،فقد كانتْ خطته أن يسجن مع العجوز ليستطيع حل وثاقه والهرب...وبعدما مرت ساعة من وجود ڤولس داخل الكوخ،أخرج سكينه العزيز،بينما الرجلان يتناولان الغذاءْ،وبدأ يحفحف الحبل به،لكن السكين غير حادْ،ولكنه قضى أمر بسلامْ.وقد فك وثاقه ووثاق العجوز،حينئذ كان الضخمان يديران ظهرهما لمكان تواجدهما،فخرج إتنين بحذر وبخطوات قليلةٍ وفجأة إلتفت أحد الرجلان،فأصمد الجميع لهذا الموقفْ.فهرع الضخمان لاتباعهم وقد أمسكا بالعجوزْ،مما جعل ڤولس يعود ادراجه إليهمْ،وبينما هما يتشاجران،أخرج ڤولس سكينه العجيبْ،وضرب به أحدهم فسقط في الأرض،وقد حاول التاني ضرب ڤولس بعصا من الحديد إلا أنه أخطأ التصويب فأخذ ضربةً في ركبته بسكين ڤولس..

وعاد كليهما الى منزل تويودور ،وعندما رأت لوجين أباها بخير وڤولس مطليٌ بالذماءِ أولائك الحمقى..فكت رباط الزواج وركضت إليهم.فأمسكها تويودورْ واضعاً سكين على رقبتها وڤولس يحاول تمالك نفسهُ،إنه يتردد في إرتماء على داك الأخرق وفي لحظة من الصمتِ ضربتْ لوجين تويودور برجلها اليسرى حتى سقط على أرض ماسكاً بين رجليه من الألم...ففرح ڤولسْ،وراحت لوجين تركض ففتح دراعيه ليعانقها.فإرتمت على جسد أبيها العجوز،وبقي ڤولس مصدوماً،فقال:

على أنثى ألا تبقى مصدراً لضعفْ،لأنها هي ذاتها مصدر للقوةْ.

وقد أسرع تويودور مرتميا يريد طعن لوجين من الخلفْ،بينما هي متوسدة كتف أبيها،فتقدم ڤولس ماسكا سكينه،فطعنه به في قلبه تماما مرتينْ،وأبوه يصرخ " ولدي....." فأمسك أب تويودور سكين ولده،بينما ڤولس يمسك السكين المليئ بالذماء يرتعش لمنظره وقسوة اللحظة ،فشق ضهره بسكين حتى سمع صراخهُ،فإنتسى منظر الذماء بين يديه عندما أحس بالألم يأتي من خلف بطعنة من أب تويودورْ،فسقط ڤولس يتألم وكل دلك مر في تانية مصدومة،وقد حاول اب تويودور طعن لوجين آيضاً إلا أن ڤولس قاوم ألمه ووقف على حيله فضرب

بسكينه بطن اب تويودور وأورده قتيلاً،تم غابَ عن الوعي..فبقي ڤولس مصدوماً لمنظر الذماءِ،فلم يمتطي صهوة الألم بل ظلَّ ناذما على فعلته حتى وإن كان على أتَـمِّ إستعداد بمغاذرة هذا العالمْ.
فحملته لوجين على كتفها يتعكز الى أن أوصلته الى مستشفى خاص وكالعادة لم يقبلو بإذخاله فظل ينزف إلى أن أظهرت لوجين المال ،فراحو يعالجونه ...
في صباح الباكرْ،إستيقظ ڤولس على طنين العصافيرْ،ورنين البائس لراديو الإنعاش ملتفاً في خيوط الحياةْ،فناذنى للوجين كتيراً فجاءته ممرضة تقول له أنها غادرت البارحة مع عجوز بعذما أدخلته لغرفة العملياتْ ..وقد ظل ڤولس يفكر طويلا في سبب تركها لهْ...فقال:
إن أسوء ما أنجبته أجيال حتى الآن أولائك المؤقتون الذين يريدون المتعة ،فيقصدونها أينما حلَّتْ،وإرتحلتْ..حتى على حساب قلوب الآخرين...أنهم أفضل في كسر أرواح،وجلعها ركاماً من الإحباطاتِ البائسةَ...
وفجأة رأى ڤولس رسالة بجانبه،فوق رف طاولة ،فأخدها وراح يفتحها بمهلٍ،فوجد ورقة مكتوبةً و خاتماً غريبْ..تقول:
... لقد قيل أن اليوم سيأتي منذ زمنْ،هاهو قد أتى مفعوماً بالحطامِ حيت ترقظ اليوم،وغداً ستقومُ من عليهِ،لتجذني مرفوعا الى السماءِ كأي إنسانٍ أخطأ في إيجاذ مبتغاهْ،ستتساءل من أكونْ،ولست أرغب في أن أفضح نفسي أمامك،فأنا لزلت لغزاً حتى الشرطة ظلتْ تنبش عليه فلم تجذ له سبيلاً،واليوم قررت أن أعطيك السرْ أنتَ،يا ڤولس لربما ستتفاجأ بعدما سأخبرك الحقيقة عن نفسك،ولكنك ستكرهني ولا مانع عنذي من ذاك،فحتى وإن قررت إنتقام لا عليكْ،أقبل بهْ،فأنا سيءٌ وسوءي هذا لم أعلم به إلا عنذما أصبتُ بورم خطير يودي بحياتي يومياً،إن تلك الفتاة التي أحضرتك هي عميلة للإستخباراتْ.وداك العجوز الذي أخبرتك أنه والدها هو مساعدها الشخصي...فقتلك لأب تويودور لم يأتي علوةً بل مخطط له،وكل الأماكن كانت تقصد نفس المكانِ،فتلك كانت مهمتكَ الأولى وقد نجحتَ فيها،بقضاءك على أكبر تاجر للمخدراتْ،وتاجر بالبشرِ،كان يتخفى بإسم بيوليس كولسترز ،فإن كنتَ ترغب في إكتشاف حقيقتك لاقني بعد الظهر في حديقة أوراش القريبة من المقبرة القديمة.....فالغرباء يظلون أفضلْ ذون معرفتهم،إن معرفتهم تزيل الحماسة التي تكسو غرابتهم...لدى إختر ما تشاء..

رسالة من مجهول...
فراح ڤولس يتساءل عن هوية هذا المجهول،إنه يعرف الكثير عنهْ،فلابد له أن يكون من أحد جدوره،فالأرواق تعرف من جذورها..
فدق الباب مرتينْ....ودخل طبيبْ يقول:
صباحك سعيد يا سيد ڤولس،كيف أصبحتْ؟
ردَّ ڤولس: بخير شكراً لكْ...متى سأخرج من هنا ايها الطبيبْ
الطبيبْ: مهلا.. مهلاً..سنناقش خروجك فيما بعد،والآن سأخبرك بخبر يخص صحتكْ..إنك لست على قيد الحياةْ كما تظنْ!
إنبهر ڤولس وتسارعت كلماته يقول: أنا ميت الآن اليس كذلك! هل أنا في الجحيم،من المرجح ذلك مادمت لم أرى وجه أمي بدل دلك رأيت وجهك البشع ...الويل لك ولطاقمك الطبي...وأفرغ جام غضبه على الطبيب دون أن يسمح له بإكمال حديثه...
فقال الطبيب: مهلا...تريثْ،أنت على قيد الحياةْ،ولكنك يوما بعد يوم ينقضي أجلك،إن في مخك ورم خبيثْ لا نعلم من اي فصيلة هو ولكنه قاتل بطيئ يجهز على ضحاياه ببطئ بعذما يجعلهم يرون أشياءًا يتمنونها لأنفسهم.
رد ڤولس: اوه ،اخفتني،لا يهم ما تبقى من حياتي،المهم أن أعيشه بسعادةٍ،مرحى .....مرحى إنه أفضل ورم لقد أحببتهُ مادام سيظهر لي ما أتمناه فليفعل بي ما يشاءْ..
فرد طبيب: يا لك من مجنونْ،إنه يقضي عليك في كل تانية تتنفسها،لدى سنجري لك عملية إستئصالْه ستكلفك مليونينْ ...
فضحك ڤولس: هههه أتريدني أن أبيع كبدي وأحشائي لأحافظ على مخي؟ أهذا ما تقصد يا ذكتورْ؟ أليست أنت المجنون ولستُ أناَ...
رد الطبيب: لن تخرج من هنا إلا بعد أن نستأصل كل ما فيك حتى الورم سنجني به الملايين،فاسترح يا بني...
وغادر الغرفة،حيت بقي ڤولس يضحك كالمجنون..فقال:
من المرجح أنهم صادقون في بيع أعضائي،لدى من الجيذ أن أفرَّ قبل مجيئ أحدهم إليَّ...فلبس رداءَ الممرض ووضع كمامة وخرج من المستشفى يتمايل أثر ما بقي فيه من الألمْ ،حاملا في يديه رسالة الغريبْ وفي عقله ألف

سؤال..وفجأةً رأى لوجين تقف أمام المستشفى،فراح بسرعة إليها،ولكنه بقي صامتاً فقالت:
أوهْ...أنتَ بخيرْ،الحمد للهْ فرحتُ لخروجكْ...وظل ڤولس يرمقها بأطراف بعينيه كأنه قد إرتكبت جريمةً،ولكنه كان يشك في تلك الرسالة التي وجدها..فقال:
هل أنتِ عميلة لدى أنتربول؟
ردت بسخرية: ماذا تقول؟ انا عميلة.خههه تمزح معي..انا مجرذ ساكبة في ملهى قبيحْ..
ڤولس : لا يعمل في الملهى إلا نوعين من الناسْ،من يجني المالَ أكثرْ،وهن الفاسداتْ،ومنْ وراءهن دافع كبيرْ مِثْلكْ..
فغضبت لوجين وضربته على كتفه ثم قالتْ:
يا لك من متسلطْ...نعمْ أعمل في أنتربول لماذا تسأل؟ ومن اخبرك بحقيقتي..
ڤولس: مهلا ...مهلا... أبساطتك تلك كانت مزيفة؟ أكل ما حدث بيننا كان مزيفًا كشخصيتك؟
هزت لوجين رأسها عالياً ثم قالت: طبعاً،إنها مهمتي أولى وهي أولى إليَّ من ايِّ شيءْ..
وفي تلك اللحظة،وبذكاء ملفت لڤولس لم يتجرأ على إخبارها أنه أيضا يعمل لصالحهمْ.وإلتزم الصمتَ..فقالتْ لهُ:
يا لحظك البائس،ألم تستطع قط العثور على شخص يكون عند حسن ظنكْ،فمثلا أنا الآن أوقعتُك في فخيٍ بسهولة الضفادعِ،وقبلي ناذين تلك الخائنة السافلةْ،التي خانتْ الوطنْ مع سكير وغدٍ كميوسيلم...
ڤولس: اوهْ مهلا...أناذين كانتْ عميلة ؟ وهل أنتم من قتلتموها؟
لوجين: لم تكن عميلة بل كانت وسيلةٍ،لقد كنا نرغب في القبض على ميوسيلم صاحب أكبر ميناءاً في العالمْ،الذي فيه يتاجر بكل شيء حتى الناسْ،وقد كلفناها بالعمل معهُ وإستمالته بجسدها الصغير،فقد كانت نقطة ضعفه أنه يميل للفتيات الصغار كناذين،ولكنها خانتنا معه وسافرت معه الى الخارج،وبفضل مخابراتنا أمسكنا بها فسممت نفسها وهي بين ايدي إستخباراتْ.
وقع ڤولس في فخ لوجين،وإنتهى به المطاف في التفكير ماذا عليه أن يفعل ..فوصلته رسالة على هاتفه ".
اتذكر لقاءنا،يا ڤولس..في حديقة قرب المقبرة القديمة مع 2 بعدالظهر..

وهنا علم ڤولس أنه ليس لوجين من كان يراسله بل شخص آخرْ،ففزت لوجين ماسكة هاتف ڤولس في فضول قاتل لمن ارسل له رسالة فقالتْ :
أهذه معجبة تالتة يا ڤولس،أعلم ان بشاعتك المراهقة تقف أمام مبادلتك لأي حبْ..فمن يكون هذاا الذي الغريب المجهول؟
رد ڤولس : وما شأنك؟ لتذهب الى الجحيم أنتِ وأنتربولْ الذي تعملين معهمْ ..
وقد ظل ڤولس يشتمها طويلا الى أن غاذر وتركها واقفةً متفاجئة بحجم الحقد الذي ابداه لها..
فلم تكتفِ لوجين بالسؤال بل لحقت به الى الحديقة،حيت يود مقابلة الغريبْ ..
وصل ڤولس الى الحديقة وظل جالساً ساعة من الزمن ولوجين تراقبه من بعيدْ،فقد كانت تكبره بسنيتينْ فلا يبدو عليها الكِبَرْ أبداً..وظل ڤولس سامراً رجليه الطويلتين على كرسي هناكْ.فقال بملل :
أظنه من الناس الذي لا يحق أن نلقبهم بأسياد الوقتْ،بالمنظبطينْ الذين يعطون للمواعيد حقهم .
وفجأة وصلتْه رسالة :
أأحضرتك معك عميلة أنتربول يا ڤولس؟ إذن لن نلتقي اليومْ،سنلتقي في اليوم الذي ارغب انا في لقياك...
فقال ڤولس بغضب شديدْ: اكُلُّ هذا أنتظار على ولا شيءْ؟ ماهذا المنطق يا اللهْ،كيف لنا أن نعاشر امثال هؤلاء الحمقى على ارضٍ واحدْة .فأرجوك خدني الى ارضٍ لا أجذ فيها غيري..
فتطلع الى البحث عن لوجينْ،فوجدها مختبئة وراء أحد المقابرْ تتكلم مع أحد في هاتفْ.فقال ڤولس:
أأنتِ هنا ،يا ظليِ،لقد كنتُ أشكُّ أنك تحبينني،لدى تظلين تلاحقينني من مكان لآخرْ..
ردت لوجين: طبعا لا،فقد جئت لأزور خالتي المتوفية..
ڤولس: حسنا أين خالتكُ هنا؟ هل هي عبد الرحمان الكليم ،أم حسن لوطيك .أم خالد السعلوك ؟
فوقفت لوجين غاضبةً تريد تغيير مجرى الحديثْ تقول:
لماذا تسألي ألا يحق لي زيارة موتانى ،يا لك من انسان أحمق ودبت هاربة تسارع الرياح بخطواتها الطويلة فقال ڤولس في أوضح عباراته:

إياك وأن تناقش أنثى خصوصاً عندما تكونُ غاضبة،لأنها قد تخبرك بأي شيء لمجرد أنها ترغب في تغيير الموضوعْ.
ولحق بها ڤولس يخبرها بأنها مجبر جاسوسة حقيرة وظل يشتمها وهي تسارع في الركض فقد كان يرغب في زيادة غضبها لتفصح له عما تحتويه أنفاسها إلا أنها كالصخر لم يتحرك شيء فيهاً.وفجأة نسي ڤولس ما كان الموضوع الذي كان في غمار الحديثِ عنه ،فقال لها:
هيا نعُدْ الى الحانة فالزبائن ينتظرون أن تفتح في هذا المساءْ.وقد تفاجأت لوجين بفعله هذا..وقالت :
إنها طبيعة إنسان،فقد يكون مهتماً لتوانٍ،ثم يغير رأيه في باقي اليومْ..
فدخلا معاً الى الحانة يسكبان للسكارى للمرت الثالثة،فلا يوجد صاحب الحانة،الذي قتله ڤولس وقتل إبنه تويودور،فالسكارى اليوم جاءو ليثملو ليس ليأخدو الحكمة من صاحب الحانةْ...
وفي الغدْ أفاق ڤولس على رسالة المجهول،وقد كانت لوجين نائمة فوق السرير وهو في الارض،فتسلل كاللص الى الخارج لملاقاتِ الغريبْ .وفجأة وقفت لوجين فوق رأسه بينما كان يتخبط في الارض كي لا تراه فقالت له:
سأذهب معك الى ايِّ مكان حتى الجحيمْ..
فرد ڤولس: حسنا هيا...
فإلتفتت راغبة في الذهاب،إلا أن ڤولس ضربها على الرأس فسقطتْ فاقدة الوعيِ.تم حملها الى السريرْ،وقاس نبضها ليعلم أهي على قيد الحياةِ ام لا...فرغم ما يبديه ڤولس تجاه لوجين من كره إثر كذبها عليه،ولكنه يحبها الى أقصى الحدود وهذا الفعل تماما ما يدل على حبه،فلو ذهبت معه لقتلها الغريبْ،الذي قال في رسالته الأخيرة أن أخر ما ستراه لوجين هو وجه ڤولس،لدى حبسها في الغرفة التي توجذ في الجزء العلوي من الحانةِ.
فراح الى الغريبْ،في الحديقة المقصودة بجانب المقبرة القديمة،فجلس لتانيتين،ثم جاءه رجل عجوز يتعكز على عصاه المعوجة يكاد يسقط من عجزه عن المشي، فأجلسه ڤولس بجانبه،يحكي له على الصباح وهواءه المنعشْ..فقال الرجل العجوز:
أأحضرتك معك أحد؟
رد ڤولس: ماذا؟ لم افهم ما تقول يا عميْ؟

العجوز: أنا الغريبْ يا ڤولس كولكسيز!
ڤولس: اوه ظننتك أصغر من هذا...عفوا...
هيا قل لي ما السرْ ...
وفجأة وصلته رسالة تقول:
لن أحضر اليوم،فقد أصبحت مريضاً"
في تلك اللحظة علم ڤولس أن الغريب ليس ذاك الشخص الذي يجلس بجانبه وفجأة سأله:
مالذي كنت تود إخباري به ؟ تكلمتَ عن شيء لم اسمعه عبر الهاتف في مكالمتك الأخيرةْ..
فقد أراد ڤولس معرفة من هو ذاك العجوز،بإختلاقه لموضوع المكالمة.
فرد العجوز: أردت إخبارك أن عائلتك قد توفيتْ البارحة فقد هجم أحد الذين تكن لهم الضغينة عليهم فقتلهم جميعاً..
فإرتعب ڤولس لسماعه هذا الكلام وقال: من قتلهم؟ وهل ماتو جميعاً....اهٍ يا امي.....اهْ يا إخوتيٍ وظل ينتحب هناكْ ..فقد أتقن الوغد الدورْ،فقال العجوز:
لقد ظل لك من العائلة واحدٌ،إنه أختكُ سيلڤيا !
حتى تلك اللحظة كان ڤولس يمثل ولكنه عندما سمع إسم أخته أيقن أنه يقول صدقًا..
فقال ڤولس والذموع تذرف من عينيه: أرجوك أخبرني كيف حدث ذلك؟
رد العجوز : أنا انتمى لتلك القبيلة،وفي يوم ما هجمتْ علينا قبيلة تانية فقتلو نساءنا وأحفادنا وكل من يحيي فيها،فحتى المنازل دمروها،وقتلو محاصليها وبعيرها.وقد قيل أن كل هذا حدث بسبب ڤولس كولكسيز فتعجب الكل لهذا الإسم الغريبْ،الدي لم يكن لأحد العلم بوجودِهِ فقال أحد رجال العصابة أن ڤولس كولكسيز هو نفسه بيير إبن بيرطهاين؛ وقد غير إسمَهُ لكي لا يعرفه أحدْ...وقد مات الجميع،وبقيت أنا مختبئاً في الغابة،إنها مسكني منذ الأزل،واكثر من بقيو أحياءْ توجهو الى عائلتك فقتلوها جميعها بدعوى أنهم سبب هاته الكارثة،فلو قتلو أل برطهاين سيعود الماء الى مجراهْ وقد ظلت اختك على قيد الحياة بعدما كانت تقطن في منزل خالتها في المدينة.
فإنكمشت عيني ڤولس كولكسيز من الحزن،فقال: هل بقي أحد على قيد الحياة غيرنا؟

رد العجوز: إنها أنا !
فأخرج العجوز سكينا من بين ضلوعه وطمره في جسد ڤولس ! فلم يكن لڤولس لحظة التفكير فيما قد يحدثُ لقد كانت التوانِ مسرعة جداً..
فسقط ڤولس يتجرع دماءه في الأرض،ولا يزال يتجرع ألم الضربة الأولى فلحقت به الضربة التانية وقد كان من المتوقع أن يموت حينها..
فإنتزع العجوز خنجره من جسد ڤولس،وترك ملابسه التنكرية على المقعد ،فهز ڤولس رأسه ليرى من يكونْ...
وهنا تكمن المفاجأة،إنها فتاةْ والمفجع في كل هذا أنها لوجين نفسها.
فقالت له: ها أنذا إسترجعت إنتقامي لأهلي الذين قتلو بسببك،فعائلتك لم تمت ولكن عائلتي من أرقضتهم تحت التراب ..وغاذرت تاركة إياه غارقاً في ذماءه..
فأكثر من نعرفهم،لا نجيذ البثة معرفتهُم،إنها أولى خطوات التي نسمح فيها لأنفسنا بأن نتعرض لهكذا صدماتْ،فنذعي معرفتنا بالناس،ولكن الحقيقة أننا ابداً لا نعرفهم.
إن إيمانك بأنك جذير بمعرفة الأخرين،ليس إلا توهم قد ولد عن نقصٍ حاد في تقديرهم لكْ،فعندما تدرك أن أراءهم البليذة مهما يكن صداها فلا هي تؤثر فيك ولا هي محقة في قصدها لك.
دع ذاك الضفدع الذي تحاول مساعدته للوصول الى البحيرة ليصل بنفسه،فبطولة إنجازه تكون درساً له،في حالة نجاته،وإن ساعدته فسيبدو كسولا لا يحرك ساكنا.لدى فمعرفتك بالناس ليست بتلك السهولة،إنها أصعب من تسلق جرف صخريّ قاتلْ وبتالي فمساعدة الناس على معرفتكْ تجنبهم بذل الجهذ لذلك،بل يرون أمر مملا كأي كائن بشري،فيسرفون في بعثرة شتاتكَ،فكل من يخضع لمعرفة إنسان يصبح فاسداً،بل قد ينذثر،لذلك دعهم يعرفونك بأنفسهم .....لكي لا تنذَم على تركهم لكْ.
وكُن الساحب الصاحبْ،فإطالة والتعلقْ تخلق التبعية،يصبح إنسان مستعبداً لأصدقاءه وأقاربهِ،فلا هو يجيذ إصطياد بنفسه وسط الأذغال،ولا حتى النوم وحيداً في وكره العزيز،وهذا الخطأ البشع الذي ولدَ حديثًا لم يوفر جهذاً ليستمرفي البقاء أسفل الحضيرة.فنحن لا نريد أتباعًا بل نريد من يقود الأمة.

الفصل الثالث :

حقيقة ڤولس كولكسيز،وسر الورم"

منذ أن ولد ڤولس كولكسيز،وهو يعاني الخذلان،لحظه السيئ،فقد كان يتمنى حياة عادية ولكنه لسبب ما يأتي مع المشاكل في نفس الطريق..حتى راح لاوسكي يناذيه الثعلب المجروحْ،فقد كان منذ أن بدأ العمل متتبعا من طرف
إستخباراتْ،فحينما سلمه لاوسكي قلادة وطلب منه عذم إزالتها مهما جرى،كانت تحتوي على كاميرا صغيرة ومكروفون يسجل الحديثْ.وبذلك فقد حلَّتْ ألاف العصاباتْ بفضل ڤولس كولكسيز حتى وإن كان ذون علمه،فحديته إلى أب تويودور وهو أكبر رجل عصابات في العالمْ مكنهم من تتبعه وحل عصابته والقبض عليهمْ فك أسراه وكل هاته كان بفضل ڤولس كولكسيز،وحتى تلك المستشفى التي كان فيها،قد تبين أنها أول من يزود تجار المخذرات وتجار بأعضاء البشر،وقد تمكنت إستخبارات من القبض على الطاقم الطبي متلبسين في إزالة أعضاء لإحدى الجثة الذين قتلوها،كانو يختطفون الناس من تلك الحديقة فيحقنونهم بورم خبيثْ،ليعودو إليهم طلباً للعلاج لما كانت تبدو عليهم من سمعة قوية وصيت دائع،فيقنعونهم بدفع مال ،وإن لم يذفعو يأخدون منهم شيئا إما كبد أو شيء ما،وقد أظهرت تحقيقات أن تلك المستشفى قد شرحت قرابة مئة جثة كانو أحياء ثم ماتو على أيـديهم،وهذا ذون أن يقيسومن ثَم إنتِشال
أعضاءهم مقابل المال.لقد كانت أغلب مهمات ڤولس ذون علمه،كان يشارك في حل الجرائم دون أن يفهم ماذا يجري..
وقد كانو يسمونه السلاح الغبي لكونه يظل يفتعل المشاكل ولكن كل مشكلة تكون لصالح إستخباراتْ.

وبعذما تعرض ڤولس للطعن وهو على أبواب الجحيم،نقل الى المستشفى نفسها التي هرب منها،وهي ذاتها من تنتشل أعضاء،وقد مر يومان عن بقاءه في الفراش،وقد قيل أنه سيموت لكون الطعنة كانت قريبة من القلبْ،إلا أنه نجى ،وها هو قد أفاق من غيبوبته،فوجذ أمامه ممرضتين،اولى سمينة وعبوسة،قصيرة القامة،تظهر بشاعتها المسمومة والتانية متوسطة الحجم والقامة تبتسم طوال الوقتْ.
والتانية جميلة ومتوسطة الحجم والقامةْ،تظهر إبتسامتها من بعيدْ..
تقول الأولى: هل تعافيت يا سيد ڤولس!
رد ڤولس: هل هاته مستشفى قريبة الى حديقة ارواش؟
ردتْ احداهن : نعم هيَ..
فصرخ ڤولس من الخوف....: أخرجووووني
ارجوكم.....انقذوني.....سيستأصلون كل أعضائي اليوم.....وظل يصرخ الى وقت صمت فجأة تم قال:
..هل انتشلتم شيئا منيّ؟
فقالت ممرضة تانية : هههههه لا لا ليس بعدْ...
ضحك ڤولس وقالتْ: أوهْ..أتنتظرون إذني! حسنا لقد أخذتموه،الآن إنتشلو هذا القلب المنحوس،وخذوه بعيداً..
ضحكت الممرضة اولى وقالتْ: يا لهذا المجنونْ.وغادرتْ الغرفة..
فقال ڤولس: من الذي أحضرني الى هنا؟
فردت الممرضة التانية: وجدناك ساقطا أمام المستشفى،فأذخلناك وعالجناك...
رد ڤولس: أوه كيف انتقلت من مكان لمكان؟ اوه من دفع تكاليف؟
ردت الممرضة: إنها فتاةْ تقربك من بعيدْ،إنها خارج المستشفى الآنْ..
فطلب منها أن نحضرها،لكنها رفضَتْ،فقالت له الممرضة:
لا يمكنها الذخول ولكن يمكنني إخراجك إليها..
فإبتسم ڤولس يقول: تريدين رشوة أليس كذلك..لنكون في الخط ذاته،أنا مجرد مزارع فقيرْ،حتى المال الذي يقع في جيبي يضيع كأنه رمي ذاخل وادٍ جارٍ لا يستقر مزاجه..
فإبتسمت بخبث وقالتْ: لا لا لست من تلك السلالة...

رد ڤولس: وفي أي سلالة تنتمين ؟...حسنا لنختصر الباقي أخرجيني لأراها وأعيديني وإنتشلي ما أردتي من هذا الجسدْ،إنه لك منذ الآن...فلم يكن ڤولس على علم أنه تم إفراغ المستشفى من تلك السلالة التي كانت تنشل أعضاء ،وأعادو توظيف آخرين..
فقبلت الممرضة وأخرجته وعندما بلغته حديقة المستشفى لم يجد أحداً فخاف ڤولس،وأدار محرك كرسي المتحرك،وأمسكه بشدة يقول:
أنتِ تكذبين...الى أين تأخذينني؟ اعلم أنها كذبة لا يوجد احدْ...
فإنتزعت معطفها وجلست تحت قديمي ڤولس..ڤولس متفاجئ بفعلها هذاَ،ماسكة ركبتيه وعيناها تضويان ضوياً..
فقال ڤولس : مهلا...ماذا تفعلين،لست من داك النوع،أعفيني من محاولة إمتناع عن مغازلتك أيتها الجميلة.
فإبتسمت وإرتسمت على شفاهها أجمل الرسوم وقالت:
انت لا تعرفني،ولكني أعرفك تمام المعرفة،أتذكر تلك الفتاة التي أنقذتها بعذما حاولو قتلها؟ إنها أنا،فقد درستُ وأصبحت ممرضة بفضلكَ،لقد وددت لو أعيد لك الحياة التي منحتها لي ذاك اليوم،ولكنك اختفيت عن الأنظار ولولا العم لاوسكي لما إستطعت إيجادك ولا حتى معرفة وجهك.
إن أعظم أحلام الناس تبنى من أمال الآخرينْ،فليس في هذا العالم من يحبطون العزائم وحدهم،بل يوجد من يوقظونها في كل روح مغدورة.
فإبتسم ڤولس،كأن قلبه أعيد له نبضه فقال: أهذه أنتِ...لقد ظننت أنني لم أنجح في إنقاذك..
ردت الفتاة: لا طبعاً نجحتْ،هل خفت عليَّ ؟
ڤولس: نعم خفتُ كتيراً،فلم يحدث قط وأن مات أحدهم بين يدي،وإن فعل سأموتْ ..
إبتسمت بقليل من الفرح وقالت: يا لحظِ سعيدْ خفت عليْ،..لم يكن لي الحظ ليخاف عليَّ أحدْ فأنا يتيمة أبوانْ ...
رد ڤولس: أوهْ..الله يرحمهما...
فغضبت الفتاة وقالت: الله يحرقهم بنار جهنمْ،إنهما لا يستحقان ولو قليلا من الترحم على جثتهم،فأنا من قتلتهم وأنا أعترف بذلكْ،فقد كانو ذائما يجبروننني على مصاحبة أوغاد لينالو النقوذ،وفي يوم ما،أمسكاني وحبساني ذاخل الغرفة

وحاولا إشعال النار فيها،فلسنا مجرذ فقراء بل الفقر قد عجز عن إمدادنا بالمزيد.فإختنقنا جميعاً حتى هما قد ماتو ولكن ليس بإختناق بل بحادث سير،عندما تركوني وحدي في الغرفة مع قنينة الغاز،الذي يلعب في أجواء ظنو أنها نهايتي فحاولو ترك البلدة غير أن مصيرهم كان أمامهمْ،وعندما إشتم الجيران نفس الغاز جاءو مسرعين لنجدتي وقد كدت أن أموت لولاهمْ.

فرد ڤولس: يا لك من مسكينة...فلا أبرر فعلتهم الخاطئة،ولكني أعلم أنهم لم يجذو خياراً ،فأنا أيضا عشتُ كجرذ ذاخل حقيبة،خبؤوني وعذبوني حتى أجبرت على ترك كل شيءْ،لقد كانت لي نفس لا ترضخ لشيء وقد رضختْ،وما عدت اهتم لأحد،فالفقر دائما ما يجعل إنسان يفقذ ما يعزهُ مهما كان قريبا من قلبه.وها أنذا هجرتهم جميعاً ويؤسفني ان أقول أن لي شوقا لملاقاتهم حتى بعدما فعلو بي كل هذا..

ضحكت الفتاة وقالت: هههه إذن نحن إتنانْ..

وفي تلك أثناء لم يكن ڤولس مستوعبا أن إستخبارات لتزال تتجسس عليه،وكل كلام يحدث معه يصل إليهْم،فقد قال أحدهم :

أهذا هو العميل ؟ أراه كوميديا أكثر من عميل...

وفجأة لاحظ ڤولس في قلادة في يده زراً يضوي بأحمر خافتْ..فإكتشف الحقيقة وأنه مراقب على الذوام فقال:

الآن علمت لما لاوسكي لم يعيي نفسه يوما بإتصال بيِ،بل ترك نفسه معي دائما...

فقالت الفتاة: هل أنت متزوج يا ...؟

رد ڤولس:.. ڤولس كولكسيز.اسمي ڤولس...لا لست متزوجا بعدْ...

الممرضة: أنا زيللا...

ڤولس: ما هذا إسم،أهو إسمك أم إسم جزيرة مفقودة هههههه..

الممرضة: إنه فعلا إسم جزيرة مفقوذة وقد سموني على إسمها لأني أشبها في الجمال.هههه حتى أنا لست متزوجة..

ڤولس: لم أسألك عن ذلك.هههههه

زيللا: عفواً ظننتك سألتْ..

فإبتسم ڤولس وقال:

لقد وجدتُ روحي بين الخردة.هههنههه

فضحكت زيللاوقالت: هل انا خردة؟ اليس كذلك...
رد ڤولس:لا انتِ روحيً. هههه الخردة هي هذا العالم حيت أعيشْ..
اوه حسنا..فخجلت الفتاةْ،وإستمر الحديث عن الحبْ.فقال لها:
ألا تودين إرجاعي لإستئصال شيء مني؟
رد زيللا: أبداً لن تعود الى هناكْ،أترى تلك الممرضة السمينة التي كانت معي؟ إنها لتزال تخدم رؤساءها إنها تطلب الرشاوي وتستمر في بيع أعضاء الناس بالخفاءِ،وفى وقت المساء حيت سألته عن مكان عمله ومبيته فأخبرها بالحقيقة كاملة،فطلبت منه أن يظل عنذها فبيتها قريب من هناكْ،فقبل ڤولس ماذام لا يمتلك خياارا آخر.
إن أفقر الناس من يساومون أنفسهم مقابل بضع جنيهاتْ،إن جيوبهم المثقوبة لا تملأها مال الذنياْ،حتى مال الآخرة تعجز عن إسكات طمعهم. فدائما نراهم سامرين أمام المستشفيات يطالبون بمكافآتْ لإخراج الجثة ودفنها،هؤلاء من يسممون الإنسانية بجعل كل شيء يقاس بالميزانْ،بالنقوذ كما يقالْ..حتى إنسانية إنسانْ.
فقال ڤولس وهو يوجه وجهه لقلادة بيده: هل علمتم ماذا تفعلون الآنْ....
فردت زليلا: ماذا ؟..
فقال ڤولس : لا شيء...
وصل ڤولس مع زليلا الى بيتها حيت يوجد في حي يلقبونه بحي الفقراء،فيبقى إسم من علامات التاريخية لوجودهِ.. وهل هما ذا يدخلان الى المنزل،إنه منزل كوكر لأي عازبْ،كل الأثات في مكانها متباعدة ومحطوطة في نفس المكان الذي يليق بأن تكون فيه ،صالون كبيرْ في مركزه،وبيتين صغيرين الاول ربما لزليلا وتاني ربما فارغ،وحمام ومطبخ،إنه صغير جدا لا يصلح لثلاثْ...
وفجأة رن هاتف ڤولس،وقد أتته رسالة تقول:
أمازلت تفكر من أكونْ؟ لاقيني الآن في المقبرة القديمة،فاليوم هو آخر فصول الشقاوة،وهي نفسها آخر مرة تراني فيها..
لا يسع المرء أن يفكر في شيء عندما يتعلق الأمر بالفضول..
فحمل نفسه وغادر مسرعا نحو المقبرة في منتصف الليلْ،حيت تبدو موحشة يلفها الرعبْ،إلا أن ڤولس لم يكن يخيفه الليل ولا جو الرعب ذاك،إلا أنه يرتعب من أماكن الضيقة حيت أمضى نصف حياته وهو ينام ذاخل صندوقْ،مما

جعله لا ينام إلا لبضع ساعات قليلةْ،فعندما ينام يحضر إليه كابوس مخيف،فيخيل إليه أنه قد توصل برسالة من الجحيم تخبره بأن دوره قادم لذخولهِ،ثم يزاوله حلم آخر فيرى نفسه ماسكا بين يديه ثلاث أضراس من بين ما لديهْ،والعجيب أنه عندما يحاول أكل تسقط درسٌ من أضراسه الثلاثْ،فيزيلها تم تليها أخرى والثالثةْ،فلا يوجد ذماءاً..وهذا الحلم لم يفارق ذاكرته قطْ...

من العجيب حقا أن نرى أننا نفقذ أضراسَنَـا ذون ذماءْ،وكلها في يوم واحد،فقيل أنه يحيل على أشخاصْ،وهم أقرب إلينا .ففي كل مرة يموت أحد ممن يعرفهم يكون قد جاءه هذا الحلم البغيضْ .

وها هو ذا ڤولس يخطو نحوها بحذر،فلتلك اللحظة لم يكن يثق في أحد منذ طفولته،بل يتحاشى مصادقة الناس لما فيهم من بلاءْ،فالحُبُّ لو كان خياراً لرفضهُ حتىَّ..

إنه ليزال يخطو نحو المقبرة،وهاهو ذا المنظر المرعب لنهاية كل أشواط،منظر المقبرة الموحش الذي يرفع الروح الى السماء لتعود ماطرةً أجواءَ بدعوى أنه لم يحن دورها بعدْ..إنه يفتش عن الغريب بين سراديب الموتى وأثربتهَمْ،كأنهم يصرخون عليه لاعنين مروره من على رؤسهم،فأسوء الطباع هم أولائك الصامتون الذين يجيذون الصمتْ،إنهم أول شرارةٍ تشعل المحصولْ،فحتى وإن كان من المتوقع إخماد الحريق،إلا أن حريقهم ابداً لا يخمدْ،لأنه مهما كان حجم الكارثة كبيراً تظل أرواحهم مشتعلة بالنارْ،إنها الشعلة التي لا تنطفئ بسهولة،وإن إنطفأت فالإخماذها يسعه الكثيرْ،فلا تقربن أرواح المشتعلة،فمهما رأيتها بسيطة ومتكتمة فإنها تظل بشعلتها تقهر الكثير فلهبها الحارق لا يحثمل أَبَـداً..

حينئذ وصْلت ڤولس كولكسيز رسالة بل تلات رسائل في واحدة،توجهه الى مكان الغريب،تقول:

إن آخر ما ستجذه بين سراذيب أحياء،سرٌّ يجعلك من أمواتهمْ،فلو أردت السرَّ فلتجذه،إنه في زاوية المظلمة وأكثر قتامة من تلك المقبرة،إنه في نهاية الحياْة ،حيت تقبع الجثة الفانية...

فبساطة ڤولس كلكسيز،كانت وراء إتخاده لألاف القراراتْ المتسرعة،فلقد كان يؤمن بشيء واحد،هو أنه لا ينبغي أن نعطي للأشياء البسيطة الفرصة لتكون

ممن تستحق أن نفكر فيها طويلاً...لنأخذ أشياء ببساطة فكثرة التفكير فيها تجبرنا على تعقيدها وبتالي يضيع مفتاح حلها.
فتوجه ڤولس الى آخر المقبرة في زاوية معزولة،كأن المذفونون فيها ليسو بشرْ،لأنهم ذفنو بمعزل عن الآخرين،فلو كنت زائراًسترى الفرق بين أن تكون منتمياً لجماعة وبين أن تكون مجرذ ذخيل،وها هو ذا وصل فوجذ ما يقارب عشرة مقابر وكلهم مجرد أثربة تغطي الجثة ،فكأن أصحابها منبوذينْ،قد نكرهم المجتمعْ،فكل من في المقبرة نجذ لهم منظراً يصلح لنسميهم أمواتاً مكافئينْ،مادامت قبورهم المزينة بالورد وبجانبها قنينة ماء،كأن الميت عندما سيعطش سيقوم ليشرب منهاَ،فنلقى أن المقابر مسيجة بحائط من إسمنت وكل مصبوغ بلون المفضل لصاحبهِ ليسهل على أقرباءه التعرف إليهِ،غير أن المقابر التي توجد في الزاوية لم يكن لها نصيب من كل هذا ،فقد كتب على لوح محطوط عموديا على رأس صاحبها إسمه وتاريخ الوفاةْ،وكي لا تنبشهم الكلاب فتنثر الجثة خارجاً وضعو فوقها كومة من الأشواك ،إنه أوحش منظر يلقاه المرءُ بعد أن يقوم من منفاه الأبدي.
وفجأة وجد قبرين في الجانب مغطيين بأشواك والألواح التي تخصهما مطلية بالذماءْ،لربما كانت تقليد في العائلة أو وصم عار أنبتوه منذ القدمْ..فمسح بيده اللوحة أولى فوجذها تحمل إسم سيرڤاي بوستروڤ،وتانية تحمل إسم ڤاندوسكي كورساكا.والذين ماتو قبل 20 عاماً .
فقال ڤولس : إنهم مجرذ قبور ،اي سر هذا الذي يوجد داخل قبر؟
فإلتفت محاولا المغاذرة وحينئذ وقف رجل أمامهُ إنه العجوز لاوسكي رئيسه في العمل..فقال لاوسكي:
أنا سركُ يا ڤولس كولكسيز،إنه أنا وهاته المقبرة التي ذفنت سنينا من البؤس ،واليوم حان الوقت لتكتشف الحقيقةْ.
فقال ڤولس: هذا أنتْ يا لاوسكي ظننتُ الغريب شخصا آخرغير اللذين أعرفهم،فحثما إن الذين نعرفهم هم الغرباءْ، فلماذا أتيت بي الى هنا ؟ وأي سرْ ذاك الذي أجبرك على مقابلتي في هذه المقبرة ،وما علاقته بالقبور ؟
فرد لاوسكي: إسمي لاوسكي بوروكر،وأنا عميل لدى أنتربول،لقد كنت سجينا لأعوام،ومنذ أن ساعدتُ المخابرات في حل جرائم القتل وإختطاف،عينوني معهم كأحد أعضاءها المهمين.فعندما رأيتك في الحديقة أيقنتُ أنك تصلح لهاته

المهمة،خصوصاً في قربك من ناس وبشارة وجهك ،وحتى نيتكُ وصفاء ذهنكَ،فقد أنقذت إبنتي من الموتْ ،لدى قررت ردَّ جميلك بإعطاءك وظيفة جيذةً.

ردَّ ڤولس: أجل ،ولكنك لماذا تقول لي كل هذا الآن ،ومن تكون إبنتك تلك يا لاوسكي؟

رد لاوسكي: إنها ممرضة في المستشفى القديم الذي تم إغارتُ عليه وإجهازه على عصابة بيع أعضاء فيه.وقد بقي فارغاً لدى طلبتُ منها العمل ضمن الطاقم الجذيذ الذي سيعمل فيهْ...إسمها زليلا بوروكر.

إنذهش ڤولس وقال: زليلا إبنتكْ...اوهْ...يا للعجبْ،كم هاته الحياة عجيبة فمالذي بقي لتخبئه لي ...؟

فإنتزع لاوسكي من ڤولس كولكسيز تلك القلادة كي لا يسمعه إستخبارتيونْ...

فرَدَّ لاوسكي: السر الوحيدْ الذي ظللت أتعذب الى الآن هو الذي يخصك.إنك ستعيش صدمة حياتك فيه .فأنا لست فقط عميلا بل أب زليلاْ، وزوج سيرڤاي ؟

ڤولس: من تكون سيرڤاي؟

رد لاوسكي: إنها زوجتي السابقة،سأحكي لك القصة من الأول،فلتصدق أولا تصدق الأمر يعود لكْ.

بدأ الأمر عندما إلتقيت بسيرڤاي في حافلة تنقل السياح الى جزيرة يطلق عليها ڤوكايدواَ،وقد كانت منزعجة كثيراً من شخص كان يدعى ڤانذوسكي الذي أحب فتاةً غيرها وهي التي كانت تكن له حب سنينْ،فأعجبتُ بها وتزوجناَ،وبعد شهر تقريباً تركتني وغاذرتْ إليهْ،بدعوى أنه عاد من الموت بأعجوبة،وقد إنفصلنا نهائياً ولكن الحب الذي كان بيننا،والأصح الذي كنتُ أكنه لها تحول الى كراهية وحقد قاتلْ،فذهبتُ اليهما وقتلتهما ودفنتها في فناء الخلفي لمنزلهماَ.فلستُ أدري قصتهما ولكن سمعتُ أن ڤاندوسكي رسام بارع ولوحاته ملأت الذنيا بالجمالْ،وقيل أنها أحرقتْ لألا يسترجي أحد اللصوص على سرقتها....وكان لهما طفل،فلم يطاوعني قلبي على قتله،أخذته وأعطيته لعائلة أعرفها من حيت أنتمي.

فليس الحبُّ دائما يكون كما نريدْ،فقد يتحول الحب الى كراهية وخصوصا عند الرفض عندما يكون إنسان حساسا يكون قلبه مستعداً ليحول أي شعور تجاه المرئ بالحب في لحظة من إحباط ليعيش كراهية من يحبْ،فإحذر من إستهتار

بالتفاصيل فتلك التفاصيل هي من تكون روح إنسانٍ وطباعهِ،فكثير هم من يخطئون في التعامل مع شخص أحبهم بصدق بينما إرتكنو لآخر يود التلاعب بهم وإستغلالهم،فلا يتوقف الأمر على هكدا مهزلة بل إن التعامل مع من نحبْ يكون مفعوماً بالسمومْ،فنرفضه البغتة ذون أن نهتدي بأرواحهم المسكينة،لينقلب الحب الى كراهية فنذمر كل ذرة من أمل في قلوبهم البيضاء ليعمها الوحل والقذارة.

رد ڤولس: ومالذي يخصني في كل هذاَ؟

لاوسكي: أنتَ إبن ڤاندوسكي وسيرڤاي يا ڤولس كولكسيز.

رد ڤولس: هههههه انت تمزح يا لاوسكي،هل جننتَ؟

إن لي عائلة في مكان ما في هذا العالم وهم على قيد الحياةْ.

رد لاوسكي: أبداً هم ليسو عائلتك الحقيقية،بل ڤاندوسكي وسيرڤاي هم أبواك الحقيقيان،فأنا من حملتك من بين جثتهم وأعطيتك لآل برطهاين ..

فإرتمى ڤولس على لاوسكي ماسكا إياه من عنقه الرخو يقول: إنك تقول بعظمة لسانك أن أبواي ليسو أبواي،وأن أبواي قتلتهما عندما كنتَ رجلاً راشداً في عز عضبهْ...هل أنتَ مجنون يا هذا؟

رد لاوسكي: أقول الحقيقة ولولا أني أردت قتلك معهم لما وجدت نفسك معي الآن لتناقشني في أمر وجودكَ هنا،فقد طاب قلبي لما فعلتهُ حتى أني دفعتُ سنيناً من عمري في السجن لأنال عقوبتي بكل عدالةٍ،وها أنذا أهبك الحقيقة فلم يكن لدي خيار إلا أن أستدرجك إليها كالذي يستدرج قطه الأليف بقطعة خبز نحو فأر مزعجْ ...فلا يبرر فعلي ما فعلتْ،ولك مني أن تقتص ما تريدْ اليومْ او غداً...

غضب ڤولس وإرتفعت أنيابه الى السماء،فمن جهة يفكر في زليلا ومن جهة يفكر في إنتقام لأبويه ..

وفجأة نسي كلَّ شيءْ فقال للاوسكي:

ماذا تفعل هنا يا عمْ،ألست في مهمة لإصطياد الضباعْ؟

نظر اليه لاوسكي بكل أسف يقول:

في بعض أوقات ينبغي على الحقيقة أن تظل سراً،فأثرها لن يكون سهلا على مثلك هاته الأرواح المغذورة.

فأمسكه من يده وأخده عند زليلاَ لتفحصه وڤولس يظنه يعلم بعلاقته بزليلا وأنه يحبها. فقذ كان من المتوقع أن ينسى كل شيء ولكنه ظلَّ يتذكر ما يتعلق بعلاقاته

خيانة والحب والمعانات التي تطبعت في روحه،إلا أن حقيقته ظلتْ منساةْ،لربما بسبب الورم الخبيثْ الذي ظلَّ ينهش مخه الصغير.
وعندما رآى ڤولس زليلاْ،إنقشع لونه كأنه رآى شبحاً فأمسك بيدها وراه يتفحص وجهها كأنه لم يره لسنينْ،فغمزته بطرفي عينيها ،انه ابي...
فرد ڤولس بشجاعة: نعم أعلم .هههه
فنظر الى لاوسكي وقال: ألم تفكر قط في إسم سهل المنال لإبنتك غير هذا الإسم الصعب زليلا.
فقال لاوسكي : إنه ليس إسمها الحقيقي،إسمها الحقيقي هو إزليسْ،وقد غيرت إسمها لكي لا يستغلها أعدائي.
فقال ڤولس: اوه إسم جميل،لقد إنطبق على الجميلة.
فرد لاوسكي : ماذا قلتْ ...ووجه أنظاره إلى ڤولس..
فضحك ڤولس وأدار وجهه إلى إزليس يقول:
أنا بخير لا أشكو من شيء غير الحبْ،فغمزها وأعادت إليه الغمزة ..فأرسلت إزليس ڤولس الى غرفة إنتظار كي تقوم بفحصه للمرت الثالثة.وبقيت مع لاوسكي .
فقالتْ إزليس:
إن هاته أعراض كلها يا أبي تنطبق على أولائك الجثة الذين كانو ينتزعون منهم أعضاءهمْ،فيغرسون فيهم ورماً خبيثاً لاعلاج لهْ،لكن هذا الورم قد يتغير بأحوال صاحبه،فقد يكون قمة في السعادة لعود مكتئباً،وقد يكون وفياً ليعود خائناً إنه يولد إنعكاس في طباع المرئ..
وقد يذخله في غيبوبة مدى الحياةْ،وقد يعود على مخ إنسان بأعراض أخرى جانبية غير التي قلتهاَ...كالنسيانْ،وتذكر الماضي فجأةً بذون سابق إنذارْ.وقد يترأى للمريض أشخاصا كان يعرفهم منذ زمن وغرسو في أعماقه أكثر من أمل أو اكثر من جرج في أناس أبدا لا يعرفهمْ ..
فرد لاوسكي: أينطبق هذا على من قال له حقيقة ما؟ أو أنه أحب شخصا ما؟
ردت إزليسْ : ربما،فأغلب المرضى يترااى لهم وجه حبيباتهم في ذوات لا يعرفونهاَ...أما الحقيقة فإنه من المحتمل أن يكون سلوك المريض عندما يسترجع ذاكرته عدوانياً وشرساً أكثر من السابقْ،فحتى وإن كان هادئا قبل المرض متراخيا في قبول الحقيقة،فقد ينعكس ذلك على طبعه ونفسيته لينهض الشرس

من أعماق الهذوءْ.فقد يبقى الطبع الجديد الذي خلقه فيه الروم أبدياً لا يمكنه إستعادة القديمْ،إن هذا الورم قد صنعه الطبيبْ المختص في علم أورام كارل بورتاينْ،وقد أراد إستعماله كسلاح للقضاء على أعذاء،إلا أنه تم إستبعاده لخطر إصابة بهْ،وتم سجنهُ"ورم" تحت أرض كي لا تصله أيدي إنسانْ،وها قد وصلو إليها فحثماً ستولد الكارثة،والجيذ فيه أنه لا ينتقل بل يظل في جسد صاحبه إلى أن يموتْ،ولكن بعذما يموت قد تطير بقايا ريحه في السماء ليشتمها باقي الناسْ وبتالي يصابون بهْ..

إنقشع لون لاوسكي وقال:

ينبغي قطع ديل الأفعى منذ الصغر كي لا تشكل خطراً عنذ الـكبرْ..

فقالت له إزليس: أتود إنهاء قضيته يا والدي..إياك وأن تفكر في الأمر ، فقد أنقذني في تلك الحادثة الغريبة التي لم يكن لي يدٌ فيهاً اتذكرها؟

رد لاوسكي:

اوهْ نعم حادثة التي كدتْ تقتلين فيها،حتى الآن لم أستطع إستعاب ما حدثَ لكْ،وكيف لفتاة كتلك أن تكن لك كل تلك الضغينة بسبب قلم الرصاص؟ لربما مؤامرة نشبها أحد أعذائي.

فردتْ إزليس: كنا داك اليوم في حصة الحساب،وكنتُ أكتب ما يخطه أستاذ في الطاولة،وفجأة طلبت مني أن أناولها قلمي،فقلمها ربما سرقْ،وبعذما مددتُه لهاَ،وكادت الحصة أن تنتهي طلبتُ منها إعادتهُ لي ،ولكنها رفضتْ،ثم تزايدنا في الحديثْ،فقالت لي بمنتهى الغضبْ،في الخارج سنسوي الأمر..وعنذما خرجنا أمسكت بي من يدي تحاول التطاول عليَّ،وأنت تعرفني أني أبداً لا أحب العراك مع أحدْ،فكلما أبعدتها عني أحسست بأنها تريد معاركتي بقوة أكبرْ،وفجأة ونحن خارج أسوار المدرسة إلتم حولنا شمل من الشبابْ،إنهم أصدقاءها جميعاً،فكل فتاة ممن أنجبهم هذا العصر،تفضل أن تكتسب ألاف الصداقاتْ ليقال عنها أنها المفضلة لدى الجميع،ولكن هذا يمثل نقص فضيع في أعماق الأسرة ،فحينما لا تجذ الفتاة من يقدرها في الذاخل " اسرة" تنشب علاقات مع الخارج"اصدقاء،حب" لتعوض ما فاتها من النقصْ...وفي تلك اللحظة أحسست بأن أحدهم أمسك بي من الخلفْ لربما حبيبها،وجر سكينه في عنقي،ولولا ڤولس كولكسيز لربما كنت اليومْ تترحم على قبري .فقليل هم الشباب اليوم الذين يتجرأون على مساعدة الآخرين ذون دافع يَجْنوُن منه شيءْ...

فقال لاوسكي : أوه...حسنا لن افعل له شيئا.. .تم أدار وجهه قائلا:
مهما كان جميله،فلابد من قتلهْ فلو إستعاد ذاكرته سأكون في ورطة أنا وإبنتي إزليسْ ..
ولتلك اللحظة لم تكن إزليس تعلم بحقيقة أباها الذي كان طليق أم ڤولس كولكسيزْ،ولم تكن تدري أنه دخل السجن يوماً،فقد كانتْ أمهما نارسيز بيكتران تخبرها بأنه سافر الى العمل ولكنه في الحقيقة كان ذاخل السجنْ.
يبذوأن أغرب ما يجعل إنسان يتقبل نفسهُ،هو إدراكه أنه لا مفرَّ من أن يبقى على ماهو عليهْ،إنه لا يستطيع أن يكون غير نفسهْ،فتلك قيود الطبيعةْ البشرية على أبناءها البشرْ.
في زمن كهذا،وفي كل جنازة تقامْ،ونفس الوجوه الواقفة تقف اليوم على أعثاب الارواح المغدورة تلك التي نراها في كل حيل تقاوم لألا تنهار بالبكاءِ،فمهما كان إنسان قوياً لتأتيه شرارة من الذمع تفيضه حزنا وبكاءاً،إني أخبرك أنه مهما بدى لك الجو صافياً فلا تثق، فدائما السواد يتبع البياضْ،والصفاء بعدهُ ضبابْ.فالحزنُ والسعادةْ ،والحقد والكره وما لا تعده الأصابعْ،كلها تطفو على بحر واحدْ ،فإن غاصت إحداهن طفت التانية،فهاته هي الحياة بحر لمن يجيذ السباحة ومدبحة لمن يجيذ الغرقْ.
وقد كان ڤولس مختبئا يتصنت على حديثهمْ،فلم يخطر بباله أن يحاول لاوسكي قتلهْ،فمادام لم يبح بشيء خارج أسوار قلعته المحصنة،فلن يجذ ڤولس السبيل لمعرفة نواياهْ....تم عاد إليهم ڤولس كأنه لم يسمع شيئاً..فقد شك في لاوسكي عندما أجبرته إزليس أن لا يفعل شيئا لڤولس...فالنوايا أبداً لا تزهر بسهولةْ،فهي دائما ما تقوى على إيقاع الصمتِ،فتزيد حدتها وشراستها مع كل نفسْ. فالحذر من سوء النوايا،فأكثر من تصاحبهم يتمنى أن يراك في السجنْ،بل وحتى تحث أنقاض الترابْ..
فعاد ڤولس مع إزليس الى منزلها مع والدها لاوسكي الذي أدخل ڤولس الى عمل ليجني منه قوت يومهِ،كساعي بريدْ،وفي اليوم الأول من العمل،أخد ڤولس كومة من الرسائل القديمة ليوصلها الى أصحابها فقال لرب عمله:
كيف تراني أوصل هاته الرسائل القديمة،التي بدون نفع،إلى أناس نسيوها منذ قرنْ،وأصبحو يتحدثون عبر وسائل إتصال إلكتروني ..

فردَّ ربُّ عمله: فقط قم بعملكْ،ولا شأن لك في ما قد يفعلونه بها،فنحن نتكلف بإيصالها فقط .
وفي الشارع عندما صار الليل في الواديِ،والشمس في الأعالي تمطر أجواء بسحرها الأخاذْ،خرج ڤولس باكراً بحماسة الشغيل الفاتنْ حاملا كيسا من الرسائل والجرائدْ،فينترها هنا وهناكْ،وقليل هم الناس الذين يخرجون بأنفسهم لإستلام الرسائل،فتعجب ڤولس كولكسيز،لهاته الحنية العجيبة لرسائل القدماءْ،فحتى ومع تطور الوقت وقرب الذواتْ،كان لرسائل المكتوب حظ وافر من إدخال الفرح الى القلوبْ،فقد تجد جارين أحمقين يتراسلان بالمكتوب فيأخذ اول رسالة جاره ويبادله التاني رسالته أيضاً،إنهما يعيدان الصبى الى الماضي،فقد لا يرى أحدٌ ما تتكتم عليه تلك الرسائل الباهرة،إنه ليست كلماتْ،إنها خيوط عنكبوُتٍ منسوجة بإحكام من مشاعر وأحاسيس طمرها الزمن تحت ركامه.
وبعذما وزع كل الرسائل،ظلت لديه واحدةً ،فلم يعرها أي إهتمام بل ظن أنه لم يتبقى شيءْ،فجلس على حافة الشارع ليستريح قليلاً،فمد يده الى جيب محفظته ليخرج هاتفه،فإذا به يجذها مدسوسة في أعماق..فقال:
اوه....نسيتُ واحدةً.....
فتطلع إلى الإسم فتعجب ، ثم قال: هذا إسـمي...إنها رسالة تحمل إسم ڤولس كولكسيز،لربما تشابه أسماء كما قال ولكنها تحمل عنواناً،فركب دراجته النارية ليستعير من الوقت دقائقاً من العجبْ،ويعرف من داك ڤولس كولكسيزْ،وهاهو ذي وصل الى حيت قادته الرسالةْ،فهل تعلمون ماقد يكون المكان الذي أوصلته إليه تلك الرسالة؟
إنه قصر كبير من الفخامة ،حيت دخل اليه ودق مرتين على بابه ولكن لا أحد يجيبْ،ثم ترك الرسالة على البابْ،وإلتفت عائداً الى عملهْ،فقد كان يرغب إنهاءه قبل الظهر لكي يزور حبيبته إزليسْ،ولكن المفاجأة لاقته في الباب،إنها لافتة معلقة عليهْ،تحمل إسمين لربما هما صاحبا هذا القصرْ،فإلتفت ڤولس يبحث عن الجيران ليسلمهما رسائل ذاك القصر الى أن يعود أصحابها،فاللصوص تلك أحياء لا تفرق بين الرخيص والثمين،بين النقوذ والرسائل.فتوجه بصراخ الى الجيران ولكن لا أحد يجيبْ إن من العجيب أن يرى ما يقارب تلاث منازل مهجورة كلياً تحوم بجوار داك القصرْ،فعاد محاولا قراءة إسم صاحب

القصر،فوجد أنه يحتوي على ثمانية أحرف فثلاثة منها باقية وهي حرفي ا"لقاء"و" الدال" و "الكاف" .فلم يستطع حل اللغزْ،فإذا برجل عجوز يمر من أمامه يتعكز على عصاهْ فقال ڤولس :

لقد كانت آخر مرة صدقتُ فيها عجوزاً،إنهم أكثر الناس إخافة على وجه الأرضْ...

فصرخ العجوز : لا تقرب قصر آل ڤاندوسكي...إنهم أناس ملعونونْ،فقد لا تعيشُ طويلا يا بنيْ...

فأيقن ڤولس أن القصر هو لأبواه،ولكنه تعجب في أنه كيف لرسالة تكتبْ لهْ،بإسمه المستعارْ ،تحمل عنوان أبويه وإسمه نفسهْ.

فترك القصر وحمل في يده الرسالة عائدًا الى مركز عملهِ،فقال لرب عمله: هاته الرسالة لم أجد صاحبها !

فغضب رب عمله وقال: كيف،اتقول أنك لم تجد العنوان،هل أنت أحمق أم ماذا،إنها رسالة وحثما تحمل عنواناً...

فأخرجها ڤولس من حقيبته وأعطاها له وقال:

هيا خدها بنفسك الى صاحبها!

فرأى رب عمله الرسالة تحمل إسمه وقال: يا لك من أحمق،إنها رسالة لكْ،مادمت تحمل إسمك...

فوضعها في جيب ڤولس كولكسيز وقال :

إن الرسائل التي بدون عنوان ليس لها صاحب،فإرمها في النفاياتْ ..

وعندما كان خارجا،رأى كيساً أسود في القمامة وراح ينبش فيه،وقد أيقن أنه يحتوي على رسائل ضاع أصحابها.

فأخذ يقرأ الرسائل ،فدمعت عيناه و تراخت لحومه وزاد ثقل على كتفيه،فقد وجد رسالة لفتاة يتيمة تراسل أباها الميت فتحكي له عن ألامها وما تقاسيه في دار اليتامى،وأخرى لفتاةٍ راشدة تحاكي الله فتطالبه بأن يرسل لها زوجا صالحاً فقد أعيتها الحياة بملاقاة الأوغادْ،وأخرى لأم هاجر طفلها الصغير وتناجي الله ليعيده إليها بخير...وألاف الرسائل العجيبة التي تحكي قصص الناسِ وحياتهم البائسة التي تبدو سعيدة من بعيدْ،وفجأة وفي أخر رسالة يمسكها ڤولس وجد إسم ناذينْ ،إنها رسالة من ناذين إلى ڤولس كولكسيزْ،تحمل له أكياسا من إعتذار وألاف الكلمات المحزنة ،تقول :

الى حبيبي ڤولس كولكسيز ،إلى مزارعي الغبي الذي سرق مني شيئا ثميناً.
اليوم هو الأحد كما ينبغي أن يكون ولن يكون السبت ولا إتنين،إنه حقا يوم الأحدْ،وفي هذا اليوم تذكرتك أيها المغفل،تذكرت شجاعتك عندما كنتَ تأتي لي برسائل العشق تلكَ،من ابواب النوافذِ،كنت شجاعا في البوح بمشاعركَ،فلم تيأس قط لرفضي إياكْ،فقد كنتُ غبيةً ،أحس بالتعالي عن الآخرين،فمادام أبي يملك أطنانا من المال،لم يعفني دلك من عيش السوء والحزنْ،فاليوم أخبرك بأني إشتقت إلى رسائلكْ،تلك الشاعرية فحتى اليوم ظلَّتْ معي تلك التي كتبتْ،فقد كنْتُ أظنَّ أنني بقبولي حبك قد اعود فقيرة مثلكْ،فيسخر مني العمالْ،وباقي أصدقائي أثرياءْ...واليوم إكتشفت أن لاشيء دائم غير الحبْ.فقظ تكبرت على حبّي لك ،وأظنني أسألت لك كثيراً ،وهذا لا يغفر لي أبداً ،فقد تكون اليوم قد وجدتَ فتاةً تحبك أكثر مني،فشخصيتك رغم تكتمها إلا أنها أفضل ما وجذت على إطلاقْ...فكم أثمنى لو أنساك يا أيها المزارع الفقيرْ،وكم أتمنى أن ألقاك يوما لأعيد لك حبك .....

ناذيـن إبنـة سيدك.

حينما قرأ ڤولس الرسالة أحزنته للوهلة أولى وحينما رآى الجملة أخيرة منا " ناذين إبنة سيدك"،إبتسم بسخرية مفرطة وقال:

سيظل الأحمق متبجحا بحماقاته حتى ولو علم أنها مجرد حماقات .

فتوجه نحو المكان الذي بعِثتْ منه الرسائل ،وقد نسي رسالة التي تخصه داخل الحقيبة،وعندما وصل الى المنزل الذي يحمل نفس العنوان في الرسالة،فوجده منزل مهجور،محروق بأكملهْ،وقد قال له الجيران أن أحد العائلات التي تسكنه راحت ضحية قنينة غازية فجرت منزلهم،وهذا ما يقال ،فركع على قدميه مهدود الحيل ،ينحب لمأساته،فلا هو يعلم ما أصابه ولا أنا أيضاً،فقد عاد حنين الماضي وإجتمع شمل الأحبة بين حب الماض وحب الحاضر،في ذات أفجعتها خيباث أمل،فكم هو صعب إختصار القرار عندما تكون الذات مسرحاً للحرب بين ألاف الأطراف القوية التي لا تكل ولا تملْ...

وفجأة وجد ڤولس رسالة تانية تحت الباب،تقول:

أيقنتُ أنك ستصل الى هنا،فحبنا أبدي ليس ما تحكيه الرواياتْ ولا الأفلامْ،بل هو حبنا نحنْ، فإن وصلت الى هنا،فأكيد أنك لازلت تحبني،وأنني لزلت أعيش في كيانك..فبوصولك الى هذه النقطة تعطيني أمل في إسترجاعك إليَّ..وإن وصلتك

هاته الرسالة فقد أكون ميتة الآن،فلا داعي للبحث عني فقد أحرقونا ونحن أحياءْ.
فأدمعت عيني ڤولس وراح يبكي على فراقها،فقد تأثر برسالتها وأيقن أنه ينبغي إنتقام والثأر لروحها.فحتى وإن آلمته إلا أنه يحبها ويفعل أي شيء لتعود الى الحياةْ...
والى هنا لم ينتهي من قراءة رسالة كاملة بل كان جزءاً منها مطوياً،وبعذ أن أنهى فترته الكئيبة والحزينة لاحظ إنطواء جزء من الرسالة فوجدها تقول فيها:
لو بكيتَ عنيِ ولو قليلا،فهاذا دليل حبك،إني أصدقك حتى ولو لم أكن معك الآن فأنا أحبُّكَ،فالذموع الصادقة لا تخرج مجبرةً....ولو أكملت الرسالة سأزيد في حبك أيها الأحمق،فلم أمتْ بعدْ ولكنْ عائلتي من ماتت في داك الحريق، فقد كانت مجرد مزحة لنعترف لبعضنا بحجم الحب الذي نكنه للآخرين،ولأؤكد لك أنك لزلت تحبني وهو ذا عنواني هنا لو أردتك زيارة حبك القديم .
فوقف ڤولس يضحك وينوح في السماء ويقول : الحمد لله ..ويضحك كالمجنونْ...
لقد كان صديقه تويودور الذي قيل أنه مات على يديه ،هو من أشعل النار في منزل أل ناذين لتخلص منهم ولكن ناذين كانتْ أنذاك في المدرسة لدى فهي ناجية الوحيدة من تلك الحادثةْ.فأخد ڤولس عنوان وراح ليزورها في نفس المدينة..
والحقيقة أن لاوسكي هو من أنقذ ناذينْ،من الوقوع في شراك تويودور،كي يأخدها كدرع واقٍ عندما يعلم ڤولس الحقيقة..
فأمسك ڤولس العنوانْ،وأسرع نحوها بلهفة المجنونْ،وقلب العاشق المغمور،فوجدها جالسة في نفس الحديقة التي يعرفها قرب مقبرة القديمة عند الظهر تماماً،كأنها كانت تنتظره..
فبقي سارحا في وقفتها،بنظرة الممثل البارعْ،الذي إنغرم في زميلته التي أتقنت دور البطلة فقال :
إنه ألعن ما رأيت حتى ألآن،هذا مسمى الحبْ،فكثير هم الذين أحبطهم ،ولازالو يقعون فيه بكل حماقة،إنهم مستعدون ليطأو ألف فخْ لمجرذ الشعور ببهجة البداياتْ،وهي نفس المخاطرة التي يذهب ضحيتها ألف شعورْ،فعندما تنفذ المشاعر من البحيرة ،لا يبقى إنسان على حالهْ،يصبح قاسياً لا يثق أبداً....

وفجأة لمحته ناذين من بعيدْ،فجلس على كرسي،تمثل أنها لم تَـرهْ،فإضطر الشاب الى مسايرة الطريق إليـهاَ،وها هو ذا يقف على رأس أصابعه،بأنفه الخجول وجفونه الحمراء اليانعةْ،يحتاج لدفعة من الجرأة ليكلمها وهي تحتاج لإبتسامة واحدة لتجبره على الحديثْ ،فجلس كالغريبْ،ثم قال :
هل أنتِ بخيرْ؟
ردت ناذين: لست بخير! ماذا قد تفعل لتجعلني بخير؟
إبتهج الوغدوقال وهو ينظر إليها بجرأة: أفعل كل ما أستطيع لأراك تضحكينْ،يا ناذينْ...
فإبتسمت في سخرية تم قالتْ : أتظن نفسك قادر على دلكْ،إن البشر سواء هم عاجزون حتى على قول الحقيقة مهلا...مهلا...أين كنتْ كل هذا الوقت ؟
رد ڤولس: كنتُ أعملْ...
فقالتْ : ألم تتزوج بعدْ؟
رد ڤولس: تزوجتُ ولكنها فرت في اليوم التاليِ..
ضحكتْ ناذين وقالتْ: أوهْ أزعجتها بكلامك الشاعري ربما..أم أن فقرك من تكفل بها؟
رد ڤولس: كلاهما،فقد وجدتْ أغنى مني مادياً وأفقر مني عاطفياً،فالمرء إن حضر لديه مال غابت عنه العواطفْ..
ناذين : ألن تسألني ؟
ڤولس: عن ماذاَ؟
فحملت حقيبتها على وشك المغادرة ،إنه لفعل ملفت هذا فقد يكون الحبُّ موجوداً وإن تقابل مع تصرف أحمق يلغى تماماً..
فأمسكها من يدها وقال:
لقد تركتني أنتِ يا ناذينْ،فأنا أعلم كل الحقيقةْ..
فصرخت في وجهه تقول: أيُّ حقيقة تلكْ.
ڤولس : علمت أنك أغرمتي بشخص ثريْ،وقد إستغلكِ وسرق ثروتَكِ،وها أنتِ مصفوفة على الحديد مثلي...إن قلبي لم يكن لي فمنذ أن رفضتني وأنا أسحقه مرات ومراتْ،لكي لا يقع في الحبْ تانية ،ولكن الحظ الأحمق جعلني أقع في حب كتيراتْ،ومن الجيذ أنني لم أفرط في حبهن لكدتُ أعاني أكثر ما أعانيه الآنَ منك،فقد اغرمت بساكبة تسكن الحانة ولا أعلم حتى الآن ما سر فعلتها وخيانتها

لي،و تانية وهي ممرضة وقد تبين أنها إبنة طليق أمي...أهذا تسمينه حبا يا ناذين؟
فجلستْ ناذين وتوجهت إليه بأنظارها تقول:
أوه ....لم أعهدكَ هكدا يا مزارعْ...بعد أن رفضتك وجدت البديلْ بسرعة البرقْ،يا لك من محظوظْ...ساكبة وممرضة ايُّ حظ هذا الذي لديك..
في بعض الأوقات تلتقي ببعض الحمقى الذين يرغبون بأن تكون ملاكهم الخاص الذي يضعونه في إحتياط،ويشغلونه عنذ الضرورة،إنهم يريدون أن يصفعو ارواح بخياناتهمْ،ويجذون لأنفسهم أرواحا بريئة لا تخونْ...إنها مجرذ أمنيات بائسة لروح أخدت الخيانة كعادةْ،فتتمنى أن تجذ أنسانا وفياً .....
فقال ڤولس : إن طبائع الإنسان كأنواع كثيرة من الكحول،فمهما رأيتها تصلح لك،فحثما أنت من يصلح لها،فقد تجذ الرخيصة مركونة للفقراء والجيذة تنتظر طبقة المتوسطة والثمينة التي طلبت خصيصاً للأثرياء وذوي البطون العملاقة التي تسنتزف كل تروات البلادْ..المهم كلُّ عثر على صنفه الذي يعكس شخصيته وحالته الإجتماعية.
فإبتسمت ناذين بلطف وقالت :هل لزلت تحبني؟
رد ڤولس بإرتباك: وهل مازلتي متكبرة؟
ضحكتْ بسخرية وقالت: لا لم أعد كما كنتْ،فقد أضحية بسيطة للغايةْ .
إن أغلب البسيطين هم المتكبرين الذين فقذو ما كان يرفعهم الى السماءْ،فتركهم تكبرهم وعادو بلاهْ،إنهم أقبح من شاهد المآساة بأم أعينيهْم،فإنقلبو من أعالي الى البساط فمادامت أقدامهم قد إعتادة السفوح فلن تُجَبر أرواحهم إلا بهاَ،فتلك التي كان لها نصيب في السطوع يوماً سيكون لها ايضا الخفوتْ أياماً...
فقال ڤولس: أتدركين من داك الذي قد يحب بصدق؟
ردت ناذين: من؟
ڤولس : إن أكثر الصادقينْ في الحبْ،منْ لمْ يسلم قلبهم من القساوةْ،إنهم يفضلون بذل الحب لمن يرونه يستطيع بذلهُ،ويفرون من أولائك الحمقى الجامذون الذين يستغيثون للنجاة من واقعهم المحبطْ،بحب مزيف لا يسد إلا رمق غريزتهم البائسة.إن هذه الفصيلة تواصل الزحف الى الشاطئ حتى وإن كانت لا تجيذ السباحة..

ناذين: اوهٍ....كنت أعلم أنك ستقول لي محاضرة عن الحبْ ،فطبعك في بدل النصيحة لا يزال معكَ حتى وإن تكتمت عنه وأظهرت عجزك عن بذل شيءْ..
إنك تعلم يا ڤولس أنني أحبك،ولكن طبعي أنذاك كان متعالياً وقد أوطــاه الزمان،وها أنذا جئتك من بين الركام حيثُ وُجِدْتُ،فهل لك لي جَـوابٌ يختصر كل عذابيِ...
فقال ڤولس: إن حياتي لم تمر كرمشة عينْ،بل مرتُّ كحبيسٍ في سجن لا يزال يقاوم أعماله الشاقةْ،فهل أزيد من شقائي ليرضى عني حارس السجنْ؟ أم أنني أصدق باقي السجناء في أنني سأنجو للمرة التانية من نفس المصيرْ؟
ناذين : إختصر الكلام وأرفضني كما رفضتك أنئذٍ سنكون متعادلين..
فأمسك ڤولس يد ناذين وهي ماطلة ناظريها فيه متفاجأة بفعله فقال لها:
إني أحبك،رغم أني عانيت طويلا لنسيان هذا الحبْ،بحب آخرْ،ولكن القلبْ الذي عانى القسوة مرة واحدة لن يحب تانيةً ...أريدك أن تعديني بوعدْ لا يقتله الزمان ولا المكانُ ولا حتى بني أدمْ،عديني أنك لن تتخليْ عني مهما جرى ،وسأكون لك النصف التاني والقلب الأول الذي تعيشين من أجلهْ.
ضحكت ناذين وقالت بسخرية: هههههههه ..اسفة ..اسفة،لم أصل قط لهده المرحلة مع أحدهمْ،فقد كنا نقبل بحب الآخرين،ونفترق الشهر القادمْ،أما الوعود فنتركها للناس البسيطة التي تحب الدوام،فنحن أشخاص يحبون المؤقتون مثلهم ...
فرد ڤولس : إني أكره المؤقتون ولا أحـتمل حتى أن أتعامل معهم في طريقي،فهم طبائع لا تصلح لإنباثِ شتائل ولا حتى لقيادة أمةْ،إنهم دائما ينسحبون من الحروب عندما ينفذ من عندهم العتادْ،عكس تلك التي تصبر وتقاوم لتنال مرادها إنها أولى بالـفضْلْ..
فهل تودين يا ناذين أن أحبك اليوم وغداً أذهب عند حبيبتي التانية إزليس،او الثالثة لوجينْ..؟ أترضينَ أن أكون مؤقتاً في حبك يا فتاة؟
ردتْ ناذين بغضب: لا طبعاً،أريدك لي فقطْ.وأدارت وجهها عكس ڤولس..
فإبتسم ڤولس وقال :إدا أقسمي لي وعدًا ببقاءك معي الى الأبدْ.هيا
ناذين: أنت تعلم أن الأمر صعب علينا ،إننا نحب المتعة،فكيف لك أن تظن أننا قد نتخلص من طابعنا المؤقت لنسجن الى الأبد في علاقة كتلك؟
ڤولس: إذاً انتِ ترفضينْ..

ناذين: ابداً لا أرفض..ولكن من الصعب أن تقف أمام طباعكْ،مُحاولا تغييرها..
وقف ڤولس محاولا الرحيلْ،فقال : حسنا فهمتكْ،إذن فلتُبقي على طباعكْ،سأرحل أنا ولن تريني تانيةً أعدُكْ.
فإرتمت عليه ناذين تصرخ في وجهه وتعانقه بقوة فتقول:
أقسم أني أحبك،وسأحاول أن أغير نفسي من أجلكْ...
فعانقها ڤولس بقوة أكبر،وقال لها :
إني أحبك وسأظل كذلك الى أن أموتْ.
فقبلته ناذين على شفاهه فغمره الخجل وذاب في شعوره وأكملا العناق لمدة نصف ساعة فقالت ناذين:
إنك تخنقني يا ڤولس أهكذا كله حب لي....يا لسعديْ،وأنا التي كنت أظنني بلا سعدْ...
فردَّ ڤولس :نعم حبيبي....فأنا ولو كنتُ تحت أرض التاسعة لصعدت اليك بنفس واحدٍ فور سماع أنينك يا ناذين..
فالحب لم يخلق لسوانا قطْ....
فإنتهت النزهة وهما مشدودا الأيديِ،وقد أوصلتهما قدماهما الى حيت تقيم هيَ،وقد دعته لنوم لديها اليوم مدام الوقت قد تأخرْ،وما إن يبكرالصباح ليكون له الحق في المغاذرة.فقبل وهاهو ينتظر العشاء بفارغ الصبرْ،ينظر الى ناذين وهو جالس في الصالة المقابلة للمطبخ،فيقول: يا دلوعة زمانها،أتجيذين الطهيَ حقاً أم أنهض لأطهو لك؟
ردت ناذين : طبعاً أعلمْ،سأقدم لك شطيرة بالبيض.لم تتناول مثلها في حياتك..
رد ڤولس متعجباً: شطيرة بالبيض؟ اوه لاول مرة اسمع بها...أرجو ألا تؤلمني ماعدتي اليومْ...
فأسرعت أمامه تقول :
أتقول أن ماعدتك اليوم ستمرض بسببي ،هذا ما تقصده...اليس كذلك ايها المزارع الفقير..
خاف ڤولس وقال: لا لا لم اقصد دلك....وبدى يضحك في صمتْ..
فأخدت وسادة وضربته به وهو هاربٌ تلاحقه في المنزل بأكمله ...
فقال الجيرانْ: لربما الفتاة جُنَّة اليومْ،كنا نتقن أنها ستجن بوحدتها ذات يومْ..

ولكنها كانت تتمازح مع ڤولس،فيتضاربان بالوساداتْ،لوقت يثعبان فيها ويجلسان معانقان بعضهما البعضْ،وقد نسيتْ ناذين الشطائر البيض على المشواتْ،وقد قفزت بسرعة البرق لتنقذهما من الإنتهاءْ.
مر اليوم كسهم ريح يسابق أسراباً من العواصف المراهقة،وفي صباح الباكر ترك ناذين نائمة بجانبها رسالة حب صباحية،وغاذر الى الحانة حيت يعمل آملا إيجاذ لوجين فيها،وهذا ما وقع،وجذها تسكب كالعادة لأحد السكارى،فذخل بمهل كسارق يحاولا النجاة من كاميرات المراقبة وجلس وسط السكارى يراقبها من بعيدْ،وعندما هزت رأسها لتسكب لأحد السكارى،فوجدته ڤولس كولكسيز ،فسألته:
ما نوع النبيذ الذي تفضله يا سيدي؟..
فأمسكها وأجلسها بجانبه بالقوة يقول:
لماذا فعلتِ ما فعلتِ؟
ماذا فعلتُ لكْ؟
فردتْ لوجين : ماذا فعلتُ يا سيدي وهل أنا أعرفك أصلاً؟
فرد ڤولس : ليس بالضرورة أن كل من يعرفنا لا يسبب لنا مشاكلْ.
فقام أحد السكارى بجانبه يقول: ماذا هناك،ايتها الفاتنة هل هذا الوغذ الصغير يزعجك،لدي شيء في حزامي ينهيه إن كان كذلك! فأماط يده على الزام،ليظهر سلاحه الناري...
فقالتْ له : لا يا سيدي إنه يظنني فتاة أخرى....
فعاد السكير الى مجلسهْ...
فبعض الذكور النبلاء دائما ما يصيحون كَـذُّيوُكٍ عنذماً يتسنى لهم الوضع ليظهرو كنبلاَءٍ أمام أنثى حقيرة ،إنهم ولو لم يكن في مقدورهم فعل شيء ،فصرختهم كضفادع مسمومة تؤرق نسيج القوة،فتجعلهم كمن يسمع صوتهم على كوكب زحلْ ولو كانو يحتسون الشراب على أرض ،فهاته السلالة تفتخر بجسدها الضخم وعقلها الصغير الذي لا يسعُ سريرْ ضفدعْ.
فرد ڤولس : لوجين تذكرتك،فورمي العزيز يحسن إستعمال عقلي أفضل مني.فلم أنسى اوغاد بعدْ
فإنتشل لونها وإصفر وجهها الجميل،فقالت بسخرية:

أفعلا إسترجعت ذاكرتك ايها الوغد البائس؟ لا أظن فكل ما فعلته لن يجعل عقلك لوحده يغادركْ فكل من حولك سيفعل دلك..
رد ڤولس : نعم إسترجعتها..أيتها الخائنة ،عادَت الذاكرة...عادتْ...
فأمسكت بيده وسحبته الى داخل الغرفة ،فأجلسته وقدمت له كوبا من النبيذْ الرخيص.فقال ڤولس :
نبيذك الرخيص لن يفضي الى نسيانِ أبداً،فأفعالك البائسة حفرت في أعماقي .... إن أوسخ الطباع التي رأيتها يوما في أنثى ،تلك التي تحاول فيها إخفاء قبحِ شخصيتها وشيطانها الداخلي الماكرْ،تحت حجاب من البراءة وأخلاق وإبتسامة كاذبة مزيفة ترسمها على وجهها الملائكي.
فقالت له:إنك لم تعلم بعد حقيقتك ايها الحقيرْ،فأنت اوسخ من وطأت أرجلهم هاته الأرض،إنك اسوء من دخلو حياتي وخرجو منها ملطخين بذماءها ،فأنت من قتل عائلتي،ولتزال حتى اليوم تتنفس بفضل طعنتي الخفيفة داخل جسدك الصغير يافتى...
فسأل ڤولس: من تكون عائلتك؟
فردتْ لوجين: إنهم آل كوستروف!
تعجب ڤولس وقال: أهو تويودور كوستروف و ابوه كلارك كوستروف؟
ردت بإنزعاج: نعم هما ...
لقد كنت املك أخاً يدافع عنيِ ،كنتُ املك سنداً يحميني من عطشى هذا الزمانْ واليوم قتلته وها أنا اصفيت يتيمة الاب والأخْ،فقد كان أخي أفضل إنسان في العالم،إنه أفضل من والدي،فدائما ماكان يدافع عني ولو قصصت لك عنه وما مر في تاريخه البشع لصادقتهُ حثماً،إلا أن الوحوش أمثالك لا يصادقون أحداً إنهم يعيشون في الظلمات فيتغدون على خوفنا نحن البشر المساكينْ...يا للأسف فقد تورطت معه وأخدت حبيبته ناذين وقتلته ذون رحمة ،إنك وحش أذمي لا رحمة في قلبهِ..فهل انت حقاً إنسانْ...
وأمسكته من عنقه محاولة خنقه....
فقال ڤولس محاولا إفلات من بين أضافرها:
أوهٍ، أصدمة ألفينْ،أنتِ أختُ داك الوغدْ تويودور ،وإبنة منتشل أعضاء داكْ،لقد شككت فيك لأول وهلة عندما كان أبوك يعاملك بشيء من اللامبالاةْ ،فأباك كان لصاً بغيضاً يسرق من الناس أعضاءهم ويبيعها في سوق الخرذة تحت درائع أنه

يبيع الخردة فقطْ،وأما أخوك الصاين والنبيل،هو من إختطف حبيبتي ناذين وأراد إنتزاعها مني بالقوة فقد كنا نعمل سوياً في حقل أبوها،وكثيراً ما كان تويودور يتملق صاحب الحقل ليجعله في مرتبة دراعه أيسرْ،كي يستحوذ على ثروته،فحتى إبنته ناذين لم تسلم من غطرسة أخيك فبدى يستميلها بأفعاله البطولية وشعره الأسود المصفف كراقصات الملاهي الليلية،وفي أخير نجح أخوك تويودور في إستمالة ناذين وجعلها تتركني وتحتقرني فإنتزع منها ثروتها وقتل اباها وجدها ولو لم يلطف الله لكانت هي أيضا بينهم الآن ،أهذا هو اخوك النبيل الذي ظللتِ تتبجحين بوجوده ؟ أهذا هو نفس إنسام الذي يحميك ؟
إن الذئب يظل صالحاً لجزء من القطيعْ، لكي يستطيع بقاء ذاخله ونيل ما يناله باقي الذئابْ،بروح نبيلة وصادقة تؤمن بالعدل والنزاهة،وماكراً في جزءه الآخر عندما ينفرد بفرائسه متنحياً عن أنظار القطيعْ، إن هذا إنسان يفعل الخير أمام الأنظار ويفعل الشر من وراءها فلا أمل يرجى من هكذا إنسانْ ولو عاش لألف سنة.
مهلا... مهلا نسيتْ،من داك الرجل الذي ناولني رسالة عندما مثلتما عليَّ أنه والدك وأنك بسيطة وإبنت عجوز سكير؟
فردت لوجين: كل إنسان يتصرف تجاه موضوع من وجهة نظره ،وما يراه من داك الموضوع إلا نفسه داتها..ولآخر مرة أسمعك تلفظ اسم أخي او أبي،فأنت أحقر ناس دناءة على وجه أرض....وداك الرجل ....وأصلا مادا يدفعني لأجيبك ؟
ولكن سأجيبك...إنه أبي الحقيقي....وأنا أخت تويودور المتبناة وأبوه هو أبي ،فقد رباني وأنا صغيرة عندما كان والدي عاجزاًعن المشي ساعده وجعله خادما معهُ،وأنا كإبنةٍ لهْ،فلن يذهب دم أبي هدراً ولا دم أخيِ...فإن لاحقك المصير فلا عودة لك من الجحيمْ،فاليوم أنت ناجيٌّ،والغدِ لاءْ...فأحسن إختيار يومكْ،بل أصدقاءك أنفسهم...
تم غادر ڤولس كولكسيز مع ذنب قاتلٍ يلف روحه فيقول:
هل حقاً قتلتُ تويودور ذون أن أعطيه فرصة ليبرر فعلته؟
هل إرتكبت خطيئة في حق نفسي بتعريضها لهذا النذم القاسِ؟
يقال أن الأرواح مهما عاشتْ،ستعود إلى خالقها،مهما كانت محملةْ بالحقد والضغينة،عندما تصل الى هناكْ،يسقيها الخالق من البريقْ فتنفض طباعها

ويسقط ريشها فيتبقى غير جسدها النحيل الذي دخلت به الى الحياة لأول مرةْ.فمهما كانت لتلك أرواح المغدورة لتلقى نفس المصير عنذ بلوغها أبواب السماء ،فلا تقلق نفسك في تغيير طباع أحدْ،فكل تلك الطباعْ ستنمحي فورَ يقظتهٍ،فور وعيه بأنه سيلقى الله يوماً...
عنذما ترك ڤولس كولكسيز الحانة،أيقن أنه أصبح متشرداً،فلم يعد له مكانٌ يجني منه قوتَ يومهْ،ولا حتى مكانا يبيتُ فيهْ،فكيف له أن يتزوج ناذين فيزيد الشقاء شقاءينْ..
إن أقبح المواقف اليومْ،هي تلك التي نرى فيها أن الشاب الذي لا يملك عملاً قاراً ولا مدخولا يحميه من البردْ،يتزوج بفتاةٍ تتمنى قصراً وخدماً وسيارةً،فيكون الإتنان أحمقان بشيء من الخيال،فيزيد شقاءهما عن حدهْ،لزوجٍ فقير لم يجد عملاً وفتاةٍ عانسةٍ تعيش مع فقرهْ،فلا ينبغي على المرء أن يتزوج إلا عنذما يرى أنه وجد لنفسه القدرة على جني المال المتواصلْ وعمل قار ْ،فأكثر الإناث خيانة تلك التي تعيش في الفقر طويلاً،ثم ترى من النافذة سائح أجنبي يرقص بالمال،لتقفز من النافذة بين دراعيه منتسية عِشْـرَة سنينْ،إن اول من يتعرض للخيانة الزوجية هم الفقراء أما الأغنياء فناذراً ما يتزوجون.وبينما ڤولس يخطو خطوات بطيئة وجد نفسه أمام مستشفى الذي تعمل فيه إزليس،فإلتفت بسرعة كي لا تراه،فقد عاد لحبه القديم وإن رآها مر تانية لتختل أعماقهُ،وفجأة وجدها أمامه ترمقه بنظراتها الموجعة التي تظهر قساوة الظهر و خيانة الحبيبْ فقالت له بإنزعاج:
أيها الأحمق أين كنتَ منذ البارحة،لقد أخفتني كثيراً عنذما لم تتصل بي! وقد ظننت أن ابي...
رد ڤولس : أباك ماذا؟ أسيقتلني ؟
ضحكت إزليس وقالت: ربما هههه..المهم...ألم تشتق إليَّ...
ردَّ ڤولس والخجل بادٍ على وجهه: نعم إشتقت الى ممرضتي.
فنظرت اليه بنظرة استغراب: ممرضتك؟ حبيبتك إزليس ألم تشتق إليها.
ڤولس : طبعا فعلتْ... وهنا قد وقع ڤولس في الفخ بين حبه الأول ناذين وحبه الأخير إزليسْ،ولكنه ومع كل داك الشكْ الذي كان يحوم على ناذين في حبها لهْ،كان أكثر من طبيعي امام إزليس .فقال :

إني أحبك يا ممرضتي ،فلو وجدَ من المرضى من يعاني لألمه على إثر يديك فإصتبر فلن يكون غيري.أنا.
فإبتسمت إزليس وقالتْ : سمعتُ من أبي أنك عدت الى الماضي؟ أهذا صحيح يا ڤولس ؟
رد ڤولس: نعمْ عُدْتُ إليهِ،والى محناته ومعاناته.
فقالت بمنتهى إنزعاج: حسناً سأتركك لماضيك،فأنا حاضرك ولو كنت ترغب في حاضرك لما عدتَ الى ماضيك..فهل ماضيك هو ناذين يا ڤولس ؟
ڤولس: نعمْ...إنه هيَ...
فتركته وغادرت بدموع القلب المجروح ومشية الطائر المقهور الذي عجز عن الطيران ...
فحزن ڤولس لمغاذرتها وقال :
إن الحبَّ أقسى ما تتعرض له الروحْ،فأوله إبتهاج وآخره ضرب وجراحْ..
ثم عاد الى ناذين ليطمئن عليها،وعندما وصل الى المنزل سمع صوتاً لرجل ما يتحدث اليها من خلف الستائر فلا هويته ظاهرة ولا هو ايضاً..تقول له (ناذين):
هل أحضرتَ ما وعدتني به؟
فيجيب الرجل : لقد جئتكِ بهْ... وأن ايضاا هل فعلتِ ما طلبتُ منكْ فعله؟
فردت ناذين : نعم فعلتْ ،إنه الآن مبتهج بحبه لي،وقد تراه يطير من الفرحْ،ولكنه لا يعلم أنني أبداً لن أستطيع أن أحب فقيراً مثلهُ،فكيف لي أن أترك العزَّوالمال وأعيش في وكر ذئب جوعانْ..
فضحك الرجل ثم قال: إنها طباع أثرياء حتى وإن زاد فقرهم زاد تعاليهم وسخريتهم..أتشتاقين لتلك أيام التي كنا نقضيها في المزرعة سوياً عنذ كل صيف؟
فردتْ ناذين خجلة : طبعاً إشتقتُ لها...فقد كانت عائلتي من تمنعني من الخروج إلا أني أتسلل في الليل لسريرك ايها الوغد..
وها أنذا قتلت عائلتي وصفينا سوياً في الطريقْ،ولم يتبقى إلا داك الأحمق ڤولس كولكسيزْ لنظفر بالثروة وكل شيءْ..
رد الرجل : لم أفهم ما ذخل ڤولس في ثروتكْ؟ فحتى لاوسكي طلب مني قتلهُ لأنه كانَ يتودد إلى إبنته إزليسْ،فلا هو يريد مساهرة الفقراءِ ولا حتى رؤية وجوههم فأرسله إليكِ ليختلق عذراّ لإزليس لتركه،

فردت ناذين : قبل أن يموت جديّ ترك وصيته لأبي؛ومنذ أن بدأ داك أحمق في العمل معهُ في الحقل إعتبره كإبنٍ لهُ،لما كان لجدي من قلب عطوفْ ورقيق ،فكتب جزءاً من ثروتهُ لڤولس كولكسيز يشمل أرض المزرعة الكبيرة تلكٍ والأغنام أنفسهم...لدى ومنذ أن علمت بالأمر قررت اللعب معه والتحايل عليه ليعطيني جزءه من الثروة ولكنه غبي جداً فإنه الى اليوم لا يعلم بوجودها.. أما لاوسكي فمن المنطقي أن يخاف على إبنته،فأيُّ أبٍ مهما كانْ لن يقبل بتزويج إبنته لمزارع فقيرْ،حتى وإن كان أنبل خلق اللهْ.

" فالذي يوقظ النار في قلب مليئ بالركامْ،لن يسعه الأمر لتذفئة بهاَ،بل سيغذو طعما هشاً تتراكب فوقه النيران الباردة،فأحسن إنتقاء الشعلة المناسبة فإما أن ترضى بالقليل فتضوي أو بكثير لتحرقْ،فكثرة النفوس المحرقة، لن تجعلك ملك القطيعْ،بل العشب الطري الذي ستغتاله النيران ذات يومْ،وليت أيُّ نيران،إنها النيران الصديقة.

لقد إنتهت المسرحية،وإنقطع نفسه ڤولس كولكسيز من خلف الباب،فجلس على حافة الأدرج يفكر في مصيرهْ،ويتساءل عن فائدته في هذه الحياةْ،فلم يكنْ ليستطيع التخلص من كآبته إلا بكآبة أضخم منها..فكيف تودون لهذا إنسان أن يعيش سوياً،وفي كل يوم يكتشف حقيقة تقهر روحهُ،لتزيد ألامه،فتنبثق خيباتهُ.. فالمزعج أن تترك روحك بين يدي شخص تظنه أوفى من كلبكُ العزيز،لتكتشف في أخير أنه تركها ملقات في الجحيم،وراح ينقب عن من يصلح لهُ أفضل منكْ،اليس هذا امر مرعباً بل حقيراً لماذا لا ترفضه نهائيا وتكف عن إستمالتهْ،فكيف لا تقول له :" خذ روحك معكْ،لا اريدها " بدل " أتركها لي فأنتَ أفضل من عرفتْ يوماً" ألايبدو هذا المنظر حقيراً،ففي كلتا الأحوال سترمى تلك الروح الى حيت تنتمي الأرواح المغدورة..

فلا تظن نفسك ناجٍ من خيبة الأمل ،فاليوم خيبتَ ظنَّ أحدهم وغداً سيخيب أحدهم ظنك، ليلم بك الدهر والندم معاً فلا تجني منه سوى الألم .

فوقف وفي روحه حربٌ طاحنةٌ تتضارب فيها السيوف والحجارة،ليرى من يكون داك الوغد المختبئ وراء الستارْ،وفي لحظة ما قرر داك الوغد الذهاب،فإضطر للخروج من وكرهْ،وهاهو ذا يعانق ناذين ...وڤولس يحترق من فعلتهْ،فقال ڤولس بإنزعاج: ألويل للحضن الذي يعانق شخصيْنْ وللفتاة التي تحادثُ الكثيرين... وفجأة أدار الوغد وجهه فإرتطم ظنُّ ڤولس بالبابْ،إنه

تويودور الوغد... لم يمت،لقد ظل حياً وكلها كانت لعبة والكرة فيها هي ڤولس كولكسيز،وقد إختبأ ڤولس وراء المنزل لوقت ذهاب تويودور فقد كان ڤولس يفكر في تصرف ناذين أنذاك عندما يخبرها بما رأى،وها هو ذا يدق البابْ،ففتحت له ناذين ،تقول : هل نسيت قول شيءْ؟ ظانة أنه تويودر...
فقال ڤولس: ماذا قد أنسى ؟
فردت ناذين بإرتباك: لا ....لاشيءْ..فأهلا بحبيبي،فقد إشتقت لكَ !
إبتسم ڤولس ابتسامة خـفيفة وقال: أتدركين اليوم ما قد حدثْ لقد إكتشفت الحقيقة...
فخافت ناذين وأشعلت النار في جسدها الحقير تم قالت وهي تذهب الى المطبخ ثم تعود إليه :
أي حقيقة يا حبيبي؟
إنها مدعورة يلهبها الخوف فهي تظنه أنه سيخبره بخيانتها ولكنه تكتم وقال:
لقد رأيت تويودور اليوم خارج إحدى المنازل القريبة ،أظنه لزال على قيد الحياةْ..
فنطت بلهجة المحارب تقول: اوه ،اتقصد تويودور داك المزارع الفقير الذي كان يعمل معكْ..فاستوعبتك قولها تم قالت : اوه عفواً مزارع نبيلْ..
فقال ڤولس :اجل هو... وفي رأيك أي منزل داك الذي خرج منه؟
فردت ناذين : لربما منزل جارنا ال كولاستكي ،فقد كان ومنذ زمن يرسل اليَّ برقياتٍ ولا أجيب عليهم البثة...
فقال ڤولس : أوه حسناً.....ثم جلس على الطاولة ينتظر الفرصة ليفضح الوغد النائم فيها...
فقالت ناذين : تعال اليَّ يا حبيبي كم اشتقت لمعانقتكْ،وقد حاولت معانقتك فإحتقر الوضع وأبعدها عنهْ تم قال بإزعاجْ:
لا تلمسيني ! فايدي التي لمستك أوسختكِ ولطخت شرفكْ...
فردت ناذين : ماذا تقولْ؟ هل انتَ بخير يا ڤولس ؟
رد ڤولس : انا لست بخير،فهل ستفعلين شيئا لأكون بخيرْ؟
ردتْ ناذين: طبعاً حبيبي...وظلتْ تمثل عليهْ دور العاشقة البائسة...فقال : هيا إلى السرير إداً...إنه على وشك أن يفضحها ..

تم قالتْ: ماذا؟ هل انت مجنونْ،إنك.منحرف يا ڤولسْ،فلم أكن أظنك هكذا ْ..لقد خيبتَ ظني بك ..
ففز ڤولس وامسكها من عنقها وقال:
أتظنين أني أحمق؟ أيتها الخائنة،لقد رأيت كل شيء وسمعتُ ما كان عليَّ سماعهُ،وتويودور الأبله قد خرج من بيتكِ،وتتحدثين عن سوء الظنْ يا فتاةْ؟ أتعلمين ما سوء الظنْ ...سأخبرك انا من يكون؟
إنه عندما ترفضك فتاةْ لمظهرك البشع أو حالتك الفقيرة،تم تعود لك فتسامحها،وبعدها تجذها برفقة صديقك يلعبان حولك الغميضة،يريدان قتلك ..ألست تلك الفتاة يا ناذين؟
فردت ناذين بضحكة سخيفة: اكتشفت أمر إداً،لم أعد أتحملك ولا حتى ملاقاتك في الطريق،وها أنتَ ذا أزلتَ حمل تقيلا على كتفي،أكنت تظن أن فتاة جميلة مثلي ستحب فقيرا بشعا مثلك؟ في أحلامك يا عزيزي،فنحن الفتياة نحب شيئين المال والوسمين أما أشباهك فإلى الجحيم يا عزيزي..
غضب ڤولس وزاد إحتقاره لها تم قال:
إن ساكبة الملهى الذي كنت اعمل فيه أشرف منكْ ألاف المراثْ ،فرغم أنها تخالط السكارى فلم يلمسها أحد قطْ!
ردت ناذين: اتظن أن غباءك القروي يصلح لهاته المدينة،فتلك الساكبة هي صديقتي لوجين وهي اخت تويودور متباناةْ،وقد خالطت آلاف الرجال قبل ان تعمل كساكبة في تلك الحانة،ألم تعلم كيف تستطيع بشخصيتها الجريئة أن تتجرأ على الحديث اليهم ومعاملتهم وفق ما يحبون همْ؟ إنها سافلة،فقد فقدتْ شرفها ألاف المراثْ،وهي الآن ترفع رأسها عالياً مفتخرة بمن تكون ولو لا تلك التياب التي تخفي فسادها لإحتقرها الجميعْ.
إن الذي يعتاد المتعة لن يحافظ على شرفهْ،ولن يقبل لك بالحلال يوماً فقد إعتادتْ نفسه تذوق الحرامْ..
فقال ڤولس بنظرته المحترقة:أتظنين كل الفتياة مثلك؟ إنك تتحدثين عن نفسكْ...فالويل لك ولحبك المزيف...
فرماها بعيداًوعاد يتمشى وسط المدينة،فروح مشعلة بالخيبات،وعقل مفقوذ وقلبٍ يساير الوقت لألا ينهارْ،فإلتقى بسكيرين قد خرجا من الحانة المقصودة يقول أول لتاني:

لقد كان مشروباً مفيداً لم أتذكر الى الآن أين هم أطفالي البائسون!
فرد الآخر: ان ساكبة اجمل فتاة رأيتها يوما،فقد احتسينا كأس وفزنا بفتاةْ.
فقال الأول: لقد كانت ليلة مشوقة اترى جسدها الجميل،لقد إستمتعت معها حقا...
فعندما سمع ما قالاه ،أدرك أن قول ناذين على حقْ،فأعاد نفسه الى الطريق لا يعلم مخرجها،مشغول البالْ فيسأل نفسه:
لماذ يخون المرءُ؟
كيف للمرء أن يسمح لنفسه بتكسير قلب أحدهم؟
ألسنا نملك ارواحا كالجميع،لماذ نعاني أكثر منهم؟
لقد أيقن ڤولس كولكسيز أن كل من لاقاهم في الحياة لم يكونو أصليين لتعامل معه،كلهم أوغاد مزيفونْ،فناذين الخائنة ولوجين الفاقذة لشرفها والابلة تويودور لم يكونو إلا أشواكا تغرس في حلقهْ،فحقيقتهم قد ظهرت وأماطت اللثام عنهُ،فقال:
لقد بقي شخص واحد في هاته الحياة لم يخب ظني! إنها إزليسْ
ولكن أباها الوغد يحاول جاهدًا إبعادي عنها وهذا الذي لن يكونْ..ثم راح الى المستشفى حيت تعمل إزليس إلا أنهلم يجذها فقد تركت العمل وهي على ابواب إنسحاب من هذه المدينة ،انها ترغب في السفر بعيداً عنهُ.
فأسرع بكل قوته ،ولكنه فشل وفي الطريق سرق دراجة ناري وجدها مركونة خارج متجر البقالة ،ليصل في الوقتْ،وها هوذا يصل الى المحطة ولكن القطار فرَّ مسرعاً فركع ڤولس من الثعب والالم معاً يتنحب لضياع إزليس..وفجأة وصلته رسالة على هاتفه تقول:
لا تحزن لفراقي،فإن كنا لبعضنا سنلتقي يوما ما! إزوليس...
عندما يخيب ظنك في شخص أتركه وإبتعد عنه ،دعه لنفسه فقد تلين وتقسو لوقت يجد فيه من يباذله نفس الخبث ونفس الخيباثْ،ليعود إليك متنحباً حاملاً لثغراثِ يأسه ووعاءٍ من تجربته القاسية..

لقد كانت آخر فرصة ليعود ڤولس كولكسيز كما كان شخصاً لطيفاً هادئاً شغوفاً،ولكنه بعدما رآى خيانة ناذين له وما مر في حياته من معاناة إنقلب إلى أقسى إنسان يمكنك التعامل معهْ..

فلم يتبجح بولادة الورم في عقلهْ الطفولي ،ولم يستطع الحفاظ على حب حياتهْ،وفي تلك أتناء لم يكن الورم ذكياً لينسيه بؤسه بل زاده بؤساً إنه راكع على قدميه يتحسر فتعود إليه صور الناس الذين خانوه،لقد رأى صورة أخته التي حاولت قتله وهو صغير وصورة ابواه الذين تركاه يعيش لوحده ،وما قاساه من اقرب الناس إليهْ،ثم نهض فجأة كأنه تخلص من ثقل همومه ومسح دموعه وقال :

إن إنسان الأحمق من يترك لناس الفرصة ليدخلو أنوفهم في حياتهِ،إنه كتلك الفراشة التي يدفعها أصدقاءها لتقع في شبكة صياد بليدْ،بدعوى أنه سيطلق صراعها بعدما يصطادها..ولكنها تصبح وليمته .

فكيف للنعجة أن تُفضِّل الذئْب بدل الخروف؟

إن أغلب الناس الذين نراهم اليوم قانطين في ركنهم المظلم،لم تمسهم إلا أيَادي المتسخة التي تعَوَّدَتْ على توسيخ كل ركْنْ،فهناك طباع تؤمن أن الأشياء التي قد لا تحصل عليها ينبغي إفسادها كي لا يحصل عليها أحدْ.إنها أقبح السلالات التي أنجبتها البطون المسمومة تلك التي ولدْتْ عن أأنقاض الخطيئة.

تم يسألونك كيف أصبحت قاسياً بين ليلة وضحاها؟

كيف للإنسان أن يصير أوغد مما هو عليهْ؟

لا تسألني عن قسوتي وإسألني عن ما مرَّ بي،فقد لا أجيبك بما يحلو لكْ،وقد أجيبك بما يحلو ليْ.

" عندما لا تجذ من يفهمك،خد ركناً من حيثُ قد ترتاحْ،فهناك لن تجذ غير الأشواكِ،وليست أي أشواكْ،بل تلك المنقحة التي تغرس العز والنبالة في صاحبهاَ،وخصوصا إن كان صاحب نفسٍ وإرادةْ،وغير ذلك سيقاسي كل منظر بشع تنجبه الظلماتْ."

الفصل الرابع :

العزلة و الروح المغدورة

...
كيف يصبح إنسان مجنوناً،لا تسألو ڤولس كولكسيز عن ذلك بل إسألوني أنَــاَ .....

مهلا....مهلا...أريد سؤالك ! كيف تراني اليومْ وأنا البارحة لم أحتمل نفسي؟ كيف تراني بعدما رأيتني أتنحب على مصيري،على ضياعي في هذا العالمْ،أكنتُ مقنعاً في ثمتيل دور التراجيدي،وهل أقنعتك ببؤسي يا عزيزي؟ أفضل الا أخبرك عني،فلو واصلت دكَ الواقع في نفسي لما رأيتي اليوم ،بل ستراني كالبارحة بنفس الحزن والقسوة ،فلا أجبرك على لومي،لأن الثقة بالبشر ليست خياراً،فقليل هم الذين تعلمو من أخطائهم مثليْ ..
وبينما كان ڤولس كولكسيز غارقاً في حزنهِ،مُنتشيا في روحه المنهارة،قرب القطارْ،جاءه من الخلفِ سكينٌ حادٌ أكثر من السيفِ المنقوع بالسمومِ،فغُرِس في ظهر المسكينْ،فلا هو يتألم لحبه الضائع ولا لألم السكينْ المغروس في ظهرهِ،لقد صرخ بقلب اليتيم،وعقل الراشد الكتيمْ،ولا أحد حرك إصبعاً مما لديهْ،الكل يراقب المشهد التراجيدي،وربما أعجبهم،فسقط ڤولس على الأرض وسكين مغروس في ظهرهْ،فإنتزع منه بقوة ألف ضربة كهرباءْ،حتى إهتزت روحه وعادتْ ساقطة الى ارضها،فأدار ڤولس وجهه بصعوبة ليرى الجاني الأخير في هذا العامْ، أوه..هذا أنتْ..

قالها ڤولس بلامبالاة،هذا أنتْ.....لاوسكيْ ...لقد عهدت ملاقات أمثالك الذين يخونون من وراء،إنهم جبناء هذا القرنْ البائس،أولائك الذين يطعنون في الظهر لأن نظرهم وجها لوجه تجعلهم قططْ في وجهْ الاسودْ ..
لقد كان من المتوقع أن يلفظ ڤولس آخر أنفاسه على يد لاوسكي الذي كان منذ البداية راغما على إبعاده عن إبنته إزوليسْ وكي لا يبحث عنها اخبره أن إسمها إزليس وليس إزوليسْ ليصعب عليه إيجادها،وعندما رآه مستعداً لترك كل شيء وراءه حتى ضغاءنه وأعداءه،وكل ما خلفوه في روحه المحترقةْ،أيقن أنه لن يهدأ إلا حينما يجذها وهذا هو الخوف الذي يلعب في روح لاوسكي فقرر القضاء عليهْ..فتركه مغموراً بدماءه للمرة التانية ،أفيمكن أن يكون لك حظ كڤولس كولكسيز يغرس في بطنه تاني سكينْ في نفس الشهر ...وبينما لاوسكي يسرع في إختفاء من موقع الجريمة،صدمته سيارة وهو يحاول قطع الطريق فنفض آخر أنفاسه تحت عجلاتها..
فلا تظن أنك قد تنجو من خطأ إرتكبتهُ،فقد يجيئك في لباس ينسيك أنه خطـأك،ظاناً أنه فرصة نجاةْ.
إنه لا يزال في نفس المكان الذي طعن فيهْ،لا أحد يراهْ،لربما الكل عميانْ،أو أنه شبحٌ يرفض الموتْ،لا يظهر لأحدْ،مهلا مهلا...ها قد جاء أحدهم،لربما هذا إنسانيٌّ جذاً...جاءه رجل تلاتيني ووضع أمامه قطعتين نقذيتين ثم غاذرْ..وها هو ذا أحد آخر إنه لربما سيساعده في النجاةْ،لا لاأظن،فقد أخذ معه صورتين لينشرهما على مواقع التواصل إجتماعي ليكسب عطف الحمقى...وها هو يغاذر.
وفجأة رأى ڤولس فتاة تركض ناحيتهُ ،إنها ناذين حثماً،ثم فقد الوعي،فإستفاق بعد أربع ساعاتْ،على إيقاع القطرات التي تسقط من جهاز التنفس،فلم يجد أمامه إلا ممرضة نائمة على سريرهْ،فإنذهش وتساءل عمن تكون..وفجأة أدارتْ وجهها فإنبهر قلب المسكين،إنها إزوليسْ حبيبته ،فمد يده على وجهها يتيقن أنه ليس حلماً وأنه لم يبلغ بعد الجنة،فإبتهج عندما لمسها،وتأكد من أنها هي،ثم قال:
لو علمت مسبقا بعوتك عندما ترين حالتي لطعنتُ نفسي ألف طعنة لمجرد رؤيتك لمرة واحدة..
فهزت إزوليس رأسها تصرخ عليه: الويل لحبك الأحمق أيها الغبي،فقد أنقذتك بصعوبة وها أنتَ ذا تتفاؤل بالموتْ،إنك أسوء أحمق رأيته في حياتي،فحتى الحب ترجعه تراجيديا بشخصيتك البائسة المتشائمة..

فإبتسم ڤولس حتى آلمته الطعنة ،وأخذها في حضنه،كأنه وجد مصيره الذي بحث عنه طويلاً،فالروح التي تلتقي بأروحها تنير الدرب ببريقها فتشع كمشعل حديث الإشتعال.
تم قال ڤولس : إن والدك...
قاطعته إزوليس تقول: أعلم رأيت كلَّ ما حدثْ،فوالدي لاوسكي إشترط عليَّ أن أرحل كي لا يقتلكْ،وقد كنت أعرف طباعه حق المعرفة،فلو غادرتْ لما كنت لتنجو منهْ،فوالدي إنسان يحسم أموره بكاملها،فلا يعيد التفكير مرتين في شيءْ،فأن يتركك على قيد الحياة كأن قد يترك كابوُساً يزعجه في كل ليلة...
فهل رأيتَ أين دهب أو أخبرك مكان الذي سيذهب إليه؟
رد ڤولس : لا ابداً لم يفصح لي عن شيْء..
إزوليس: من المريب حقاً ألا يخبرك فهو دائما قبل ان يقتل أحداً يخبره بمكان تواجده،لأنه يؤمن بأن الحياة لو أعطت إنسان فرصة تانية،سيكون داك إنسان أفضل،فالحياة تبقي على النبلاء وتقضي على التعساءْ.
وفجأة رن هاتفها الخلوي،إنهم طاقم الطبي،يستغيثها لحالة حرجة ،وها هي ذي تركض إليهم ،وحين وصولها سمعت المريض يناذي إزوليسْ،فإرتمت عليه ماسكة إياهْ،مدركة أنه أباها لاوسكي ،فقال لاوسكي وهو على عتبة الموت:
إبنتيِ،عديني أنك لن تتزوجي داك أحمقْ...فلم تجبه إزوليسْ...
تم قال : لقد كان سبب حادثتي وهو من أوصى أحد من أصدقاءه بضربي،وبدأ يبكي ويتنحب أمامها لتصدقه،وبفضل إتقانه الدور صدقته الغبية،وزاد حقدها على ڤولس كولكسيزْ،فسمعت صفارة الخطر تنبعت من جهاز القلبْ،إن والدها على هوة الموتْ لم يبقى له إلا توانٍ قليلة ليذهب الى الجحيمْ...وبعد نصف ساعة مات لاوسكي على إثر ضربة تلقاها على رأسه في تلك الحادثة المغشوشة،وبقي ڤولس في مستشفى ليوم كامل،يتساءل عن سبب إمتناع إزوليس عن زيارتهْ،وعندما أراد الخروج سأل عنها إحدى الممرضات ْ فصدمه الخبرْ،لقد تركتْ المدينة منذ ساعتينْ،وتركت والدها في براد المستشفى ينتظر من يذفنه،وقد تركت له رسالة تقول فيها :
الى تلك الأرض حيث لا أنتمي،وجدتُ يوما ،فوجدتُ نفسي،وأضعتك يوما فضاعت معك نفسي.أفجعتني كثيراً وأفجعوني كثيراً،فأي قلب هذا الذي قد يتحمل كل داك الركامْ البالي،إنك اليوم كنت على مشارف النهاية،كما كنتُ أنا

سابقاً،وها قد أعدتُ لك خيرك في إنقاذي،فلستَ آخر نهاية يتوجها الحبْ،ولا أول بداية تتوجها الكراهية،فمنذ أن قتلت أبي أيقنت أنك لا تحبني،فكيف للحبيب أن يرى غير الحبيبْ،فالحب مهما طال ينقلب كراهية،إني أستسلم لا تبحث عني لأني سأزعجك لو وجدتني..ففعلتك لا رحمة لها..ولا شفاعة تخلصك منها.....عدوتك.إزوليسْ...

أنذاك أيقن ڤولس أنه لن يجد إزوليس ولو وقف على رأس فرعون،فعاد الى الحانة ليأخذ حقيبته ويرجع الى مكان ولادته حيت تقبع عائلته ،تلك التي أخفته عن الوجود للمرة أولى،وسيرى هل بإمكانهم إخفاءه الآن،وعندما دخل إلى الحانة وجد لوجين تسكب للسكارى كما العادة،ولكن هذا لم يثر إنتباهه بل ما أثاره منظر آخر غير هذا..إنهما تويودور وناذين يحتسيان الشراب في ركن من زاوية تلك الحانة الحقيرة.إنهما يبدوان سعيدين تتشاطح ضحكاتهما على إيقاع الكؤوس الفارغةْ،فهل هذا هو الحبْ؟ بدو سعيدين للغاية فرأى ڤولس نفسه مكان تويودور وما كان ليفعل لو كان مكانه ثم قال:

أليس الحبْ رائعاً عندما تكون بجوار من تحبْ،تنظر الى روحه بدل جسدهِ الفانِ...

إنه لمؤلم حقاً أن ترى من تُحِبْ يجلس بين فكيْ ذئابٍ لا تريد منه سوى لحمه الطري وفروهِ الناعم الأصيلْ،إنه حقا عذابْ ساحق هذا الذي نراه عندما نرى شخصا عزيزاً بقرب أحدهم فيبتعدُ عناَ وينجذب إليهْ.إنه ليس أنانية كما يظن الكثيرون ولكنه الحبْ الذي لا نود مشاركته مع الكثيرين،فمشاركة الحب كأن تسمح لباقي الحيواناتْ بالسباحة داخل بركتكَ الخاصةْ تلك التي تشرب منها،وعندما ينتهون يتركونها معكرة بأقدامهم الموحلة .

ها هو دا ڤولس يمثل دور المتجاهل بكل براعة وفجأة ناذاه ساكب يا بني أحضر لي كأسا من نبيذ القبيح ...فرأته ناذين وحتى تويودور،وابتسما بسخرية في وجههِ.فحمل قنينة مما لديهِ وأعطاها لسكيرْ وقال لهْ :

تلك على حسابيْ.

دخل الى الغرفة حيت ينام وأحزم حقائبه بشيء من القبح والإشمئزاز لرؤيته لذاك المنظر القبيح ،وخرج مستسلماً تاركاً الحانة بما فيها.عائداً الى قريته كوزاروفْ التي ولد فيها وترعرعَ بين أشجارها الخيالية،وأفضل ما كان يميز ڤولس كولكسيز هو إرادتهُ وقوة قراراته وعزيمتهُ،وصبرُهُ ،فقد كان من رواء

السقوط ينهض،و يختار القراراتْ بإرادته مادام يعلم أنه سيلام عليها،فرغم ما أطيح به من مآسي وإحباطاتْ كان يقوم ويكمل،ويحاول إيجاذ مآسٍ وإحباطاتْ جديدةْ تليق بجسده الشابْ الهزيلْ.
إن الإنسان القوي ليس ذاك الذي تراه يبين عن عضلاته ويكشف عن بلاذة طبعه،فينفخ ريشه كالديك الذي رآى الذجاجة ،بل ذاك الذي يصبر على كل المآسي ويفتخر بما يكونهُ،فيكون على إستعداد في تجربة المزيدْ والمزيدْ...
إن الإنسان الذي يقسو على نفسه،لم يترك في هذا العالم جميلا إلا وفعلهُ، خيراً وقضاهْ،إنه من لم يعتد خيانة أحدْ والكذب على أحدْ،إنه من وجد كل هذا ،مركونا أمام بيته في ليلة مظلمة،فأدخلوه في أمعاء الذنبِ،وتحاكم بتهمة اللاشيءْ،بكونه مخلصاً لنفسهِ،بخطيئة الأحد وتهمة إتنينْ،إنه من أنزل على روحه العقابْ بذون جريمة..فالقاس ليسو بائسين إنهم أفضل من يحيون في الحقيقة،في الواقع حيت لا أحد يحب العيش فيهْ إنهم أفضل من يبذل الحبْ،وأفضل في تدريس أجيالْ.
فكل خيبة يتلقاها المرءُ تجعل روحه كدرعٍ يبنى حديثا وكل خيبة تزيد الدرع صلابةً،فإن إكتمل البناءْ،سيضيع الأملْ،والثقة معاً،فكثير هم من يخيبون الظنون بسفالتهم فيأتون في اليوم تاني يبتسمون فيقولون " لم نعهدك هكذا! ...،فكيف تريدونه أن يكون ؟ ومالذي عهدتموه فيه ؟ تستره،هدوءه..طيبته...براءته...
إن هذا المخلوق الغريب الذي يعيش آلاف الخيباث يومياً لن يعود طيباً ولو تجرعتم ما تجرعهم ذاك اليومْ.إنه في لحظة تقيأ كل إعتراف،كل إحساس بالذنب تجاه أحدْ،كل جزء فيه ينتمي الى أحدٍ،نعم تجرع كل هذا والمزيد أقبحْ.فكيف تريدون إسترجاع الطيب فيه وهو نفسه أضاعه مع بقاياه المكسورة ،ركامه وخرابه حيث يُلقي خرداه العزيزة.فلا تقربوه ولو بان فيه ضوء خافتْ يحمي أعينكم البائسة،فإن رؤيتكم لهْ،تجعلكم ترون أنفسكمْ،وما أنتم عليهْ من قباحة...لدى فمن يخاف على نفسه صعود الجبال فلا يجرب تسلق أشجارْ...
وفي التانية بعد الظهر إستقل ڤولس الحافلة ليعود الى قريته كوزاروفٍ،تائقاً الى حضن بيتهم الذي كان يحتويهِ ،والى صندوقه العجيب الذي كفن جسده لأول مرة،إنه يشتاق لحنان أمه وقساوة أبيهْ،ومناوشة إخوته.فقال وهو يجلس على كرسي يصدي صوتا غريباً لِقِدمِه وعجزه عن حمل وزن ڤولس كولكسيز :

إن الحياة يا أمي قاسية جداً،فلو أضحيت يتيماً نالتْ منكَ ولو لم تكن كذلك لقاسية أكثرْ،إن إنسان في حاجة ماسة لحضن يقيه من قساوة الخارج ،لإبتسامة تنسيه بؤس ما يمر عليهْ،وما قد يمُرْ .
إن تركيبة النفسية لڤولس كولكسيز لا تختلف عن جيله أيضاً،فالجيل الذي يقبع في السحبْ ويفكر مع الطيورْ،ويتغدى على أعشاشها،فيعيش منثور الريش ينقب عن من يشتري ريشهُ،فلا هو يفكر في البردِ ولا حتى في إخفاء جسده القبيحْ،فكفى من ولادة أجيال المهدورة تلك التي تذهب هباءاً منثورة،تلك التي تفكر في أمس بدل الغذ،فتجعل من نفسها أضحوكة العامْ،إنه حقا لمن المخزي أن أنجب أحمقاً يتفوق عليَّ في حماقاتي،إنه خطيئة سافلينْ،ربما أنجبوه فجأة ذون أن يفكرو ما قد يحصل مستقبلاً متيقنين أنهم أنجبو أنبَل الناسْ وأفضلهمْ ولكنهم أنجبو القرصان الذي سيهيب على الجزيرة فينهب خيراتها ويقتل ناسها ويفضي الى البحر حيث يبحر كل القراصنة...إنه حال كل طفلْ أنجبه هذا العصر المريضْ .
ها هو ذا وصل البطل الى النهاية حيت يقبع الوحشْ،بمعنى الدرامي،حط ڤولس رحاله في قرية كوزاروفْ تلك التي كان ينعثها بالذاءِ المريضْ،وقد تفجأ مما رآى ،لقد مرتْ حربٌ من هناك فلم تترك غير المنازل التي بنِيتْ بالإسمنت وباقي من بنيَ بالأخشابْ أصّبح ركاماً تُشعل النيرانْ،فقال بصوت خانقْ وحزن مميت :
أهٍ ...لو تكون إرادتنا كتلك المنازل الصامدة المبنية بالإسمنتِ القاسِ حيت لا يزعزعها أيّ إعصارْ،إننا نحتاج لصمود في وجه كل نسيمْ لنتقوى في وجه الأضخم منهم" إعصار".
فقد وجد الغربة في موطنه،وكل ما كانو هم موطنه غاذرو نحو المجهول الى أرضٍ لا يعلم متواها،فقد زاد شوقه شوقاً،كأنه يلعب لعبة التحزير،تلك اللعبة التي تظن أنك ربحت فيها ولكنك لا تعلم أنك لتزال في بداية اللعبة.لقد أجهضت سعادته المؤقتة وإحتدم الحزن على قلبه...
فأي موطن داك الذي سيحمل هذا الغريبْ،فالشوق للوطن يقتل الوطنْ.
فأسرع يهيب إلى منزله،حيت كَبرْ،وإتسع عقله الصغيرْ،فوجده خالٍ كأن إعصار حمل الجميع وغادر المكان الى حيثُ لا يعلمُ سبيلهْ،فخرج من منزله يترقب تحرك كائن غيره في داك المكانْ،ولا واحد تجرأ على الظهور بل الصحراء

داتها وضعت أقدامها هناكْ ،فتركت طباعها وغادرتِ الى مصبها.وفجأة خرج رجل عجوز يلبس لباساً رثاً إنه مجرد متشرد يلوح أطراف القرية بأقواله عن الخلاصْ،عن الفناء الابدي.فاوقفه ڤولس وقال:
مرحى وجدتُ إنساناً على هذه الأرض،فمن تكون يا سيدي" يخاطبه ڤولس.
رد العجوز : أنا المخلص الأبدي...أنا مصيرك يا ڤولس كولكسيز...ألم تعرفني.؟
رد ڤولس : ما كل هاته التراهاتْ يا عجوز،أهرم عقلك لدرجة اصبحت تظن نفسك المسيح الدجالْ؟
ضحك العجوز وقال: ألا أشبهه؟ طبعاً إنهُ أنَــا؛!
رد ڤولس: لقد مر على رأسي الكثير فلست قادراً على الضحك أكثرْ...دجال قال ...تم إلتفت مغاذراً المكان الى اللامكانْ..فأمسكه العجوز من كتفه قال: أنا حقاً خلاصكَ يا ڤولس كولسكيز أو لنقل بيير بيرطهاين.
فإلتفت اليه متعجباً تم قال : كيف تعرف إسميِ،أحقاً انتَ المخلص يا هذا؟
رد العجوز بسخرية: ههه لا لا ،فقد كنت أمزح معكْ،ويا لك من غبي صدقت الكذبة.فهل انتُ ايضا الوحيد الناجِ من الكابوس المرعب المسمى كيساريز"
فرد ڤولس: ماذا الم أفهم ما تقول؟ واي نجاة تلك؟ ومن منْ سأنجو؟ واين ذهب أفراد القرية؟
رد العجوز : منذ سنة جاءتنا عائلة من طفلين وزوجين،وقد ترجونا لنسكنهم معنا لأنهم غادرو المدينة لوضعيتهم المتأزمة،وقد قبل زعماء القبيلة دلك،مقابل أن يدفعو القليل المال في كل شهر،ولكنهم لم يأتو عبثاً بل أحضرو معهم فيروساً خطيراً يسمى كيساريز،فلم نذرك الأمر إلا عندما أصيب أغلب سكان القرية بداك الوباءْ،فأنا مجنون القرية كما سموني عندما رفضت تواجد تلك الأسرة على ثرابنا فقدأحسست أنه بلاء جاء على قدميهْ،فاغلب من لم يصابو به غادرو القرية وعائلتك إحداهنْ،وإن صححت النظر لترى أن بعض الجثة لاتزال تحت الأنقاض إنها من عشش المرض في عظامها فأوردها قتيلة بعد شهرٍ من إصابة...
رد ڤولس: مهلا مهلا...لماذ نسمع بأمر ونحن في المدينة،فالمدينة هي مركز المعلومات وكل معلومة تجدها فيها...لماذا لم تصب أنت بهْ؟

رد العجوز: إنك لتزال أخرقا كما عهدك زمانك،حتى وإن لم أعرفك جيداً فتلك اللحظة التي اتيت فيها الى هنا أظهرت شوقا قاتلاً...فالمدينة اليوم إنفصلت عن القرية ،وأغلب ما يصلنا مجرد فتاتْ تأكله الطيور عندما تجوعْ،وما يصلكمْ مجرد كذبة يحاكيها النظام لألا نظهر في الشاشة والواقع يخبرك بما اقول.وأما نجاتي فعندما عارضت تواجد تلك الأسرة في القبيلة نفوني الى الغابة وهناك ظللت اعيش حتى الآن،فالزعماء كانو يجذون في الدخيل خزانا من المال الذي يمكنهم لم الثروة منهْ.ولكنهم فضحو عندما لمُّو مرضْ بدل المالْ..
فكل الاسر غادرت الى إحدى المدنْ،قليل توجه الى عائلته في القبائل أخرى،وهناك من راح الى مدينة ليجذ عملا يعيش بهْ،وحثما ستجد عائلتك هناك...
فأدرا ڤولس عائدا الى المدينة،فقال العجوز:
ألن تأخدني معكٍ؟
رد ڤولس بسخرية: ولمن أترك إرث أسلافناَ؟ ألستَ حاميها وحارسها....
فخجل العجوز وراح يرقص من الفرحْ.
وعندما بلغ ڤولس كولكسيز نصف الطريق،سمع شخصاً يلعن شيئاً ما،فتطلع لرؤيته والفضول ينهشه،فوجد مزارعاً يرتدي جلبابا بنياً وعمامة مهترئة وخفين باليين يلعن ماشيته لأنها عكفت عن شرب الماءْ،فوقف ڤولس كولسكيز يراقبه من بعيد..
فصاح المزارع عليه يقول:
منْ انت ،...ولماذا تراقبني هل تحتاج لتسريحة عظام يا هذا...وعندما وصل إليه قال :
اوه هذا أنتَ يا ڤولس كولسكيز،إبن أكبر رسام في العالم ڤاندوسكي العظيم...مالذي جاء بك الى قريتنا؟
رد ڤولس متعجبا: اوو كيف تعلم أني ابن ڤاندوسكي رسام الكبيرْ،ومن قال لك ان اسمي ڤولس كولكسيز ؟
رد الرجل: لقد وصلتنا جريدة تحمل صورتكَ،وتصف فيها بأنك ابن ڤاندوسكي الذي جاء خطيئة علاقة غير شرعية.فأنت تعلم حال جرائدنا فقد تقرأها في المدينة اليومْ وتصلك الى القرية في الشهر القادمْ .
فرد ڤولس متفاجئا:ماذا تقول؟ أنا ابن غير شرعيْ ؟ من كتب تلك الجريدة؟

رد العجوز: داك ما قرأتْ يا بني ،وقد كتب مصدر لها ان صاحب اقوال هو صديق حميم لك يدعى تويوبور،المهم يشبه هذا اسم كتيراً...
ڤولس: اتقصد تويودور؟داك الحقير...الويل لقد عفيت عنهُ ولا يزال يبحث عن شري فيه...
العجوز: نعم هو تويودور...
ڤولس : مالذي اصاب قريتنا....وجدتُ رجلا هنا واخبرني أنه ناجٍ من الكارثةْ الوباء ؟ هل هذا صحيح؟ واين هاجرت اسر التي تقطن فيها؟
رد الرجل بفزع: هل لمسته.....
ڤولس: ماذا؟ لا لم السمه...لماذا؟
الرجل:إنه هو الوباء نفسهْ،فلو كنت قد لمسته ولو عن غير قصد فعليك ذبح نفسك كي لا ينتشر الوباء لباقي الناسْ.
رد ڤولس: اوه تبااً ...صدقته للمرة تانية يا لي من ابله..
الرجل : عندما جاء الوباء القاتل ،اصيبت كل العائلاتْ،فلن يبقى غير داك العجوز لم يمتْ لأنه هو احد زعماء القرية.فقد كانو عازمين على قتل اي شخص مصاب لا يريد دبح نفسه،وهو من أشعل هذا الفتيل،وفي أخير قتل الكل وظلَّ هو الوحيد الذي يعيش مع وباءه وركامه حتى يموت في يوم ما...
ڤولس : أتعني أن كل عائلتي دفنت تحت الركام تلك المنازل الموبوءة،أليست إحدى دعاباتكم التعيسة يا أهل البدوي؟
رد الرجل: أبداً قلتُ الحقيقة.بالضبط كلهم تحت الركام ولتتأكد إذهب لتنقب عنهم هناكْ..
لم يتحمل ڤولس هذه الكارثة،ولم يستطع البقاء صامداً طوال الوقتْ،فقد ضاع منه كل شيءْ،حبه وحياته وعائلتيه..
إن أفضع ما يلاقيه المرءُ في حياته،لحظة يشعر فيها أنه غريبْ،لا يملك شيئا،ولاشيء يمتلكهُ.إنه كحال رحالة يقصد كل مكان فلا مكان يغرس فيه أوتادهُ وأنيابه.إنه كالأثار التي تأتي في الصحراء فيزيلها البردْ كأن أحداً لم يمر من هناكْ.
ستنقب طويلا عن حيز من الوقتْ،الذي تشعر به غائبا في حياة ڤولس كولكسيز،لتتساءل عن عدم رغبتي في إظهار الوقتْ والزمانْ،فهل هو خطأ مني أم تقصدتُ اللعب على أوثار التاريخْ،فحياة ڤولس كولكسيز مرة كقطار تواجد

ليسرع فقط بذون فرامل إنه لا يحمل أحداً ولا يتوقف ليحمل أحدْ،مارٌ كغريبْ من صحراء تكتسي أعاجيبْ،إن النفوس التي تطأها الحروبْ لا معنى لزمن فيهاَ.إنه مهملٌ كإهتمامِ صغيرٍ بألعابه القديمة التي كسرها عندما وجد أخرى جديدة.الظواهر النفسية هي نتاج لتراكم التجاربْ،فالتاريخ يلعب دوراً ولكنه ليس الحاسم في إنهاء اللعبةْ.

إنقلبت نفسية ڤولس نحو أرض بعدما تعودت على أعالي التي تمطرنا بالشموخ،لدرجة لم يعد يقدر حتى على الوقوف ،إنه كجثة توالى الزمن في صفعها لوقت ثعبَ ماذام وجهها قد تهشم من الضرب ولم يبقى فيه مكان يصلح للمزيدْ.وهاهو ذا يصيح في الطرقات كالمجنونْ،إن كل من لاقاه في الطريق صب عليه كحوله الرخيصة وتذمره الحقير يقولون" ابن غير شرعي"،" غلطة المراهقة"، " خطيئة اربعاء"..ألاف الجمل الحقيرة كنفوسهم المذلولة التي تبقى كذيل وراء كلب مسعورْ،أليس من الحقير أن نظل نرى أشياء السيئة في أشخاص غيرنا وننسى ما نتكتم حوله من سوءْ.أليس باليا أن نتنكر بأننا نبلاء لا نخطئْ،وأننا محقون على الذوامْ،لا يهمْ إنها مجرد ذواتْ مقهورة لن تزيدنا شيئا ،سنظل نحبطها ونسيء لها،لأننا غير قادرين على فعل غير ذلك نحن الموصومون بالعجز المحبط الذي نحاول بكل جهد أن نرميه على آخرين فقط لتتخفف هياكلنا النفسية فنملأ هياكل آخرين وبطونهم..

إنه يقصد المكان الذي يقصده كل مجنونْ،إنه غابة أكليوبتوس ذاك المكان الغريب الذي يسكت أعماق الغرباءْ،ويفرغ بطون الأقرباءْ،إنه الطبيب النفسي الذي يحتضن الأحمق والجبانْ،إنه الذواء الذي لا يخيبْ،فأكثر من زاروه عادو بأزياَءٍ تضوي من البريقْ كأنه إنتزع منهم قباحتهم وأوصافهم الباليةْ،إن أغلب من مَلَّ من معاشرة الحمقى توجه إليها ليعاشر نفسهُ وخلوتهُ وعزلتهُ،فأكثر العظماء قد أنجبتهم العزلة والحمقى أنجبتهم الدعاباتْ.

لقد وصل ڤولس كولكسيز الى المكان المنشوذ حيت تقبع حريته،محملاً بأكياس من إحباطْ،وألف قنينة من الكحول الفارغة،إنه يتمشى ببطئ كأنه يحمل جبلا على كتفيه يعوق مشيتهُ فلا هو ثملٌ يتمايل يمينا ويساراًا،بل يمشي مباشرةً يتعكز على نفسيته المحبطة،إنه يرفض السقوطْ،إنه على أتم استعدادْ ليواجه ألف ألَم لِيُسْقِطَ عنه كل داك الحطام الذي عشش في روحهِ.إنه أول من يعلم أن

السقوط يتطلب الشجاعة للنهوض تانيةً،وهو نفسه لا يملك تلك الشجاعة،لدى إكتفى بالمماطلة في السير بدل الوقوع في شباك ذاك العنكبوت الأحمق" الثعب".
وهاهو ذا يمشي ببُطْئِ السلحفاتٍ المجنونة التي تنتظر ساحقها الذي لم يخرج اليوم للصيدْ،إنه محبط ومكتئب ينحرف عن طبعه المألوف...وفي لحظة يسألونْ" لماذا تغيرَ فلانْ،لقد كان فتى صالحاً وأصبح أسوء شخص على وجه الأرض؟".
إن أبلذ إنسان من يرتكب الخطيئة ويتساءل عن نتائجها،كأن يفلت الأرنب من أنياب الثعلب ليتساءل الثعلبْ عن فعلهِ هذاَ،إنه يظن أن بإمكانه حصد أرواح بإرادة أجساد نفسها،فلا يعلم أن كل روح عزيزة عنذ صاحبها..
لقد كان لڤولس كولكسيز الخيار الأمثل لتخلص من كل ما يتعارض في نفسيته بإحتساءه لكوبين من الشرابْ،لكنَّهُ أبداً لم يصل لتلك الفكرة قطْ فقد قال ذات مرة:
إن الذي يهرب الى المشروب وكل أن أنواع الخمر الباليةْ،برفقة مآسيه فيتركها جانباً،أبداً لا يستحق أن نسميه إنساناً ولاحتى حيواناً،فحتى الحيوان عندما ييأس ويحبطْ،يظل يعاودُ المحاولة،لينال من إحباطه بنفسه،حتى وإن أحبطِ آلاف المراتْ،فعلى إنسان أن يكون كذاك القط الأسود الذي وإن فشل في القبضِ على فأره مِراراً،يظل يحاول إلى أن يقع الفأر بين يديهْ،وإن عسُر إمساكه فليبحث له عن فأر أحمق يسهل إصطياده.فكما أن هناك قططٌ ذكية وأخرى حمقاءْ،فالفئران أنفسهم يوجد فيهم الأحمق والذكي.وإن لم تمسك ذاك الأحمق،ستظل بالجوع حتى تموتْ،فإما المحاولة وإما الموتْ.
وفي عز الظهيرة جلس ڤولس كولكسيز على جدع شجرة،بينما الثعب يرقص في أحشاءه كراقصة ماهرة تجيذ إمتاع الحضورْ، فكسر به الغصنْ،فلعن الجميع تم قال:
الويلُ لكم جميعاً،أليس في هذا العالم من يكذبني فيخبرني أنه لا يزال هناك بشر أوفياء يصلحون لشخصياتنا المثعبةْ،وبدأ يخاطب الأشجار،والصخر...
هيا تكلمي يا أشجار ،أخبريني عن فصيلتكْ لأحدثكِ عن فصيليتيِ...هيا يا حجر أصرخ أعلم أنك تود قولَ شيءْ...
وقد ظل يثحدت كذاك الهاتف الذي يشحن ولا يقبل الشحنْ ابدًا.

لقد شحنة شخصيتهُ،فدخل لوكر الذئب،بل لوكر العزلة حيت تغفوْ،فقد أحسن لنفسه بألا يوقظهاَ،وظل يصرخ من نفسه،فيكتم في أعماقه لوقت قرر إنفجارْ،فتوجه نحو سفحٍ يهوي عمقاً،فيصرخ بكل قوته:
لا.....لا.....لا.....
إنه يحاول التخلص من تلك الأنقاض البالية التي ترقص فيهْ،وهذا ما على كل إنسان فعلهُ.
إن أسوء ما يناله المرءُ من العزلة يكون بإعتزاله فجأة ذون أن يعطي لنفسه الفرصة ليهظم ما يقف في حلقه،كأن يبدأ في بناءٍ قصرٍ ذون أن يتخلص من ركام الذي خلفه الحطامْ.إنه ما يتسبب في جلطة من الحزن والكآبة التي تعصف بجهازنا النفسي.فنلعن العزلة ونرتمي في أي حضن مهما كان،حتى وإن كان مليئا بالأشواكْ...
فجأة رآى شيئًا يهرول بين أشجأرْ،مهلا ..مهلا..إنها ناذينْ،وفجأة رأى بجانبها تيويودورْ،فغضب وقال :
أهذا الشؤم قد لحق بي الى هنا،حيت تنتصب وحدتي وعزلتي.
إن إنسان مهما يظل مستعداً لفعل الخيرْ،سيظل دائما يفعل الشرْ،فيحس بالحسدْ حتى والناس يعانونْ،إنه كدلو مملوء بالشرْ،فينقب على دلو فارغ ليفرغ شرهِ.فأبداً لا تثق في بشري مهما إدعى الصلاحْ،والنبلْ،فالمرءُ دائما ما يستبق لنفسه أوصفا مثالية،ليلقى الترحيبْ،فيخفي أسوء ما فيه لوقت تظهر بنفسها كأنها نفايات ألقاها الشاطئ من أعماق نحو السطحْ.
وللحظة رآى ڤولس لاوسكي ولوجين ومعهم أشخاص آخرينْ ليسو ممن يعرفهمْ،فإرتعبَ وراح يصرخ ورجلاه تسرعان للإفلات من هذا المأزقْ :
أنقذوني ....إنهم يريدون قتلي...
ولكن الحقيقة أنهم كانو مجرذ ذكريات تمشي على قدميها..
فكم من ذكرى جميلة تنساها الذاكرة فلا تتذكر سوى المصائب.
لقد كانت هذه الحالة إحدى النتائج القاسية لداك الورم البالي على مخِّه الصَغيرْ،ولكن بقليل من الواقعية المزعجْة،إن هذا الورم المشاكس قد أخد يلعب بعقل ڤولس كولكسيزْ،فلا هو يتركه لينام ولا حتى ليأخد غفوةْ،وهذ ما قد ينقلب سوءاً على شخصيته ففي كل مرة ينام فيها يقف عليه عشرة اشخاص يغنون أحد الأناشيد وهم واقفين على رأسه كأنه على وشك ان يعاقبْ،إنها طقوس قبل

الموت تلك التي يتحولق الناس حول الميت ويبدأون في الغناءْ والتهليل كأنه تزوج بالموتِ،بل إنه الأضحية التي سيفكر بها الناس عن كل أخطاءهم وذنوبهم،ولكن المؤلم في كل هذا هو أنه لم يرى إزوليسْ،ولكنه ظلَّ يشاهد ما مرُّو به سوياً،وشيئا فشيئا بدأت ملامح إزوليس بالتلاشي في ذاكرته حتى ما عاد يستطيع تذكر وجهها ولا حتى شكل أنفها.إنه يؤمن بأن الورم هو سبب كل ما يحدث له ،حتى حظه السيءِ وجدهما معاً يحتسيانِ كوبا من الكحول الرخيصةْ،فعلم أنذاك لما مصيره بائس طوال الوقت.

لقد كان ڤولس أصماً وأبكمْ،لصمته الحاد قرونْ،ولتفاديه الكلامِ نعمة،فلا هو يغضب ولا يحقد ولا حتى قد تراه يوما عابسا في وجهك،إنه يظل يبتسم كالمجنونْ،فرغم ما يتعارك في داخله،فإن ابتسامته تنكر الصراغ،فأغلب من نراهم اليوم يبتسمون في وجوهنا،ليس لأنهم سعداءْ،بل العكسْ إنهم أسوء من أحبطهم الزمنْ،ودمر كيانهمْ،فلم يستطيعو إلا إبتسام طوال الوقتْ،ليظن الآخرون أنهم أبداً لم يحزنو يوماً غير أن حزنهم قد فاق القمم،ويأسهم لا تجْبرهُ هوةُ ولا مِلْـأشبن حزنهم الشديد دفعهم إلى إبتسام خوفاً من أن يتعرضو للسخرية من أولائك الحمقى الذين يشترون بمال أبيهم باقة من الورود لحبيباتهم المؤقتين... فالويل للإنسان المؤقت،ذاك الرعديد الذي يرى في الحياة متعةْ،وفي حياة الناسِ برهةْ،إنه مَنْ أنجبتهُ البطون الطائشةِ،تلك المتعطشة لولاذة الخطيئة،إنها أبداً لاتنجب سوى المنحطين والمحبطينْ.

إن يَـأْس ڤولس كولكسيز،مبرر بشيء من فقذان الأمل في الآخرين، وما إحتمله كيانه الصغير من أقبح الخيباث النفسية،ولكن هناك في هذا العالم من ينفثُ يأسه على الآخرين ذون مبررْ،فقط لأنه رآى أن أحدهم أفضل منه فتغلغل الحقد الى أعماقه .

لا يحتاج إنسان لمن يزيده بؤساً، بل يميل لمن ينسيه إياهْ،لدى تجذ الأزواج يخونون بعضهم مع من يجذون فيه مأمن وعشاً يتحمل كل بلاويهمْ،هذا هو إنسان يميل للكوميدية ولو على حساب تذمير قلوب الآخرينْ،إنه إنسان المفضل لدى الجميعْ ،إنه البائس الذي يمثل دور كوميدي الأحمق بكل براعةْ،ولكن حقيقته القاسية لا يعلمها إلا اللهْ.

لقد جنَّ ڤولس وأخد يمتطي كل شجرة يراها أمامه فيصرخ قائلا:

كيف تودون إطعام قرد بِضْعِ تفاحات مسمومة،وقد إعتادَ أكل الموزْ طوال الوقتْ.
إنهم قد أَلِفُو مضاجعةَ الذئاب لأنها تبدو نباتية لا تأكل غير العشب في حضورهم،فليست إلا مزحة إن إنقضى حيلها في إصطياد الأرانب والخرفان الحمقاءْ،الغبية.
وفجأة وصلته رسالة في هاتفه،فسمع رنينًا خفيفاً،فأسرع لرؤية الأمر،إنه يشتاق لرسالة مفرحة تعيد إليه بهجته الضائعة،وفجأة رأى إسم ناذين ؛ وقد إتضح أن رسالة منها،فغضب للدقائق أولى،وبعد قليلْ،أخد يقرأهاَ...تقول:
" اليوم لست بخير يا ڤولس،وقد أموت بعد بضع دقائق،فأنا على فراش الموت،إلى متى سيظل هذا السرير الأحمق في إحتضان جثتي وأنا أعلم جيداً أنه لا يوجذ مكان في هذا العالمْ قد يحتوي جثتي البالية.لربما تكرهني،وتمقث رؤيتي،وقد تكون تحب فتاةُ غيري،ولكن قلبك المغفل سيظل يحب من أسقطه أول مرة،فلستُ أريد منك شيئاً،فقط كنت أريد إخبارك أنني صففت في الشارع،لقد إنتزع تويودور اللعين كل ثروتي وهرب مع أخته لجين بعذما باعا تلك الحانة،فقد كنتُ أظنه يحبني، ولكنه كان يحب مالي ليس إلاَ،وقد أحسست بإحباط والكآبة ،فقد كنت أظن أن الحب وإن بذلناه بصدق لنتقاضى نفس المصيرْ.وها قد حاولتُ إنتحارْ فإرتميت أمام أول سيارة رأيتها في الشارِع ،وانتهى بي المطاف في إنعاَشْ، فلستُ أخبرك عن حسرتي،ولكني علمتُ خطأي،عندما رفضتكَ،فإن كان بإمكانِ أن نعود معاً،مهما كان شرطك فأنا أقبل بهْ،فقط اريدك يا عزيزي ڤولس.....ناذين.
ضحك ڤولس عندما قرأ الرسالة،وصاح في الجو يضحك بصوت عالٍ،وقد إستمر لعشر دقائق وهو على نفس الوضع،تم قالْ:
يا لهذ السخرية،حينما يرى المرءُ أنه يمتلك كل شيء يتعالى وترتفع جفونه الى السماءِ يصرخ في وجه الكل بأنه وجد أفضلْ،وعندما يفقذ كل شيءْ،يعود محبطاً يتنحب أمام من تعالى عليهم،يحاول نيل الصفح والعفوْ،أليست هاته حماقة ،فمادمتَ تعاليتَ عندما إمتلكت كل شيء،،فعليك أن تنحني عندما ستخسر كل شيء..
تم تمتم قليلاً،وراح يكمل رقصته المجنونة،فيصيح في الملأ قائلا:
المجتمع من يفسد إنسانْ،البشر من يفسدون بعضهم...

وفجأة لمحه شلة من الناس ،إنهم سياح أجانب يتجولون داخل تلك الغابة بتيابهم القصيرة ولو نبشرتهم الأصفر،فراح يركض بإتجاههم كالمجنونْ،إنه يرغب في خلق السعادة من نفسهِ،بل يود تكسير الروتين الغبي لهاته الزنزانة المسماة حياة.فعندما رأوهُ مسرعاً نحوهم همو بالفرار كالإوز التي شاهدت تمساحا جائعا يتقصد أطراف البحيرة،إنه فقط يريد المزاح معهم،فمادام وطنه العزيز لا يقدر كوميديته الحديثة،فقد يفهما الأجانبْ،ويا للأسف فرَّ الجميعْ،فوقف ڤولس متسائلا :

أحقا لا يُـجيڈون هؤلاء الطيبين المزاحَ ؟

وقد مر يوم ڤولس كولكسيز الشاب ذوي الثامنة والعشرون سنة،هذا الرجل الغريب،العصري في بطن غابة سوداء مظلمة يأكل ثوتها وأعشابها ذون أن يعي ما الصالح وما الطالح،إنه أعاد لرجل البدائي همتهُ،ووجوذه المنتشي،فأكثر من نراهم اليوم رافعين أنوفهم إلى السماء يدعون أنهم قدأنجبو من سلالة حديثة لم تملكْ ماضياً،إنهم من تخلى عن البدائيِّ فيهم،فأصبحو يهيمون على الديلِ بذل الجسد.

وفي عز الصباح،جاءت طائفة من الصيادين يبحثون عن المستذئب هناك في الغابة،فقد كان ڤولس هو نفسه المستذئب بل سمحو الرجل الوحشْ،لمظهره الرث وحفاوة قدميه وشعره الذي زاد طوله مترينْ،لقد غدى مشهوراً كأبيه يحمل في نفسه نفس مصيرهِ التعيسْ،فاستيقظ ڤولس كولكسيز على إثر صراخ من أعلى جرفً صخري،وطلقات نيرانِ سريعة،فلم يدرك ما وقع فيه من ورطةْ،وفجأة مرت رصاصة من أمام وجهه كادتْ تقسمه إلى قسمين،فعلم أنذاك أنه الصيد الذي سَيُـحْمَلُ في شباكهم اليوم،فقال بمنتهى اللامبالاة:

لو كان المخبر من ينتمي لوطني ،لما صدقوهْ،ولما وجدتهم اليوم يرقصون حولي.إنهم يفضلون تصديق الغرباءَ على أن يصدقو أصدقاءهم.

فَهَمَّ بالهربِ من هناكْ،تاركا عشه الذي أواه لعشرة أيام متواصلة،يأكل من خير الطبيعة ويشرب من ينبوع صفاءها،فيقضي حاجته وراء أشجارهاَ ولا يخجل لملاقاتهاَ..لقد تَـرك الوطن وطنه.فعاد الوطن غريباً عن نفسه..

وها هو ذا يجول في بقاع أرض قاحلة لا سقف لها ولا حدْ،إنه على مقربة من الهوة التي تجعل من الإنسان غريب نفسه،وتجعل من كيانه متاهة يقتل فيها من يحاول تجربتها حتى قبل أن تبدأ..وفجأة رآى مدينة صغيرةً لربما قرية تطفو في

أعالي السماء إنها مجرد غيمة تكتلت لذاتها وإنعزلت طويلا عن سربها.وها هو ذا يقصدها لينال متواها ومحاسنها،إنه متخوف من دهاء قبيلتها وشر خلقها،فالذي ينتظره مشهد مرعب لبداية فلمٍ على وشك الحدوثْ،ولم يحدث بعدْ،فهذا حال المثعب من الحياة اذي يقف طويلا خلف سفحه الشاهق فلا هو قادر على إرتماء الى معدتهِ،ولا هو قادر على العودة فقال:

إن ما يجـعل إنسان يشقى طويلا تفكيره فيما قد سيحدث،وإن حدثَ ما تنبأ بهْ،ظلَّ يصدق قدرته الخارقة على التنبؤ بالمصيرْ،ولكنها لم تكن يوما إلا صدفة أنتجها الغريبْ،وسرق صاحب الوطنْ .

وفي تلك أثناء وضع ڤولس كولكسيز قدميه على أثربة تلك المدينة،إنها صغيرة كما قلتْ،يطبعها الذوق الغريبْ،إنها تشكو من طريقٍ وعرة تملأها الحفرْ،وإلتواءاتْ،فلست أهيم أنه قد لا يحدث كل يوم حادث سيرٍ فيهاً،مهلا ...مهلا...لا يوجد سياراتْ ولاحتى دراجاتْ نارية،إنها بلدة غريبةْ،سكانها قليلونْ يتمشون على أقدامهمْ ليس إلاْ،وفجأة لمح ڤولس سربا من الناس تتجمهر حول شخص ما في وسط المدينة،فصغر حجمها يجعل منها بوابة تدخل فتخرج،إنها تجيذ طرد أصحاب الأقدام الطويلة التي تسرع في المغاذرة.وها قد وصل ڤولس بفضوله بين الحاضرين ليرى ما يرونه،إنه شخص غريبْ،بلباس فتاةْ يضع صدرية وتفاحتين،وشعراً مستعاراً،مهلا ....إنه رجلْ،يمثل دور فتاة ببراعة ليكسب بعض النقودْ ويا لهم من حمقى الكل يصرح.من الضحكْ،ولكن ڤولس لم يحرك فيه شيئاً،بل أصابه القرف مما وصلت إليه همتْ الرجالْ،وقيمتهمْ.وفجأة صرخ أحد الأطفال المنحرفينْ قائلا : أَبِنْ لنا عن صدريتك أيتها الجميلة .إنكِ فاتنة حقاً...

فكيف تودون قيادة أمة بجيل منحرف كهذاَ،إنه يقدس أنثى لأنه يراها خزاناً ليفرغ فيه مكبوتاتهُ،أهذا حقا ما ستنجبه يا أخي،وهذا الذي تراه اليوم كإنسان كان البارحة منحرفاً ينحني أمام أنثاه البائسة.

وبينما ڤولس كولكسيز يقف مع الحضورْ،رآى بضع شباباً يتهاوشون فيما بينهم ،ككلاب مزعورة عن من فيهم سيفوز بيناصيبْ،لا مهلاً،ليست يناصيبْ،بل من فيهم سيصطاد إحدى الفتيات الغبياتْ وما أثاره كيف يتعاملون مع بعضهم البعض إنهم كفراخ عاشت طويلا مع إخوتها وعندما كبرت وإفترقو بدأو يموتون لوحدهمْ،لأنهم لم يستطيعو العيش بمفردهم.

فقال بمنتهى السخرية :
أفضع من أنجبهم هذا العصر المحتضر،هاته النفوس الضعيفة التي وإن عاشت بمفردها ماتت قهراً،إنهم حقاً مُسْتَعْبَدونُ بإحتراف من قبيل أصحابهم وذوي أذواق المحبطة التي لا ترى غير صوف في نعجة قبيحة..
وفجأة وقعت إحدى ذكرياته في عقله الصغير،تلك التي حاولت فيها أخته سيلڤيا قتلهُ،وما كان لشرفاء القرية أن إستعبدو ناسها،بكذبة أنهم أبناء الصلحاءْ وذوي السلالة النقية .فإرتفع نفسه وزاد حدة نبضاتهِ،فقال:
لننهي المرض علينا أن ننهيه من جدوره ،أي بالقضاء على جرثومة..وقد كان يؤمن بشيئين لم يراهما أحد فيه،إنها إرادة الحرة و الذاتْ النبيلةْ،فحتى وإن قتل فليس بدافع الكره او إنتقام ولكنه يريد تطير المستنقع من تلك الجرذان التي تجعله كذلك..فقال :
ينبغي أن نقضي على تلك السلالة النقية لتظهر سلالة أنقى منها تصلح لنسميها أنبل ما يكون حتى الآن..
فقرر تصفيتهم من تلك المدينة،وفي المساءِ وبينما هو جالس أمام منزل تراءى له قميص أبيض فأسرع لسرقته وأخذ يكتب على ظهره جملة غريبة بخط اسود قاتم تقول:
"هل تحتاجون لعبدْ ؟،أنا هناَ"
وقد كانت هاته الجملة الفخ الوحيد لتصفية الحمقى ،فقد كان يستذرجهم خارج المدينة حيت تقبع إحدى البحيرات العميقة التي أعترف بصدقها في إبتلاع البشرْ،وأن عمقها لم يستطع أحد ممن قُتلُو بلوغهُ،فأخذ يقتل من يطلبه للعمل بعذما يسمع نوع العمل الذي يطلَبُ منهُ، فيضعهم في أكياس،ويضع بضع صخرات كبيرة كي تغرقهمْ،ففي كل يوم يناذيه أربعة أشخاص للعمل ،الى وقت لاحظ فيها أبناء تلك المدينة غياب أشخاص الذين يصادقونهم ويعرفونهمْ،فتبين أن ڤولس كولكسيز قد قتل عشرة أشخاصْ أربعة نساءْ طائشاتْ أردنه أن يعمل كحارسٍ يتباهون به أمام صديقاتهنْ،وستُّ رجالْ،الأول منهم أراده مهرجا يمتع زوجته بتلك الكوميدية البائسة،والتاني حمالا يلعب مع أطفاله ويغسل لهم،والثالث اراده أن يكون ظلهُ أن يشعر بأنه مراقبْ لتزيد قيمته وفخامة نفسهْ،ليقال أنه مقدرٌ إجتماعياً،والرابع طلب منه ألف عمل وكل عمل أفسد من آخرْ،وخامس أراده أن يغسل اواني وأن يخدم زوجتهْ والسادس طلب منهُ أن يزرع الفتن بين

أعداءهِ وأصدقاءه ليرى من هم جيذون ومن الفاسدونْ ...لقد كانت نتيجة كل هذا تفكير مغلوط لفكرة واقعية وهي أن إنسان يظل يحاول إستعباد أخيه إنسان بأي وسيلة ،فنجذ أصدقاء يتعايشون مع بعضهم طوال الوقتْ،وفي الشدة تراهم كالحمقى يرتعشون من الخوفِ،وأقرباءْ إفعل هذا وذاكْ،.... وهذا كلهُ لتنال تقديرهم وإحترامهم،فأي تقدير قد تركته لنفسكَ،فالله هو الوحيد لديه الحق في العبادة.ولا أحد غيرهْ،لدى فالحمقى يؤمنون بالصدقاتْ لأنهم لم يجذو لأنفسهم غير ذواتٍ ظلتْ تمدحهم طوال الوقتْ فيشعرون بالقوة تلك التي تغيب في بيئتهم الاصلية"اسرة".

تبقى النفوسْ المرهونة أسوء الشخوص المفتقذة للإرادة الحرةْ،إنها دائما تقبل بكل ما قد يصيبها من بلاءْ لتجني المديح طوال الوقتْ،فلن تراها يوما ترفضُ فِعلَ شيء يذرُّ عليها القليل من الشكر المزيف.

وبعذما شكَّ أهل المدينة في ڤولس كولكسيز،الذي كان يتعامل بطيبة قاهرةْ،لذرجة تجعلك تشك في نبلهْ،وفي يومٍ ما أرسلت طائفة من تلك المدينة إتنين من عناصرها لتتبع ڤولس كولكسيز،وقد كان حظه التعيس مجبراً على تركه في داك اليومْ،وقد كانت ضحيته العاشرة أنذاك إمرأة تلاتنية،وبعذما لاحظ ڤولس أن أحدهم يتبعهُ،غير أنه غير الخطةْ،فقد كان يغرقهم في تلك البحيرة،ولكن هاته الضحية الأخيرة كانتْ محظوظة حتى في مصيرها النهائي وفي طرق موتها .فجلس وسط حديقة يحاول التغاضي عن أنظارهما،ولكنهما أحمقانْ فرغم جسدهما الكبير وكبر سنهما لكنهما لا يجيذان إختباءْ،فالأول ثلاتيني صاحب شارب طويل ،أصلع الرأس،وقصير القامة تحيل إلى الفضاضة والحس الدائع،وطبع المنفتح الماقتُ للآخرينِ،عيناه صغيرتان بنيتانْ وحواجبه مخففة تختفي أمام فمه الكبير،ولقصر قامتهِ يصعب عليك إيجاذهُ وإنْ حاولت العثور عليه فإنك لن تفلحْ،كأنك تنقب على جوربٍ بين آلاف من الجوارب القصيرةْ، االتاني طويل القامة يظهر كعمود إضااءة مقارنة مع صديقه القزمْ،صاحب نظرات بائسة وحادة مليئة بالعبُّوس،مع شعر أبيض ملونْ، تراه كالزرافة ماطلة عنقها الطويل من بين آلاف الحيوانات .

يبدو غريبا حقاً أن يصاحب الطويل القصيرْ،كأن أحدهما يتحمل الآخر بكل صعوبة،فالطويل يخفف من طوله عندما يرى القصير،والقصير يزيد تقديره لنفسه عندما يرى الطويل.

وقد ظل ڤولس جالسا في الحديقة في وقت أحس أنهما قد ملى من ملاحقتهِ،فإختفى عن أنظارهما بينما كانا يتناولان الطعامَ على شرفة الشارعْ، فتوجه ڤولس مسرعا نحو ضحيته الأخيرة،وعندما وصل الى منزلها إندهش من المنظر الذي رآهْ،إنها أم لتلاثة أطفالْ صغارْ،الأكبر لا يتجاوز خمس سنواتْ،تعيش لوحدها في منزل صغير ،وتكسب قوت يومها من بيع المناذيل و الخبزْ،فأبطأ قلبه ولان،فحزن للمشهد وأدار وجهه للمغاذرة فقال:
الويل للزمان الذي أفضى بنا لرؤية هكذا مواقفْ،إنه لتخلف كل دولة تراكم الثروة تحت أجنحتها فتترك الفقراءَ في فقرهمْ،والتعساء في تعاستهمْ لتبقى متباهية بسمعتها الراقية وغناء ثروتها الزائل،إنهم يتركون معالم الفقرِ ليستمر وجودهم.فإن أزالوهُ عن الوجوذْ لن يبقى لهم قيمة في هذا الزمن، فإخضاع الفقراءُ يتطلب فقراً،وإخضاع الجوعى بأن يقلل طعامهمُ ،إنهم محقون عندما قالو "لكي يتبعك كلبُكَ إجعلـه يجوعْ
وفجأة أمسكه الرجلانْ الأخرقانْ،على مشهد غريبٍ يرقض فيه ڤولس كولكسيزْ،بذموع المرأة الحامل،ورجل العجوز الذي أثقله الزمان ضرباً وقهراً.يديه معاً وربطوه وقادوه نحو مركز المدينة كمدانٍ غريب قتل ألاف أرواح ذون أن يرف له جفنُ،وفجأة ناداه غريبْ بإسمه فإلتفتَ من بينهما فلم يجذ أحداً،فظن أنه يتوهم أحداً ما وهو يناذيهْ،فقال الرجل القصير" ماذا بكْ،هل ناداك مصيركَ يا هذا؟
صمت ڤولس وواصل السير معهماَ،فقد كان يؤمن أن لكل بداية نهاية،ولكل نهاية بداية جديدة،فحتى وإنْ فرَّ لأعوام ليعاقب في اللحظة التي يظن فيها أنه ناجٍ من مصيرهِ،وقد كانت تراوده فكرة أنه قد وقع لأنهم إكتشفو أنه من قتل عشرة أشخاص،وما مصيرهُ بعدئذٍ...وحينما وصلو وجدَ آلاف الناس مجتمعين حول منصة المسرحْ،إنهم يرغبون في مشاهدة الكوميدية الهزلية،فيتحرقون شوقاً للنظر الى تلك السخرية التي تنطلي على أرواحهم في كل مرةْ.وفجأة أدار الكل وجهه يرى ڤولس كولكسيزْ،إنه المعدوم اليوم ،إنه حق العدالة إجتماعية التي غابت طويلا عن أنظارناَ.ينظرون إليه بنظرة إحتقارْ،كأنهم يرونَ فيهم كشخص قاسٍ قد أعاشهم العذاب لقرونْ،وفجأة صرخ طفلْ "
هل هذا هو لص الملابس يا أبي؟
رد أحدهم: إنه هو يابني ،فإياك وأن تسرق شيئا،لكي لا تكون مثلهُ.

فإكتشف ڤولس أنه لن يعاقب لأنه قتلْ،بل لأنه سرقْ،وفجأة خلقت الكوميدية في عقلهِ،وسخرية عارمة،يضحك في العلن،والكل يرمقه بإستغراب ..
مصالح المرءِ تجعله يتغاضى عن رؤية الحقيقة،فلا يرى عقاباً إلا ما يصلح لهُ،فقد لا يهتم لعقاب يناله قاتل روحْ،وقد لا يفعل لشخص سرق له شيئاً...فالعقاب ذائما ما يصبو الى الشدائد عندما يتعلق الأمر بشخوصناَ،فالمتهم لينال العفو ينبغي عليه التحايل على القاضي،بمساعدة من صديقه المحامي،والضحية يميل أكثر لتحقيق العدالة المتفوقة،أن يعاقبَ الجاني مضاعفةً...
وفي داك الوقت صعد على المنصة لأول مرة في حياتهِ،إنه سيتوج بالموت اليوم،لأغرب عقابٍ قد تراه البشريةِ،فالصعود لمنصة أمام ألف بشري يتطلب جرأة راقصة ملاهي ليلية،وسكير تافهً،وهاهو ذا يرتجف خوفاً من نظرات الناسِ،فلا يهمه عقاب الذي قد يحاك لهْ،بقدر ما يرعبه نظراتهم القبيحة وعبوس الوجوه التي لا تحتملْ،فقال أحد الحكماء الأقزام :
اليوم سترون أكثر عقابٍ وأفضله من بين الكثيرينْ،سيكون هذا الغريبْ فأر تجربة لكم ولناَ،فالسرقة أخبث من القتلْ،فقد تقتل روحاً فتخيف الجميعْ،وتسرق مرة،فتصبح السرقة عادةً.
فأمسكو بڤولس كولكسيز إتنين من الحرس الاقوياء،فظن أنه سيشنق أو سيعدمَ كتلك الطرق القديمة في الموتِ،وإنتزاع الحق من أصحابِ،وفي تلك أتناء أمر أحد الحكماء رجلا بإحضار شيءٍ مهمْ لهذه أضحية،وعندما أتاه بكيسٍ يرنَّ،كأنه يحوي كراتاً من الحديدْ،فتفاجأ ڤولس وقال: أتريدون إعدامي رشقاً بكرات البولينغْ؟ أؤكد لكمٍ أنني لن أموت بها....هههههه.
فضحك أحد الحرس وقال: تمهل يا عزيزي،بالتأكيد اليوم ستعدمْ وسنحمل جثتك ونرميها في الواديِ لتأكلها الطيور الجارحة والأفاعي المسمومة،فأنا أشك أنها قد ترضى بتناول لحم عفن من هذا الجسد القبيحْ.
ضحك ڤولس بسخرية وقال: ألديكَ أولا ايها الحارسْ؟
رد الحارس بجدية : نعم لديَّ ولدانْ.
قال ڤولس: حسنا ..ما إسمهما..
رد الحارس : الاول إسمه راتڤول وتاني إسمه سيباستيان..
فضحك ڤولس وقال:

حسنا.... لنرمي راتقول اولا الى داك الواديِ لنرى هل توجد فيه طيور جارحة وأفاعي مسمومة كما قلتْ،وإن سمعتَ صراخه فلتتبعوني إليه عنذئذٍ.ماذا قلتَ يا عزيزي؟
غضب الحارس وقال:إنك مجنون وغبيْ،تساومني على مصيركْ،لا لن تخدعنيِ،طبعاً يوجد أفاعي فلست أول من سيرمى فيه،بل أنت أخر من يلقى فيه هذا العامْ،فقد ألقي فيه أخي ذيراذيف لأنه خانَ زوجته مع إبنتِ الجيرانْ.وقد يحالفني الحظ لملاقاتهِ هناك يوم اقع في فخّ أحد هؤلاء الشيوخ البائسون.

فضحك ڤولس وقال: يا لهؤلاء الحمقى،ألازالون يصدقون أن الشيوخ أنبل من أنجبته تلك الأرض العظيمة،إنهم مجرذ كاذبون تجرعو مرارة نبذهم فإبتدعو فكرة أنهم حكماءٌ جذاً...
فرد الحارس بإنزعاج: أصمتْ،فقد يسمعوك لنعاقب معاً..لقد إكتسبو إحترام الأكبرْ،بإحضارهم لأثمن ما وجد على وجه أرض،وقد قالو أن أنظف خلق الله من وهبهم إياهْ.
فرد ڤولس وهو معلق ينتظر الحارس ليخرج الغرض الذي طلب منه :ماذا وهبهم؟
رد الحارسْ: وهبهم لوحاتهم المرسومة وبفضله تعمرت هاته المدينة...
فضحك ڤولس وقال: ماهذه السخرية،يقدسون أحمقاً لأنه أعطاهم بضع لوحات مرسومة...
فجاء الحارس وفتح الكيسْ،وقدأخرج منه عشرون سكيناً،فإبتهج ڤولس وعاد يضحك كالمجنون..فيصرخ بقوله....:
أتريدون قتلي بالخناجر يا لكم من أناس طيبينً ...فلقد أيقن ڤولس أنه سيشقى من وراء تلك السكاكين الحادة،فكل شخص في تلك المدينة يشارك في تناول الأضحية،وفي إنزال العقابْ،إن لكل واحد منهم سكيناً يخصهُ،وهو الذي سيشق جسد ڤولس كولكسيزْ،فجاء الحكيم القزم ليبتدئ الإحتفال بسكينه الخاصْ،إنه أخطر سكين يراه ڤولس حتى الآن وهو ليس عادياً كباقي من يمسكه الآخرونْ،فتجهز الوغد لإرسال الشقاء في طرد مقصود لجثة تقف على بعد مترين معلقة على لا فتة تحمل كلمة " السارقْ".

وحينما أغمض ڤولس كولكسيز عينيه ليستقبل أول خنجر مسمومْ،جاءته البهجة في نكتة حمقآءَ تتلاعب بعقله الصغيرْ،تم فتح عيناهُ فإذا به يرى شيئا واقفًا أمامهُ،لا يمد للبشر بصلةٍ،فيقول له : أنا والدك يا ڤولس كولكسيز،أنا ڤاندوسكي يا عزيزي فلا تخفْ..

فإرتعب ڤولس كولكسيز،وراح يصرخ كالمجنون...يقول :

إنه هو...انه هو....أرجوكم أنقذوني سيقتلني أرجوكم...سينهي أشواطي اليومَ...فلا أود أن أموت على يدي هاته الحثالة..

فقد كان يظنها روح تويودور تلك التي أنهتها ناذينْ،فقد قتلته لأنه حاول قتلها لإنتزاع تروثها وهذا الجزء الخفي في الرسالة وجده في تلك الزاوية المسمات ب " سلة المهملات". و قد سجنتْ بعدها لعشرين سنة،فتغاضى ڤولس عن الباقي،فلم يعد يهتم لما قد يحدث للخونة...

وفجأة صرخ ،يا أبي.... يا ڤاندوسكي..

فتعجب الجميع لأمره لأول وهلة وقال عنه الجميع أنه جنَّ،وعندما سمعو إسم ڤاندوسكي تغير لون وجوههم،كأنهم سمعو إسم معذبهم .فجاء أحد الحكماء المزيفين أمام ڤولس وهومصدوم فقال لڤولس:

من تكونُ يا غريبْ،ولماذا ذكرت إسم مخلصنا؟

ضحك ڤولس وقال: ماذا مخلصكم؟ ڤاندوسكي إنه والدي وهو رسام مشهور..

فقال الرجل بإرتباك شديد لحارسه: أسرع فكَّ وتاقهُ ،إنه إبن المخلص الأبدي..إنه إبن ڤانذوسكي الرسام الأعجوبة.

حينئذ فكو وتاقه وحملوه فوق أكتافهم وراحو يهللون لهُ،فقال أحد الحكماء:

نحن آسفون يا ملكنا فقد ظنناك غريباً.

فإبتسم ڤولس محاولا إستمرارفي خلق الدور،وقال:

لا عليكم ،الخطأ وارِدْ ففي العالم الآخر قبل أن تحكمو عليَّ كشريرْ،تفقذو مذكرات أبي،فقد يكون أحد أخوتكم .

فرد أحد الحكماء: حاضر مولايْ.

فغضب ڤولس وأسرع في النزول من على أكتافهم،فقال:

سحقا لكمْ ...إنكم مجرد أتباع حمقى،تتبعون من يشبع عطشكم.

فإستغرب الكل وقال أحدهم: كيف لإنسان أن يكره العلاءَ وكل من في أرض سواءْ،إنه حقا إنسان متواضع وبسيطْ،فلا يريد أتباعا ولا تقديراً إنه فعلا كوالده المبجل ڤاندوسكي .
لم ينفك منظر الذي رآه ڤولس يخرج من ذاكرته إنه لا يؤمن بوجود الارواح بين البشر،فلأن لها عالماًغير هذا،فعندما رأى داك الشبح زعزع معتقداته،وأودى بها الى هوة الضياع حيت يقبع الغرباءْ،فلم يكن يرى في تهليل الناس شيئ،وفرحهمُ زاده فرحاً..
فقد تولد السعادة من ذات تقدِّمُ السعادةْ،فدائما ما نشعر بالفرح والسرور عندما يفرح أحدهم بسببناَ...
إن السعادة تتسكع كالعادة في منفاه،رغم نكرانه لما يحدثُ لهْ،فقد إعتاد رؤية البؤس يمشي على رجليهْ،فكيف له أن يصدق أن السعادة تطفو بجواره.
إنه يقف اليوم على نفس المنصة التي كاد يعْدم فيها البارحة رشقاً بالسكاكين الماكرةِ،إنه كمن ولد بفضل مذكرات أبيهْ،وخلاصة تاريخه العظيمْ،فقال أحد الحكماء الصعالكة :
إن أول من علمنا شيئا هو والدكَ ڤاندوسكي ،فوهبنا الثروة ورسم ملامح مدينتنا هاته،فوضع لنا قوانين تحكم سيرها ونصب على رأسها أناسا يصلحون للقيادة أجيالْ،ومن بين تلك القوانينْ " أن يعاقب من يفسد المجتمع قبل ذاك الذي يفسد نفسهُ،فالسكير قد تسكته بقنينة زجاجية من الكحول،ولكن اللص والحقود،لا يوجد ما يسكت تعطشهما،إنهما كالبئر الذي لايشبع.
فقال ڤولس مبتسماً: أحقاً،إذا والدي الذي حاول قتليّ؟
فظهر له طيف شبحي يقف بعيداً بين أشجار يراقبه من بعيدْ،فلا أحد غير ڤولس كولكسيز يستطيع رؤيتهُ..فقال:
يا حكيم،أترى داك شيء هناك؟
رد الحكيم وهو يتطلع الى حيت وجه ڤولس إصبعه: لا ..إنها فقك أشجار مدججة بالنباتات الخضراءْ،فلا ترتبك من المنظر،فقد كنا نظنها وحشاً مفترساً عندما تفترش الظلمة جسدها فينعكس ظلها في الأرض فليتم شمل ناسنا برعبها ويفترق بزوالها .
ولكن ڤولس لم يصدق الأمر،بل لزال مرعباً كيف ظهر له الطيف البارحة عندما كان معرضاً للإعدام مخبراً إياه أنه أبوه ڤاندوسكي...فقد كان فضوليا

جذاً،خصوصاً في إختراق المألوفْ،حياته البائسة جعلته يفتقر الى المغامرة يحن الى التشويق الى اللاإعتياذْ،واللامألوف.فأرغم نفسه على إتباع فضوله رغم الخوف الذي يوشك على إنقضاض على قلبه المفطورِ،عنذئذ ترك الجميع يحتفلون به وتتبع خطى الطيف،فصاح أحد الحكماء" لا تتبع خطى الأشباح فقد تعاني لعنتهمْ يا بني،....وإن ناذوك بإسمك فلا تلتفتْ،ولا حتى أن تجيب ،كي لا تهلك آنئذٍ..خد نصيحي ولا تفلتها..فقد هلك آلاف من قريتنا لأنهم سخرو من هاته النصيحة.

فلم يسمع ڤولس ما قاله الحكيم،وواصل السير نحو الغابة ،متتبعا ذاك الشبح المجنون،كأنه نُوّمَ مغناطيسياً الى أن وصل لتلك اغابة المدججة بأشجار المتنافرة ،فعجب لأمرها ولطريقة سيرها نحو إنتزاع نفسها من بين الحشدِ،فقال ڤولس في ذهول مرصع باللانتماء:

يبقى إنسان وحشا الى أن يذخل وسط جماعة،فتقل شراسة الوحش،وتتعزز وحشيتهُ.

فأدار وجهه عائداً الى تلك المدينة،فحينما لم يجذ أحدًا قال في محاولة لتناسي نفسه:

الويل لذاك الأحمق الذي دسَّ في أعماقي جثة تفوق جثتي في ضخامتها،إنه لفيروس لعين هذا الذي يجعلك تتوهم أنك فعلا حيٌّ يرزق وقد تكون مدفوناً في فجوة أرضك تنتظر الفرصة السانحة للمغاذرة.إنه حقا سلاح فتاكٌ هذا الفيروس الأخرق.

وفجأة سقطتْ حجرة كانت معلقة على الشجرة،فإلتفت في خو مزعج ينتظر من خوفه أن يتجسد في وحش بشع كالعادة،ويا لأسف لا يوجد أحد.وبعد أن إستراح من اللاوجود نفسه،إنبثق صوتٌ من خلف أشجار يناذيه " ڤولس كولكسيز".

فهذا المشهد المرعب لولاذة الصوت من العدم ،أقسى ما يثعب الإنسانْ،بعذما يألف السكون ولصمت ليأتيه صوت مزعج يهدد هدوءهم وسكينته.

فصرخ ڤولس من الخوف: من تكون..؟

فجاءه ضوء غريبٌ يطفو كأشباحْ،وقدَمَيْ ڤولس متبتتان في أرض بقوة مضاعفة،إنه الخوف الأكبر الذي لا تحتمله النفوس الضعيفةْ،فقال الشيء المضيء :

ألم تعرفني يا بني؟ هذا أنا أبوك ڤاندوسكي،ألم تقرأ ما خلفت لك من رسائل ومذكرات؟
رد ڤولس بخوف وهو يرتعش لهذا الموقف الذي لا يحسد عليهْ،فقد كان لا يؤمن بأشباح لحين ذاك الوقتْ،فأجابه ڤولس يتقتق في الكلام...:
أ.أ.أحقا هذا أنت يا أبي؟ لا أصدق،لربما هذا الورم الخبيث يحاول المزاح معي ،فأنا لا يلعَبُ معهُ...
ثم قال : ماذا.رسائلْ،لا لم تصلني بعدْ! لربما أخطأ ساعي البريدْ في توصيلهْ،أما مذكراتك فلم أعلم أين توجد..
فجأة تذكر إحدى الرسائل التي خبأها في جيبه،فأسرع لإخراجها ،إنها هيَ إحدى رسائل من والده ڤاندوسكي لإبنه الصغير الذي لا يحمل إسماً.فقال ڤولس : هاهي ذي معي...
فقال الضوء: أوهْ....يا ربي لقد أنجبتُ أحمقًا..
فإقترب الضوء من ڤولس يتحسس وجهه وڤولس يرتعش من الخوفْ،إنه على وشك أن يفقذ الوعيِ،فلم يجرب قط محادثة أشباحْ.
فقال ڤانذوسكي الشبح : لا يهم،فما كتب في الرسالة سأقوله لك الآن،أن تعيش ليس أن تفضل إنسانا على آخرْ،وليس أن تبدو جيذاً في نظر الآخرينْ،فلا أحد سيراكَ إن كنت خيّراً أوطيباً ،بل يرون فيك ماهو أسوء،لكيْ يجذو لأنفسهم بعض الأوصاف التي يخففون بها عن أرواحهم البائسة فيقولون " إنه سيءُ،فلن نكون أسوء منهُ...." فليست الحياة إلا سباقْ يربح فيه من يجيذ القيادة فلا يهم نوع السيارة بقدر ما يهم أن أجذك قد تخطيتَ خطَّ النهاية..
فرد ڤولس متأثراً وعيناه تدمعان : أبي هذا أنت حقاً ،لقد إشتقت إليكَ والى والدتيَ،لقد عانيتُ طويلا أن اكتشفت الحقيقة،وقد كانت اقبح حقيقة عشتها في حياتي ،لقد إشتقت لأرى وجهكَ وأتأمل ملامحكَ،فكم هو مثعب أن يعيش المرءُ ذون أبْ،إنه كمن يظل يحمل الجبال الى الجبالْ،فيعيدها الى حيثُ كانتْ حاملا في نفسه ثعب السنينْ وحرقة قرُونْ.
فرد ڤاندوسكي: أحببت أن أراك كما رأيتك الآن،وها انت صرت رجلاً يعتمد عليه،فأنا فخور بكْ لما تحمله في أعماقك من خير ونبلْ،فلست جئتك لأهنأك ولا حتى لأسكت شوق الأب في جسد اليتيمْ،ولكني جئتك كمرسولُ كصاحب حقِّ أُنتُزِع حقهُ.فقد كنتُ مخطئا في السبلِ رغم أن عقلك لم يعلم أنك في الطريقِ

الخطأ،فقتلك لأناس يستعبدون بعضهم ليس مبرراً لحقدك تجاه الضعفاء وأولائك الذي يكالبون بالعون رغم ما يمتلكونه من قوة.
فرد ڤولس والذموع في عينيه: ألم تأتي لأنك مشتاق لرؤيتي إذن؟
رد ڤاندوسكي: طبعاً ،فأي هذا قد يشتاق لرؤية إبنه الذي أضاعه لسنين،فتعال إليَّ يا عزيزي لأعانقك ،فقد شق الشوق قلبي..
فأسرع ڤولس كلكسيز نحو أبيه معانقاً إياه يتلمس وجهه والذموع لا تتوقف من الهطول على خديهِ،فقد أزيلتْ تلك الهالة بيضاء فبان جسد ڤاندوسكي،فقد كان يحتاج لمثل هذا الحضن ولو كان الشخص مجرذ ضوء خافتْ فأكثر المرضى اليوم لا يحتاجون لعلاجٍ بل لحضْنٍ يستشعرون فيه رطوبة أيام وحِنية الخوالي،فيذهب شقاءهم وينتزع من قلوبهم خوف الزمان وشقاء تلك أيامْ.
وفجأة سمع ڤولس بعض الكركراتْ،وهو لا يزال معانقاً أبيهْ،فصرخ قائلا: أمعانقة الأب محضورةْ هنا،أهي نكتة أم تهريج ترونه في أنفسكمْ.
وفي تلك اللحظة وقف جمهور من الناسْ والحكماء أيضاً،يشاهدون هذا المشهد العظيم،وفجأة قال أحد الحكماء :
لقد جنَّ المسكينْ..
فسمعه ڤولس كولكسيز ،فإلتفت إليه يجيبه:
أنت الأحمق،فلستُ أبغي اليوم غير هاته اللحظة التي لاتعوض.
فإلتفت ليرى وجه أبيه لآخر مرة،فإنصدم لما وجدْ،إنه يعانق شجرة مزقها الزمان وأسقط كل أوراقها،فقد أصيب ڤولس برهاب قاتلْ،وبخيبة أمل عظيمة،فقد كان يحسب أنه يعانق أباه ڤاندوسكي ،ولكنه في الحقيقة كان يعانق شجرة،أليس هذا محرجاً لشخص قاسٍ مثلهْ،إنه حقا الشوق المعذب الذي لا يمكن إسكاته بفضل شبحْ،فعندما شعر بالحرج على إثر سخرية أولائك الناس عليه،وما رأوه من خدعة تلاعبة ذاكرته المريضة بنفسيته الضائعة فأنجبت مريضاً مستلقي على جثتهِ،فحمل نفسه بين كفيه وفرَّ هارباً من نظرة العالمِ لهُ،بسرعة المتهور وروح مثعبة،ترسم ملامحَ الخيباثِ على حائط الأمل.
إن مايرعبني ليس نظرة الناس القبيحة ليْ،بل نظرة نفسي لنفسها،فلا هي قادرة على تركها ولا نسيان ألمها،إنه حقاً نفس العذاب الذي لا أأمل لإنسان ملاقاتهُ.
فلو تركه الناس يفعل ما يشاء ولو عن غير قصد،لواصل فعل للأمألوف لوقت يألف الواقع فيستعيد نفسه منه،ولكن الواقعِ بكل إزعاجه لم ينجب لنا هكذا

فصيلة،بقدر ما أنجب أولائك الكوميديون الفاشلون أصحاب الذوق المريع في إضحاك الحمقى ولو عن طريق إفساد روحٍ طيبةٍ،فأكثر الناس اليوم مستعدون لنيل المديح والتقدير ولو على حساب تلك الأرواح المغذورة.
وهاهو ذا يجذ نفسه وسط الغابة،فتعجب تم قال :
أهذه نفس الغابة التي كنتُ فيها أم وهم آخر أسرع صديقي الورم في تجميله.
إنه ترك الأمر لقدميه فأي مكان يقصده لن يكون إلا على خطاهما،فالنفس دائما تقود للأفضل ،وناذراً ما تخطئ التصويبْ.
فتعثر في غصن هش وسقط في حفرة صغيرة مقلوب الجسدْ،فصاح يضحك كالمجنون بدل لأن يبكي على حظه العاثرْ،فإنتزع نفسه من تلك الثغرة في أرض وقال:
المهم أن مكانا ما في هذا العالم قد أحبنا بصدق ،إنه كل حفرة في هذه الأرض.
وفي تلك اللحظة توقف ڤولس عن الركض،وعن التحرك تمام،وجلس على الأرضْ،كأنه يمتنع عن المزيد من التحرك،إنه يعاند الطبيعة،فقد أتعبه الجري،والمقاومة،فقال :
إن العزلة مرقص للجثة التي تحمل في أعماقها ألف سكين،فإن أضحيت فيها صالحاً ستفسدكَ،وإن دخلتها مجروحاً مغبوناً لتصلحك،فتلمم شتاتكْ،فأخطر من أتعستهم العزلة أولائك الذين يردونها لتباهي وليس لتهدئة الحروب التي قد تشغل أعماقهم،لدى لا تحلم بأن تقدم لك العزلة خيراً وأنتَ غريب،فهي تعرف لمن تقدم المساعدة ومن تنتزعها منه.
فصاح ڤولس كولكسيز رافعا أنفه الى أشجار يقول :
إني تعيس يا اللهْ،ألا يوجد في هذا العالم من ينتشينا من كل هذا العذابْ.
فرد صوت : لا لا يوجد.
فضحك ڤولس وقال : هههه أعلم أنه لا يوجد أحدْ،فقد كنت أمزح مع القدر ليس إلا..
فالبشر يفضلون إنسان الكوميدي الذي قد يملأ حياتهم حماقاتْ،وتفاهة،ويتحاشون من يخبرهم بالحقيقة،صاحب الجذية المفرطْ.إن هؤلاء أصحاب الشخوص البائسة ينتقون ما يصلح لهمْ ولكن الحقيقة أنهم دائما يفضلون أسوء الناس وأخبثهم،فكثير ما تنتهي العلاقات بعد شهر من التلاعبات الصبيانية.

فقال ڤولس : إياك وأن تفرط في الحب مهما كان قلبك هشاً،فستلقى من الناس من يفطره ويكسره فينتشر شتاته حولك بدعوى أنك الفاعلْ،المجرم الحقيقي لهاته المذبحة العظيمة.
ولا تعطي لإحداهن الفرصة لتنالكْ،فنيل المرء لبعضه يعد مخاطرة،فقد يباع صاحبها في أول مزاد علني.فالأنثى دائما تسعى للفضل،بل لتعجب الجميع فلن تكتفي بشخص واحدْ يستتني على جمالها المزيف،إن فتيات اليوم هن شتائل مرصعة بالنفاق والمكرْ،فمثاليتهن المزيفة دائما تجدها تصفهن بالبريئات والجميلات وأخلاقيات ولو صححت النظر فيهن لرأيت ما قد يجعلك تهجرهن،إنهن شياطين مختبئة تحت حجاب البراءة والخير والنوايا الحسنة.
فلا تتزوج إلا من لا تملك ماضياً،فالماضي يحدد المستقبلْ،فالأنثى الفاسدة أبدا لن تصلح لتنشئة جيل صالحْ،بقدر ما تنجب من هم في نفس سلالتها القدرة.
وفجأة صرخ صوت مجدداً يقول: هل جننت يا ولد ،أراك تعطي نصائح للشجر والحجر بدل المرءْ.
فقال ڤولس: إن الصخر يسمع،وحتى الشجر يفعل،ولكن الإنسان أصمُّ لا يفعلْ سوى النواح على نذمه.
وفجأة خرج من بين وكومة من أشجار الصغيرة صبي في العاشرة من عمرهْ،يشبه الى حد كبير ڤولس كولكسيز،فقال ڤولس:
هل أعرفك؟ إنك تشبهني يا بني ؟
رد الفتى: طبعاً تعرفني فأنا ...ثم صمت لم يكمل الحديثْ.
فقال ڤولس: من تكونْ،وأين عائلتك؟ هل تعيش لوحدك هنا في هاته الغابة الموحشة .
رد الصبي: نعم أعيش وحدي،وماذا عنكْ؟
ضحك ڤولس وقال: لا.. أعيش مع الشجر والحجر،فلست وحدي كما تظن..
فقال الصبي : يعتقد إنسان دوما أنه يصاحب الكثيرين وقد لا يحق للوحدة به مادام يعيش بين آلاف الأجساد المنهارةْ،ولكنه في الحقيقة يعيش وحيداً لكن إعتراف بوحدته ليس سهلاً،فقد يحرج لأنه قد يعترف بوحدته وعزلتهْ،لدى يظل يمدح هذا وذاك ليكتسب صداقاتْ خوفاً من البقاء وحيداً فتهجم عليه العزلة فتشوه جسده الأنثوي.فهل علمت من أكون يا ...
رد ڤولس: الحق معك،ولكني لهاته اللحظة أجهل من تكون.

فرد الصبي: لقد قالو عنك غبيٍ ولم أصدقهم،فقالو أحمق فتغاضيتُ عنهم،تم قالو أشياء لا أظنها فيَّ حتىَ،لدى سأساعدك في حل هذا اللغز بلغز آخر،فاستمع جيداً..أنا حيت تقبل نهايتك وبدايتك ،أنا من تُركَ وحيدًا فعاشَ ملاكاً،أنا قبس من النور حيت لا جسد بدونيُ،أنا أنْتَ ولوخيرتَ غير لما كنتُ أنتَ،فأنا مصدر طيبتكَ ومنبع شركْ،وأنا من وجدتهُ قانطاً فقنطتَ بجانبهُ،وأنا نفسه ذاك الذي جعلك تعتزل لتقوي فضيلتكَ وإرادتك،فكلاهما فيَّ وفيكْ،فمن قد أكون في رأيك؟
رد ڤولس كالعادة بسخرية : أوهْ،لغز كبير وعقلي صغيرْ،ألستَ أصغر من هذا اللغز يا عزيزي؟ فقد تكون ضميري ربماَ،وقد تكون ظليِ ومخاوفي التي لطالما هربت منهاَ.
فقال الصبي:مرضُكَ لا علاجَ لهُ،فالغباء هو المرضْ،فالشيء الجيذ فيك هو إعترافْ،فمهما كان قاسياً تفضح نفسك بكل بسالةْ .
من القوة أن يُفصح المرءُ بمآسيه ،إنه فضيع حقاً في النيل منها بقولها في وجه الجميع،إنه أخطر من قد يواجهه المرءُ لأن الحرج في كيانه غائبُ،لا معنى لهُ.
فرد ڤولس: من تكونُ إختصر الكلام أرجوك لديَّ نفسٌ أريد جعلها تتسلق داك الجرف الصخري !
فرد الصبي: أنا هو أنتَ،أنا ڤولس كولكسيز.
فضحك ڤولس بسخرية تانية،وقال: هههه يا حبيبي،جاءت نفسي خصيصاً لتعذبي هذا اليومْ،فلم أكن أستبعد أن تأتي مع ضميري وشيطان فيَ،فهذا الورم القبيح لم يترك شيئا إلا وأحضره إليَّ.
فتقدم ڤولس نحو نفسهْ،يريد ملامستها،فتلاشتْ أنذاك حتى قبل أن يضع إصبعه الصغير على كتفهاَ،فكعادة الورم يحاول المزاح،ولكن روح ڤولس كولكسيز الحادة لا تستحمل الكوميدية المجحفة للأرواحْ،فصرخ قائلا:
حتى أنتٍ تركتني،إنهم قد يسخرون مني عندما أخبرهم أن نفسي تركتني،فمن قد أكون بعدها،لقد غاذرني ڤولس كولكسيز،لم يبقى أحدْ،ولن أنتظر أحدْ ليبقى، فليذهب الكل الى الجحيم حيت يقبع السافلون ،إن من السافل حقاً أن يتركك الجميع لأنك جيدٌ في قول الصدقْ،فدائما ما يميلون لذاك الغذار المحتال،الذي يكذب عليهم فيوقعهم في شباكه الباليةْ،إنهم أناس مرضى الذين يفضلون من يتحايل ويلون سماءهم على شخص يخبرهم الحقيقةْ،فهؤلاء الحقيرون ليسو إلا نفس تلك الأرواح الغريبة التي لن تلقى إلا نفس مصير الكوميديين الذين إستنفذو

سخريتهم ،فإختبأو في خفيْ الثمتيل ،محاولين زيادة التشويقْ في عرض ممل بائس.
فَهَّمَّ بالرحيلْ من هناك محاولا تسلق جرفٍ صخريْ،فقال بمنتهى القوة:
ليسَ عليك يا ڤولس تسلق شجرة كقرد بائس بل تسلق هذا الجرف الوعرْ،فإن نجوت منهُ نلْتَ نفسك،وإن لم تنجو فالهوة ستنالكَ.
وراح يهرول الى الجرف الذي يقف على قلب الغابة،فقد كانت أول مهمة لنفسه ولهُ،ليرى ما اذا كانت نفسه فعل تستحق نفسها..وها هو ذا الأبله يتسلق الجرف العالي مخاطراً ومغامراً لا يهمه شيء غير نيل نفسِهِ،فهو أعلم بمن قد يفقذ نفسه فيعود غريباً عليهاً،إنه يفشل في الصعود ولكن كفاحه وقوة إرادته تجعله يستمر فيزيد صعوده صعوداً،وإن عاد للهوة يستنفظ الغبار فينهض بهمة الفخور وشغف المقهور في نيل الشرفِ،وها هوذا يحاول للمرة العاشرة ولكنه يفشل في التسلقْ،وفجأة سمع كركرات نفسها لأهل المدينة،فإلتفت ليرى من قد يكونْ ،إنهم نفسه أولائك الأوغاذ الذين سخرو منه عندما عانق عزيزته الشجرة،فيقولون " هاهو الأبله اليوم يتسلق جرفاً،والبارحة يعانق شجرة والغدْ قد نلقاه يقبلُ كلباً...وعادو يضحكون على منظرهِ.
فلا تهتم إنْ سخروُ منكَ،فليس لديهم ما يشغلهم عنكَ،فأولائك هم السيئون الذين لم يتعلمو من الحياة سوى التنمر والسخرية على من هم أفضل منهم.إنهم العاجزون عن إستقرار النفسي والهدوء العقلي،وللأسف هم المرضى الحقيقيون .
فتركوه يحاول التسلقْ،وهاته الصفة الغريبة في ڤولس كولكسيز ،لم تكن حادة بل أصبحت أقوى بفضل داك الورم المتذاكي،فقالو عنه مجنونْ ،وتركوه يقاوم سقوطه المحتملْ،وفي آخر وقفة له قبيل سقوطه من الثعب ،تسلق بهمة وعزمْ،فإزداد طيشهُ،لما قد سمعه من أولائك الحمقى،وإزدادت رغبته في إظهار أنهم مخطئون في تلقيبه بالمجنونْ،وهاهوذا صعد الى السماء حيت تقبع كل الأشياء الجميلةْ،فيرجع الفضل لثرثرة أولائك العاجزينْ.
فلا تأخد كلام الناس على محمل الجذ،لكي لا تعاني قسوتهم،وخدهُ كحافز يجبرك على تسلق الوديانْ،خد من الكلام الصالحْ وأترك الطالحْ.
لقد نجح ڤولس في تسلق السفح بكل جذارة ،وقد نال ما لم ينلهُ أحدْ،إن النجاح الأفضل ليس تسلق الجبل بل في الوصول لأعلى قممهُ،فهناك تكمن كل نفسٍ،إنه أغلى الكنوز التي يجذها المرءُ عندما يبذل ما يستطيع لنيلها ..

فقال ڤولس: على المرئ ألا يعود من حيت تسلقْ،كي لا يستعيد نفس روحه البائسْ التي تخلص منها عندما عزم على تسلق الجبل .
وهو عائد من حيت إنطلق فقال : لا أحد يحب العزلة،إنه كالثعبان المفترس الذي يرعب الفئران التي تعودت على ان تكون وجبة دسمة لضفدع ماكر.
فتذكر ما قاله أبوه ڤاندوسكي وشك في محتوى الرسالة فأخدها من جيبه كالعادة وراح يقرأها تقول:
إلى بني "
عندما ستمسك هاته الرسالة لن أكون على قيد الحياة،فلدي أعداء يتمنون موتي ،وقد يهجمون في أي لحظة،سيكون عمرك مناسبا لتعلم الحقيقة،وأنه ليس في هذا العالم إنسان لا يخطئ ولكن السيء أن تتلاقى بأناس بشعو المواصفات يَدكُّونها في أعماقك فيظهرون كملائكة،إنني اليوم أخاطبك بلهجة الأب ،رجل لرجلْ،فلست أعلم أين قد تكون؟وما إسم الذي لقب لكَ لتكونهُ،فإستمر في كوْنِهِ،فالإنسان ذون هوية خطيئة.وأنت خطيئتي أنا وأمك سيرڤاي ،فلم أكن أدرك أن لي طفلا إلا بعذما وجدتها ترضعكَ خلف البابْ،في اليوم الذي تصالحنا فيهْ،فاليوم اكتب لكَ هذا المرسول لأنني لن أكون معك على الدوام،فقد لا تجذ حنان الأب بعد اليومْ،ولكن إياك وتحمل الحظ السيءِ،أتركه وغاذر حيت لا تجذ أحداً ،فالبشر يسيئون لبعضهم عندما يستشعر أحدهم أنه أفضل من آخر،ولك مني أطيب الأمنياتْ،ولآخر كلمة،ستجذ في قصري كتاباً أنا صاحبه قد دونتُ فيه آلاف الحكم والمعاني التي إستقيتها في حياتي،لن تكون متفائلة بل هي واقعية تماماً،ستجبرك على السير عكسها لتنال ودَّ نفسك.
تمنيتُ لو إحتضنتكَ أكثر ولكنَّ الزمن الذي أوجدنا فيه،ليس بزمننا،فالناس فيه أعباء على بعضهم،وأعداء لأنفسهم... أباك ڤاندوسكي..

وعندما قرأ الرسالة أتاه شعور غريب،أهونفسه الشبح الذي رآه من قبل أم مجرد تأثير داك الورم الخبيثْ.فأخد الأمر بحمل الجد وراح لقصر أبيه ڤاندوسكي ،حيت تقبع مذكراتهُ وكل ما قد يحتويه من لوحاتْ،ولكنه عندما وقف أمامه لم يجذهُ بل تم تنقيله الى مكان غير داك، فأهَدوُ القصر وتركو مكانه فارغاً ليصير مقبرة،وعندما جهل مكانه،سأل أحد المارة فأدله عن مكانه،فلم يبقى من القصر إلا منزل صغير وهو نفسه المكان الذي قتل فيه أبواه،وها هو يستذرج نفسه

بمهل ورعب يهزها الى عرش الخوف حيت تقبع الصدمات الموجعة،إنه يتخوف من مصيره الذي سيرسم له بعدما يتقيد بتلك المذكراتْ،فليس ما يخيفه ما تحمله من حكم حول الحياة بل أن يلقى نفس مصير أبيهْ،منطمراً تحت أثربة بيته،حيت يدعس كل من جاء ليلقى مسخرة على جثته الضائعة.

فدخل المنزل الصغير من الباب الذي وجده مفتوحاً،وكل المنزل في حالة يرثى لها،فلا يوجد سرير ولا أريكاتْ ولا كراسيْ،وكل مافيه سُرقْ،وقد شكَّ أنه قد يجذ المذكراتْ فواصل البحث عنها في الصالة وفي البيت الخاص بأبويه فلم يجذها فقال في نفسه:

لو كنت أنا ابي،فأين قد أخبئ تلك المذكراتْ؟

فقد أخبئها في السقف وربما في أرضية المنزل،فراح يقلب أرضيته ،فلم يجذها والآن حان دور السقفْ،فقد وجد سلالم متروكة لم يستطع أحدهم حملها لتقلها لدى لم تسرق أبداً،وبدأ يسقط السقف بقطعة حديدية يضربه بها،وها هو أخيراً وجدها وقد وصل لمنتصف الطريق ،معلقة في الثرية ملفوفة في قماش قديمْ،فحملها بعطف ورقة ووضعها أمامهُ،وبدأ يكشف عنها فوجدها قديمة لم تستحمل ثعب أيام وغباره.فحملها وخرج مسرعاً كي لا يقع بين يديْ من أهدو أباه يوما فَيهُدوه أيضا.

ثم إتجه الى حديقته المفضلة بجانب المقبرة القديمة حيت يقبع والداه،وبدأ يقرأ المذكراتْ يقول فيها ڤاندوسكي :

الى نفس الإنسان الذي قد يرسو على نفس الشاطئ الذي رسوتُ عليهْ ،والذي جاء بنفس الموجة التي أتيت بها الى هذا العالمْ.

وقد لاحظ ڤولس أن اباه لم يترك شيئا لم يكتبه،لربما كان شغوفاً بالكتابة والرسمْ معاً،فقد كتب أشعاراً عن الأصدقاءْ يقول في إحداها.

" لا يعيش من يفضل بين أصدقاءه بل الذي يصادق بروح عادلة.".

" عنذ مصاحبة الآخرين ،إياك وأن تنسى نفسك،فأغلب الأصدقاء يبدون كعبيذ أمام أصدقاءهم،فلا هم ينالون إرادة ولا هي من بين صفاتهم ".

وغير ما قيل ،حتى أنه قال عن انساء شيئا وكتب تحتها ،سيرڤاي ليست إمْرأة وإنما هي مِرآةٌ قد أظهرت مافي روحي أفضل من أي شخص آخر"

" إن الزواج بفتاة تنتمي لجيل يرقضُ على تقدير المعجبينْ،كالزواج من ممثلة ترسم مسارها الفني بأكثر من شخصية،وكل واحدة تجذُ أفضل الرجال حيت تقبع غريزة إنجذابْ ،إنه كأن تملكَ شيئاً يمتلكه الكلْ."
وفي لحظة تانية يقول فيها ڤاندوسكي :
لا تنتبه لما قد يبدو جميلا في حضوركَ،فالخفيِ الذي يقطن وراء المشهد هو من يستحق إنتباه أكثر".
" لا تعش على وقع أنثاكَ،فالزمان لا يرحم العاجزينْ،كنٍ رجلا أوترك الرجولة لمن يستحقها،فأوحش الطباع تستسلم لأنثاها فتعود ككلب يسيل لعابه كلما ألقينا إليهِ بضعَ قطع من البسكويتْ"
فقد كان ڤاندوسكي يخاطب العقل الجمعي لا يستتني أحداً ،فكما أن له أشعاراً للنساء فله ايضا عن الرجال يقول فيها :
" إن إستغباء المرءِ ليس بفضيلةٍ،فالغبي يعامل على قدر غباءه والذكي يحسن لذكاءهِ، فالإنسان يغذو حقيراً عند إستغباءْ،ليس لأنهم يستهين بالآخرين ولكن نواياه تكون مكشوفة وأشد بؤساً من بائعة الخردةْ.".
" إن الرجولة لصوالح الناس قانطة في العلاء ،وللأشباه الرجال تتخبط بين أقدامهم النساَءْ".
" إن عتَادُ المرْءُ هو إرادتهُ وكبرياءهُ،فمن أضاعها،لن يكون غيرذاك القرد الذي يلحق بالسرْبِ لينال موزة يتنازع عليها الكلْ ".
" أن الرجولة سقف من الكبرياءْ،أصحابه قليلون،وأعداءه كثيرون ،فالأغلب اليوم فقذو ما يذافعون به عن أنفسهم لتقول أشباه الرجال فيحمل سكيناً،وأنه ليس برجل فيخبر مسكيناً.
" لا تؤمن إلا بمن يعْليك ويجعلك تشقى لتبلغْ،فأكثر المحبطين اليوم إتخذو الطرق السهلة فعادو بنجاح مزيف،فمن شقوْ وعانوْ قساوة الطرقات، لقـو ما أرادوُ وبلغو ما كانو له يصبونْ".
وآلاف الحكم والمعاني الموصدة ولكن ڤولس إهتم بإتنتين،وقد كانتا موضوعتين في آخر صفحات المذكرة مكتوبٌ عليها:
الى فتاي! إن ڤاندوسكي كان يعلم أن إبنه سيعود الى مذكراته ليفتش عنه بينها ليلقى نفسهُ بين أحضان ما ألفه والده.تقول العبارات :
ليس المرءُ بما أحَبَّ أَن يَكون،ولكن بما هو قادر على أن يكونْ"

" لا تخف من البداياتْ،فالزمن ماضيٌ ولا من البشر،فالقدر قاضيٌ،ولا تبتئس لجرح فالجراحُ معلمٌ،ترسو على قمة قد تبلغ من وراءها ما تتمناهْ،ولا تفرط في التشاؤم ولا حتى في التفاؤل،فالأول حاجزٌ والتاني مرضٌ عقيمْ.عشْ كأنك الوحيدْ،ومتْ وكأن الجميع ماتوُ.خذها أو أتركها فالنصح في زمننا نكرانْ،وفي أجساد بعضهم نكثٌ و سخريةٌ وركامْ.

وللعجب أن المذكرات لم تكن مملوءة على الآخر،بل ترك جزءٌ منها فارغاً،مكتوب في آخر صفحة لڤاندوسكي :

إن الآتي سيعيش حياتي،فيكمل عيشي كأنني لم أمتْ،سيكمل ملأ هذا الفراغ الفضيع الذي لا يحتمل في قلب الحياة،فأنا أوقن أنه أنتَ.

فصدق ڤولس هذا القول ووعد نفسه بأن يملأ باقي الصفحات الفارغة مهما كان الثمنْ،فأخذ قلما وكتبْ في أعلى صفحة بيضاء إسمه (من إبن ڤولس الى ڤاندوسكي الأب) ،وراح يخط المعاني فيها ،فكتب :

لا تعاني لشيء تافه ،لا تجني من وراءه شيئا،بل إشقى وإتعب على أمر تراه يحمل الكثير".

" ليس الفتاة آخر طموح لذكر،فهاته أشكال البليذة من الطموحات لا ترقى حتى لنأخدها كتحلية بعد الفطور".

وفجأة طرق الباب وڤولس ماسك القلم يحاول زرع المزيد.منالشوك في تلك المذكراتْ،وعندما سمع الطرقات خاف وإختبأ خلف الأريكة،إنه يظن أن السارقون قد عادو لإكمال عملهم في تحويل تلك أشياء،وقد دخل الشخص وبقي لربع ساعة يتفحص المكان وڤولس متختبئ كالفأر داخل الأريكة،فهز رأسه مفضلا رؤية وجه الغريبْ ،فإنصدم عندما رآه،إنه ناذينْ تنقب عن شيء ما َ،وقد خرجت من السجن،فنط في وجهها كضفدع قد تركته بحيرته،عندما رأته صرخت بهلع الإنسان الذي يرى وحشاً في منامه، فأسمكت بيديه تتمسكن وتقول :

هل هذا أنتَ يا حبيبي كم إشتقت اليكَ!هل انت بخير؟

رد ڤولس :الحمد لله ،انا بخير،هل فررتي من السجن أم اطلق سراحك؟

ردت ناذين :لا يهم ،الهم أني خرجتْ...

فقال ڤولس في عجب : لقد قيل لي أنكِ متتيْ،في اول الأمر وفي التاني دخلتي السجن ...،أحقا هذا هو العالم الذي نعيشه سوياً ،أم أن واحداً منا يتوهم والآخر سكيرْ.
فردت ناذين : لم أمت ولكن كدتُ أن أفعلْ،والسجن حقيقة ،فقد قتلت تويودور الخائن.
مهلا...مهلا..طبعا لقد قرأت رسالتي ..تلك التي ارسلتها قبل تسليم نفسي لشرطة.
رد ڤولس : نعم قرأتها وماذا بعد..
ابتسمت ناذين بخبث وقالت: انك تحبني أيها الأحمق،لاتزال تحبني اليس كذلك.
رد ڤولس بلامبالاة: أبداً فقد إنتهت قصتك عندما بدوتي لي كخطيئة.
فالحب الذي نجني منه التعاسة،ليس حباً بل مجرذ ديلِ حصانْ،نسعى لنركبهُ فيمنعنا،ويضربنا بديله الحادْ.
ناذين: احقا ما تقول..حسناا.. سمعتُ انك أغرمتَ بإحداهن فتركتك في الطريق وعدت لوحدكْ،أليس الجذير بالحب من يبذل الكره.
فرد ڤولس : نعم ،حبيبتي إزوليسْ،مهلا ...من أخبركِ بكل هذا ؟
ناذين : أخبرني صديقك البغيض تويودور.فقد قال أنك وجدت من تنفت فيها بؤسك وشقاءكَ.
ڤولس : ليست إلا العلاج لكل داك البؤس الذي خلفته بمكرك وخيانتكْ.إنها حبيبتي إزوليسْ ليست فتاة بل ملاكاً مخفيا في جسد إنسان،إنها أول فتاة تسقطني بفضيلتها الحقيقية ،لا بمكرها وجمالها المزيفْ.
ناذين : ألزلت تصدق أن للفتيات أخلاقاً وأنهن نبيلات بعذما قاسية كل تلك المآسي بفضل ثقتك بهن..إنك فعلا أحمق بجذار الأستاذ.
رد ڤولس: ليس كل النساء سواءْ،فكما في الرجال صوالح النساء بواعثُ وكوارثُ.
قد يشفى الإنسان بحُضنِ من يُحبهُ،وقد يشقى بقلب كارهٍ يمقته ويستميتهُ .
ناذين: أمثالك لايتعلمون من تجاربهم،ولو قاسو ألاف السنين سيبقون يتحملون أسوء الناس،ولهذا أعجبتني وقد أحببتك،فالأن سأعيش لك،لك وحدكَ،ولن يتدخل فينا أحد يا عزيزي.

رد ڤولس: لست لأحد،أنا لنفسي،ولن أحب غير إزوليسْ،هي من تستحق كل شعور قد أبذله لأحدْ،لأنها تعلم ما معنى أن يحب المرءُ.
فضحكت ناذين وقالت: يعني أنك لن تحبني ؟ وستذهب عنذ تلك العقيمة إزوليسْ،حسنا لو كنت رجلا إذهب اليها.
رد ڤولس بغضب: اياك وشتم حبيبتي فحتى لو كنا متخاصمين فلسنا نكره بعضنا كما يحدث معك الآنْ،طبعا سأغاذر إليها.
ناذين: ألم تسمع بموت تويودور ؟ وذاك سيكون مصير إزوليس لو بقيت تمدحها أماميْ،ولو لم ترغب في حبي،لن تكون بخير !
رد ڤولس بسخرية : أحقاً ما تقولين ،تهددينني بحبيبتي إزوليس،لست لليوم تعرفين من أكونْ،فلست من أحبكِ يوماً فأنا الآن من كرهك يوما.وإن مستْ إزوليس ولو نبشة من شعرك لأقطعنك شِقَفاً وأرميك حيثُ رميتُ تلك الجثة القبيحة.
ردت ناذين :أبدا لن تفعل،فلازلت تحبني إنني أشعر بدلك.
وقد بدى ڤولس كأنه في طريقه للوقوع بين يديها،حتى أنه شعر بأنه بدأ يضعف أمام حبها القديمْ،فحمل مذكرات أبيه وإنصرف على صراخها.. تطالبه بالعودة،ولكنه مجبرٌ على الوفاء لحبه الجديد ولو تطلب منه الامر أن يقاسي مرارة الفراق وقسوة إرهاقِ،فالحب الأول أنقى ما تعترف به الذاتْ ،ولحب التاني يكون ثانويا عنذ غياب الأول،فإن عاد القديم وإلتقى بالجديد مات صاحبه قهراً،وهذا ما وقع لڤولس كولكسيز،الذي ليزال يحن لحب ناذين التي خانته ويتخوف من طعن إزوليس عنذ تركه لها.
وبعد إبتعاده مسافة كيلومتر على الاقل تذكر قول ناذين أنها لن تعفو عن إزوليس،وقد شك أنها ستحاول قتلهاَ،لدى عاد بسرعة ليوقفها،ولكن القطار لم يتوقف لحمل الركابْ،بل مر مسرعاً لا يحمل غير الهواءِ،وفجأة رآها تتمختر في مشيتها لربما هي عائدة الى حيت تقيمْ،فإتبعها كجاسوس صغيرْ بجسد شاب في الخامس والعشرين من العمرِ،وحينئذ توجهت الى حديقة حيت يعشش الناس بنزهاتِ،فصعق بما رآى،إنها تتحدث الى إزوليسْ،فإنقلب قلبه على نفسه وشعر بالخوف الشديدْ عليها،فقد كانت فكرة واحدة تزعجه وهي أن ناذين تريد قتل إزوليس ولو لم ينقذها حينئذ لن يبقى له أحد في هذا العالمْ.

فكيف لا تخاف عندما يبقى لك في هذا العالم شخص واحد يبذل لك الحبْ.فقد تتمسك به بأنيابك كلها وأضافرك حتىَ...
فإرتمى بينهما ماسكا يدي إزوليس يجرها بعيداً عن ناذين..فتصرخ إزوليس ساحبة يدها من يديه تقول:
من أنتَ.....هل أنتَ مجنونْ؟
فأدار ڤولس وجهه اليهاَ،فلمعت عيناه شوقاً وحنيناً.فنظرة منه تكفي لتجيب على كل أسئلة.
فقالت إزوليس: هذا أن إذنْ ،لما تبعتني الى هنا؟
فرد ڤولس بتخوف: أنا هنا لأجلك يا حبيبتي إزوليسْ،فلست أملك غيركِ..
فردت إزوليس : لم تفكر فيَّا عندما حاولت قتْلَ والديِ،واليوم جئت تتنحب على حبك الضائع يا ڤولس كولكسيز.
ڤولس: لست اتنحب ولكن جئتك كمنقذ،أنا نجاتك من هذا العالمْ،فأباك لم أقتلهُ ،ولم أحاول قط فعل ذلك ،فقد شفعت عنه عندما أدركتُ أنه أباكْ.
ردت إزوليس: مِنْ ماذا ستنقذني! من نفسك ربما؟ فاليوم والدي ليزال مقعداً فقذ الشعور بقدميه بسببك.
يقول ڤولس وهو ينظر الى ناذين: مِنْ هَاته لفتاة الماكرة ،إنها تسعى لقتلكْ،أما والدك فقد جنى ما يجنيه كل مجرمْ.
فضحكت ناذين وقالت: أنا ؟ من تكون لتتهمني بهذا الأمر المخزي!
ردت إزوليس تقاطعها: لا تهتمي لأمره ،إنه مجرد أحمقْ،البارحة غاذر مستشفى أمراض العقلية..
فصرخ ڤولس في وجه إزوليس :
إنها تحاول قتلك أيها المجنونة،لا تصدقيها أرجوكِ..
فقالت إزوليس: ليس الكل مثلكَ،فصديقتي نورس أفضل الصديقات اللواتي عرفتهن في حياتي كلهاَ،وهي من أنقذتني منك،عندما حاولت قتلي بعد أبي ممثلا دور الحبيب النبيل وفي أعماقك شر ذفينْ.
رد ڤولس والعبوس في قممه: لست أدري ما حدث لكْ،ولكني أيقنت أنكن مثل بعضكنْ..
ففقزت ناذين تقول:
عزيزتي إزوليس اليوم سأخبرك بالحقيقة.

أنا لست نورس بل ناذين حبيبة ڤولس السابقة،وأنا نفسها التي حاولتْ قتل أبيكْ ،لأنه حاول قتل حبيبي ڤولسْ.وقد كذبت عليكَ لأنك كنتِ الطرف الخاسر في معركة الحبْ وكان من البديهي أن ألاعبك قليلا لأفوز .
وستقولين لماذا تكشف عن نفسها لي،فتقول هاته الحقيقة الآن
فأنتِ لستِ إبنتَ لاوسكي كما تظنينْ بل إبنتَ آل برطهاين ،فكما فعل لاوسكي بڤولس كولكسيز عندما أخده من بين أحشاء والديه اللذان قتلهما،ووضعه بين يدي أل برطهاين ،نفسه كان مصيرك ،لكن الفرق أن أبواك لايزالان على قيد الحياةْ،فوق الأرض،وأبواه تحت الأرض.
فأبوك أل برطهاين يريد الذكور وعندما خلف إبنة مثلك وضعك في الغابة لوقت وجدك لاوسكي بينما كان يخطط لقتل ڤاندوسكي وطليقته سيرڤاي فرباكِ وأخفاك بعيداً عن أنظارْ.
تفاجأ ڤولس بما سمع فقال:
هل أنتِ فعلا لست إبنة لاوسكي؟ انتِ ابنة أل برطهاين؟
ردت إزوليس : أجل معها حقْ،أنا إبنته من إمرأة أخرى،فأبي الحقيقي هو أبُ برطهاين،فعندما كبرتُ أخبرني لاوسكي بكل شيءْ،حتى كيف أن اباك سرق منه أمك!
رموني في الغابة،لأنهم يريدون شاباً يورثه كل ثروتهِ،ولأن قبيلة التي تواجدو فيها لا تحب أكثر من طفلين في العائلةْ،فوجدني لاوسكي وأخذني الى منزلهِ ورباني كإبنة لهُ،وقد كنتُ سبب الخلاف بينه وبين سيرڤاي فهي قد أنجبتكَ فلم ترغب بفتاة من الخوالي تزيد مآسيها .
فرد ڤولس: إذن أنتِ أختِ !...اهٍ يا الله ما هذا الحظ المنحوسْ،كيف لحبيبٍ أن يحب فتاةً تبعده آلاف السنين ،وفي أخير يجذها أختهُ بالتبنيْ،ألستُ حقاً أسوء تعيس في هذا العالمْ.
ضحكت ناذين وقالتْ : مرحى....مرحى للحقيقة.
إن ما يهمني الآن أن الكل توضح،فإزوليس هي أختك يا ڤولس لدى فحبك لها لن يتجاوز حدود الإخوة،فها أنت أصفيتَ ليِ فهل ستكون لي الآن؟
إلتفت إليها ڤولس ينظر اليها بغضب فقال : هل يوجد شيء آخر لم أعلم بشأنه،فلست قادراً على تحمل متل هاته المفاجآة !

،فوجه نظره الى إزوليس بشيء من الضياغ،فلم تتكلم بشيءْ،فحملت نفسها وغاذرت المكان وعينيها مليئتان بالذموغ،وحتى ڤولس فعل نفس الشيء،غاذر ذون أن يحرك شفتاهْ.
" إنه أكبر مزحة مرت على روحه الكوميدية ،كيف يعقل أن تحب شخصاً بجنون وفي لحظة تصرخ الحقيقة إنها أختك يا وقحْ.أليست مفاجأة بالغة العذابْ والمآسي.."
فصرخت ناذين تقول: ليزال شيء واحدْ لا تعلمه يا ڤولس.
فأذار وجهه إليها يستمع الى ما ستقوله،محذراً قلبه المسكين من خيبة أمل جديدة في هذا اليوم الخبيث المليء بالفتن،كأنه يخبره بأن يستعد جاهذاً ليتحمل صدمة أخيرة،فإن لم يفعل ليموتا معاً بحسرة المسكين ونذم الفقيرْ.
فقالت : إن أل برطهاين ليسو كما هيّئَ لكْ،أو كما يظهرون لكْ،فداك الشخص الذي كنت تسعى وراءه تظنه رأس الأفعى لكنه كان مجرذ ديلها،فالرأس هو آب برطهاين،إنه رئيس كل عصابات إجرام،وهو من يقوم بتهريب الأعضاءِ وبيعها،فلا يخذعك ما يتستر به عن نفسه في تلك القرية الغريبة ،فإنه من أغنى رجال أعمال في العالمْ،ولكنه يخفي هويته تحت إسم الفقير المزارعْ،كي لا تشك به السلطات فتذهب هبته بين العصاباتْ.
ضحك ڤولس كولكسيز وجلس على أرضِ،وقال : الويل لكم جميعاً،أنتِ وسلالتك القبيحةْ،إنكم أخبث من يفسد الحفلات بطباعكم المسمومة التي تريد إفساد طباع الكل. للمرض علاج ولا علاج للطبعْ.
إن الاب برطهاين هو أفضل ابٍ عرفته في حياتيٍ،فأنا شاكر لهُ لما فعلهُ رغم انه أخفى حقيقة إنتمائي لعائلة ما،فأظنه رغب في حمايتي من تلك الصواعق المميتة.فكل هاته الأكذوبات الحقيرة لن تخلخل إحترامي لأبُي،فكفي عن مداهمة كل ما أحبْ،كي لا أضطر لقتلك .
فقالت ناذين: هل تعلم كيف مات تويودور؟ وكيف دخلت الى السجن؟لن تعلمْ،فأب برطهاين هو رأس الأفعى الذي حرض تويودور على قتلكَ بمساعدة من لاوسكي ،وهو نفسه من أقنعني بتركك،وعندما خلصتْ مهمتهم،وأضحيتُ في وحدتيِ خافو أن افضحهم،فقتل الاب بيرطهاين تويودور ولفق التهمة لي،في يوم إستذرجني فيه لإحضار إحدى الحقائب،أنذاك وقعتُ في الفخِ بكل بلادة،حيت

وجدتُ تويودور مقتولا ببشاعة مفصول الرأس عن الجسذ،وكدت أن أنجو ولكن الشرطة كانت قد سبقتني للبابْ.
فاليوم أنا حرةْ،لأني قد هربتُ من السجنْ،فلستُ أضمن لك أنني لن أعود إليه تانية بفضلك.
فإلتفت بكل حزن والكآبة تغتشي على روحه المرحة،منتشي الروح لشد لا روح لهُ،كأنه قد خدِّرَ لم يعد يسمع شيء فقد أصبح أصمٌّ وأبكم ،فإنحنى رأسه الى الأرض وبدت يداه تلعبان في أجواء كأنه أفرط في إستنفاذ كل بهجته وشغفه في ركلة واحدة ،عائداً الى حيت لا توقفه قدماهُ،الى حيث ترغبان في التوقفْ.
عائدا الى الغابة حيت تقبع خلوتهُ التي تنقذه كل مرة .محملا فألاف الخيباث والظنون الكاذبة ،فالحب الأول أزعجه،والحب التاني أثعبه والحب الثالث أنهك ما بقي فيه وما تركه فيه الحب الاول والتانيْ،أليس سوء حظ هذا الذي يبتلع أمثالنا...
إنه حقا لأنسان غبي هذا الذي يفترض أن إنسان اللص سيكف عن لصوصيته عنذما يشبع حاجتهُ.إن بطنه التي لا تتْخم تجْعله يستمر في الجوع،فأبداً لا يوجذ من يطفئ شعلتهُ..
وفي طريقه الى الغابة،تذكر مذكرات أبيه وما كتب عن الخيانة يقول"
ليس الخائن سوى إنسانْ،لم يجذ في الفرصة الأولى ما يسكت رمقهُ،فإتخذ الفرصة التانية ليملأ تلك الثغورْ"
" إن الوفاء ليس من طباع البشرْ،بل من تقافتهم".
وبعذ أن ظل يقرأ تلك الجمل عن الخيانة وسوء الحظ،إفتعلت نفسه قولا يكتبه في المذكرة يقول:
"الخونة هم أوغاذ بالفطرة،ليس لأنهم لم يجذو الفرص السانحة للخيانة فلم يخونو،بل لأنهم خانو وفي أيديهم مشعل يطفؤون به الأرواحْ الباهرة ".
*إن السعد لا يفقر أحداً،فالمفتقر للنور ،دائما ما يولد من الناس الذين إنطفأو طويلا فعادو ينيرون أنفسهم بشموع الجيرانْ."
" لا تبحث عني بعد أن أطفأت روحي،فلن تجذ من خلفي سوى الرمادْ،فلسنا جيذين في البقاء مشعلين طوال الوقتْ فنحن كتلك أشجار التي يأتيها الخريف فتسقط كل أوراقها، لتعود في الربيعْ بنشاط غير معتادْ،وبشعلة أقوى وأوراق لا

يزعزعها ولو إجتمعت حولها كل النسائمْ ،فقط لا تبحث لأنك لن تعثر فالذي يحرق بناره لن يعود إلا بهاَ،ومن يحرق بنار المرءِ لن يفنى إلا بها..
" سيكون من الجنون حقاً أن نتحدث الى غير البشر،لكن سيتضح أن هذا الحديث هو أفضل على إطلاقْ،إنه حيث لا يتطلب إمتناع عن الصراخْ،ولا عن إفلاتِ من غباء أحدٍ."
" لا تنظر إليَّ كصديقْ،بل خُذْنِـي كغريبْ،فالغرباء اليومْ أفضل بكثير من ألفِ صديقْ،دعنا نلتقي في طريق مهجورة كعديمي الشخوصْ،فقط الارواح التي تلتقيِ،ولنفترق كأجساد لم تعرف بعضها يوماً.

الفصل الخامس :

ولاذة ڤولس كولكسيز لتاني مرة!

كيف تحول ڤولس كولكسيز من شخص يعيش على أنقاض الحماقاتْ،والظنون الكاذبة الى شخص طبيعي مسترجعاً خفة ذمه وروحه المرحة ؟

كالعادة كل إنسان،حينما يشعر أن العالم لن يسعه بعد الآن،فيقصد ركنًا من هذا الوجوذ،يأويه من قساوة الشتاء القادمْ،توجه ڤولس نحو الغابة محملا بأكياس من الحقد الذفين،خوفه من المستقبل،ونفسيته المضطربة التي خلفت وراءها شتاتا يصعب على الزمن لَمَّهُ،إنه يحاول أن يكون موجوداً،كائنًا من يكونُ هذا الأخرق الذي قد يعيش وسط الأذغال بنفس محملة بالكوابيس الطائرة بركام من النفوس المنهارة التي تولد كل يوم، فتتذمر في توانٍ ذون أن تستنشق ولو نفساً واحداً يشعرها أنها على قيد الحياة،هذا الإنسان الذي يبدو كما يبدو الآخرون،فلا أحد رآى نورهُ ولا أحد رأقب إنطفاءهُ الكل يرى في الجسد قوام عظيم تحمله جبابرة السماءِ،فلا هم يرون كم مصباحاً أحرقه الزمان فيه حتى إختفت لآلئُ الأرواح التي تضوي بها الأمةُ.هل حقاً تطالبون بأحقيتكمْ،وأنتم من إنتزعتم من الحق شرعيته؟ لا يمكن أن نبذل شيئا لأنفسنا ونحن من كنا نستولي على أشياء الآخرينْ...أليست مجرد فضيحة من عيار أبريلْ،حيت يلقبُّ المنتشي بالسكيرْ،والجاني بالقنذيلْ،أليس أحمقاً داك الذي يطالب بالعدالة إلاهية وهو نفسه يخاف من ان يطالب بأخرى الإجتماعية،إن أحقية البشر في أنفسهم دعابةٌ،فكل يرى المنظر من رُؤاهُ،فليست الرؤى كلها سواءُ،ولكن الدوافع قد تكون من نفس البلاءُ.

فلا تبتئس لوضع إلا وأعلم أنه سيمضي ،فالزمان لا يقف عنذ قدم ولا رأس،فالموت آتية والحياة تمضي،فعش ما إستطعت وإرتوي من هواء الى أقصى ما يمكن لأنفك أن تسحبه من هذا العالمْ،فأنتَ اليوم إبن البارحة وأب الغدْ،وجدُ المستقبلْ،فنحن في هذا العالم زائلون نحو نهاية نعرف أنها البدايةْ.
بعد أن إنهار ڤولس كولكسيز على إثر ما سمع من ناذين وإزوليس،تسلق الجبل وقد كان يؤمن أن جراح الجسد أخفُّ ثقلا من جراح النفوس ،فإنتزع من قدميه خفيه ورماهما في مكان بعيدْ،وإستمر في السير،ففي لحظة يبكي لألمه وشقاءه وثعب نفسيته معاً، فتوخزه شوكة او تصدمه حجرة، لوقت شعر أن ألم الذي يريده قد تحقق ،فغدت قدمه اليمنى مليئة بالذماء والأشواء فجلس على صخرة وسط الغابة ينتزع أشواكه بهدوءٍ الذي يلي العاصفة. فالرجل الذي يبكي،قد أفلح الزمان في هدمهِ،فتركه منحنياً وعلى روحه ألف جبلٍ يثقل كاهلهُ،فليس من السهل رؤية الذموع ولكن من الصعب جداً رؤية تلك الجبال من حيت تنبعْ تلك الذموعْ.
إنه لمنظر بائس هذا الذي نراه اليوم،لأرواح أشعلت الأمة تقدماً،فأطفأها صاحب الذوق المريعْ،نفس الكائن الذي بكى على أسطورة إزوفيلْ التي كاد الملك يَقتُلُ كل رعاياه لتسترهم على سارق بيضه السحري ،فتقدم أحد النبلاء لينوب عن موتهِم مضحياً بنفسه الوقورة،وحينما أرادو إنزال العقابْ صرخ أنه اللصْ،فإتخذ لجام السكينْ وأغرقه في جسد الملك فصاح الكل مرحىَ،إنه إحتفال في توانٍ،فإستعبد اللص كل الرعايا وأخذ يسرقهم وإن سرق أحدهم يرشق بالسهام حتى الموتْ،فهذا هو اللص إزوفيلْ.
فليس في إنسانية ما يمد للمظهر بصلة ،فكلها ألاعيب المزاجْ،فقد يتعاطف الرجل مع أنثى ولا يفعل مع الرجل مثلهُ.
إحتدم الصراع داخل ڤولس كولكسيز ،لصدقٍ إغتشى فيهِ،ونكرانٍ يحاول النجاةْ،فالثقة نزلت الى الهاوية بنفسها،والصدق صاحبها الى الفناء،والكل قد ترك تلك الجثة واقفة مندهشة من هذه المزحة والتي تنذر بالبقاء وحيداً على مر الذوامْ،فكيف لك أن تشعر عندما يغادرك الكل ولا يبقى معك إلا روحك التي تطبعتْ بالثغور فهي أعلم بما مرَّ عليكَ من دهورْ.فإكتأب ڤولس وبان على وجهه آثار العبوس والحزن القاتمْ،عيناه منفوختان لم ينعم يوما بالنومْ،إنه يسهر الليالي ينقب عن الهدوء بذاخله،كأنه الرفيق الذي ينتظر زيارة المعشوقً،بعد شوق دام

سنين،فلم يكد عقله يستجرع عقلهُ،وفي كل مرة يُسْقط رأسه على الأرض لينام فتأتيه الكوابيس صفوفاً،تزعجه بعروضها السخية المملة التي لا تنتهيِ.
ولكن كابوساً واحداً ظَلَّ ملتصقاً بذاكرتهُ،إنه يرى أنه يصلب على أنظار الجميعْ،معلقًا على عمودْ،والكل يضحكْ،فيرشقونه بسهام مسمومة تحمل سمَ الأفاعي والأرواح المغذورة،فلا علاج لهذا السم ،ولا ناجٍ منهُ،إنه كتلك اللذغة التي تميتك فوراً بتحسس منها ،حتى ولو لم تلدغك صاحبتها.
فوقف ڤولس منتشياً الى السماء وروحه ممتلئة على آخرها،ينقب عن مكان يصلح لتفريغ كل داك الألم والمعاناتِ،الظنون السيئة،فلا هو أراد أن يبقيها بذاخلها ولا هي أرادت البقاء قانطة في فناءه،إنها تتصارع في تلك الروح،الواحدة تقتل الأخرى والفائز يأخذ باذرة القضاء على هذا الجسد الفاني،كأن ڤولس كولكسيز أصبح قنينة من الشراب التي تحمل في أحشاءها القليل من الكحول وباقي القنينة فيه ماءْ.وها هو ذا يتقدم بخطى الميت الذي أحب موته،وكره عودته الى هاته الحياةْ،يخطو الى سفحه العزيزْ الذي بان أنه أفضل رفيقْ..
إن العزلة دواء،ولكنها قد تغدو بلاء لروح أفرطتْ في البقاء مكتئبة متمسكة بهذا السم الغريبْ،إن المرضى الذين يشفون على أيدي العزلة،هم من عاشو تحت صفعات الحياةِ،لوقت أَجبَرو خواطرهمْ،على البقاء خارجا تاركين خلفهم مساوءهم وحزنهم وكآبتهمِ،حالمين بشيء من الرقاء المرصع بالذهبْ،لكن الذي يشقى طويلا فيها يكون متمسكاً بكآبته لا ينتزعها عندما يقرر إعتزالْ.
وهذا ما حصل لڤولس كولكسيزْ،الذي إعتزل العلاقاتْ،وكل ما يخص البشرْ،بروحه القاتمة التي لا تؤمن بالصداقة ولا بالحبْ،فثقته لم تعدْ موجودةْ،كأنه إستنفذ كل مخزون منها في عام واحدْ،إنها لروح شقية هاته التي تفقد الثقة في كل الأشياء،فعيشها يكونُ بلامبالاةْ،وتصرفاتها لا تُحْتمَلْ.
إنه حقا كما تبدو النهايات المنطفئة،حيت تحرق كل المصابيح لنعيش على عثمة النهايات البائسة،وأكثر ما يزيد من فرحة المشهد أولائك الأوغاذ الذين يصيحون بفرحتهم العارمة وعقلهم الصغير لليوم لم يستوعب أنه ليزال مجردُ قشةٍ خضراءَ في يوم كهذا ستنكسرْ وسيبين عيبهاَ،فتسقط حيت يسقط الجميع.
فوقف ڤولس كولكسيز على حافة الجرف يتأمل عمقهُ والطبيعة بجانبهِ يقول:
" إننا في عالم يسوء فهمُهُ،فلولا الطبيعة لمات إنسان على يد أخيه إنسانْ"

وفي لحظة يتذكر فيها ما حصل لهُ،وما مَرَّ عليه من قساوة،فيمد قدمه اليمنى راغباً في إلتقاء بالهوةْ،ولكن الخوف من الموتُ يذغذغه مرة مرةٍ.فيقول :
ما كل هذه الحماقة،كيف لي أن أموت..أن أقْدمَ على إنتحار فاقدًا روحي بين كفي هذا السفح الشاهقْ،لأن طفلا من الزمن الغابر خانني ،أو كذب عليَّ،أو خيب ظنيِ ،أليست حماقة مني أن أفرط في روحي لأتقبل تلك السكاكين التي قد توجهت نوحي من قبلهم،لَسْتُ ضعيفاً فكلام الناسِ كله بلاءْ،فالخير لم يأتي أبداً من أحد بل نبع من نفس الذاتْ التي تطالب به.
فالإنسان الذي يقاسي طويلا هو من يهتم لتفاصيل أولائك الحمقى،بينما الذي لا يهتم لآحد يبقى في مآمن من شرورهم ومكرهم .
فإلتفت ڤولس بإبتسامة تلف جفونه كأنه تخلص من كآبته،وعاد مصباحه يضوي كالنجمِ،عائداً عن خطاه في الموتْ،وفجأة سقط فتاتٌ صغيرْ من تحت قدمهِ،ثم إنفلتت قدم ڤولس فسقط في الوادي.
فالأشياء العظيمة دائما ما تختفي عن الأنظار،إنها التفاصيل الصغيرة التي لا يراها سوى العظماءْ.
فسقط ڤولس يتدحرج من أعلى السفح حتى أسفلهِ،فيلاقي الهوة بنفسهِ،فمرة يصطدم بالصخور القاتلة فينجو،ومرة تخط أشواك جسده الهزيل فلا ينجو ،وقد إنتهى به المطاف غارقاً في دماءهِ مستلقياً على بطنه في قعر الوادِي وهو نفسه الوادي الذي تسكنه الحياتْ والطيور الجارحة التي تتغدى على لحوم البشرْ،تاركاً خلفهُ كوميديته المفعومة بالنشاطْ،وروحه المتسمة بالمرحْ،فسقط وسقطت معه كل الدعاوي السيئة،وكل الخيباث والمآسي تتقاطر عليه من السماء فتقع حوله كشتاتٍ من حب رملٍ طفى طويلا إلى السماء فعاد مثعباً الى الأرضْ...
لربما تنتهي القصة بموت هذا إنسان الذي تطبعت فيه أسوء خيباث الأمل والمفرح في كل هذا أنه ليس إنسان الأخير ،فهذا العالم مليئ بالأوغاد بأصناف من السلالات الغبية التي ترى نفسها تصلح لكل شيءْ،ولا أحد يصلح لهاَ،فكما أن الأرواح البريئة تخطئ تلقيب براءتها فتخفي بشاعة أفعالها تحت زيِّ جمال جسدها الآخاذْ،وكلامها المعسولْ،فهناك أرواح تدعى بالمتنمرة تلك التي نبعت من قلب إضطهادْ،فلن تتعلم سوى التنقيب عن مساوء الأخرين وفضحها هي نفسها تعج بالكوارثْ.

فإياك أن تربط عنقك بديل أفعى،ولا رأس نعجة ولاحتى بقدم عنزةْ،فالأفاعي اليومْ جميلة تنفث سمومها تحت كلامٍ معسول فللحظة قد ينقلب الرأس ديل،والديل رأس.
ولا رأس نعجة،فالنعجة لا تحب سوى الذئاب والذئاب يحبون كل نعجة ،فإن عشتَ طويلا سترى أن النعجة تهِبُ صُوفَها لذئب في الصباح البارِدْ،وسيتناولها عنذ الظهيرة .
ولا قدمي عنزةْ،فتضطر للبقاء منتشيا في أعالي البساطِ،وهي ماطلة عنقها الطويل الى السماء حيت تبقى معلقة على شجرة الحياة،فلا أنت قادر على تسلق الأشجار مثلها ولا البقاء وحيداً بدونهاَ..
فلا تتزوج إلا عنذما تيأسْ،فإن كنت متحمساً لهُ،رافقك الى الجحيم ،وإن كنتَ بائساً سيرافقك الى السريرْ.
لم ينتهي عمر ڤولس كولكسيز على داك الجرف الأحمق ،فأبدا لا تثق في أحد ولا حتى في السفوحِ الغبية،إنها أفضل من تلقي الجثة الى الهوة بوعود فارغةٍ.وقد مرَّ سربٌ من الأغنام تركض حولهُ فتتناول العشبَ وفجأة رآه الراعي،وتلك الراعي هي فتأةْ،فتسرع في ضرب أغنام كي لا تكون وجبة دسمة لطيور الجارحة والأفاعي الماكثة في الجحور،فرأته نائما على الارض تم قالت :
أوه ...الحمد لله هاهو ذا هنا !إنه ليزال على قيد الحياة!
" قد تكون النجاة هي فرصة تانية لتصحيح المسار الذي قد يودي بك الى الأحسنْ،فأحسن تلقيب الاجواءِ وتلطيفها." .
لقد كانت ترعى في الجهة المقابلة من السفحِ،حينما رأته يحاول إنتحار ولكنها لم تسرع بما يكفي لمنعه،فقد كانت تخاف على أغنامها من الذئاب الجائعة وفي نفس الوقت على حياة هذا الغريبْ،فحملته على ظهرها وهي فتاة رقيقة وجميلة تبلغ من العمر السادسة والعشرون سنة أصغر من ڤولس بعام واحد،عيناها كبيرتان وجفونها الحمراء تبين ضراوة ايام وقساوة البرد،أنفها صغير وقامتها تكفي لحمله،وها هي ذي وضعته على كتفها،فمرة تسقطه فيتألم،الى أن أوصلته الى كوخ الذي تنام فيه الأغنامْ.فوضعته على كومة من القش وهو فاقذ وعيهُ،تحوم من حوله أغنامْ،فأسرعت لتحضر له الذواء وقماش مبلل يوقف نزيفه،وبعذ أربعة ساعاتْ،من إهتمام الفتاة،إستيقظ ڤولس على رنين أغنامِ

وصياحهم المزعجْ،لصغير نعجة يطالب أمه بسماح له بالرضاعة ليشبع جوعهُ،أنئذ فتح ڤولس عينيه على صوف الأبيض لأغنامِ،يتألم من قدميهِ،وبعض ألم ينبع من جانب السفلي من جسده،وفجأة قال :
أينَ أنا.....أوهْ أنا في الجنةِ،فأغنام صاحبة الصوف الأبيض دليل على أني وصلت الى السماءِ،أين أبواي؟ وكل من كانو يفعلون أمور الخيرةْ،أليس من المتوقع أن أجدهم هناَ،لربما يوجذون في عالم آخر الذي لم يعد يسع للكثير من الخيرينْ،مهلا ....لم أفعل يوماً خيراً في أحد..بل كنتُ ابتسم في وجوههم البائسة.
فليس الخير فيما يقدم بل فيما نراه في الآخرين ،فأغلب الناس يفعلون الخير لينتظرو التقدير،كأنهم يمنون علينا بعوائد فضائلهم الراقية وهي في الحقيقة نوايا خبيثة تختبئ وراء كل فعل يبذلونه،كأن يعطوك درهمان في الصباح وعنذ المساء يسرقون كل مالديك..
وفجأة ناذت تلك الفتاة: اووه ،ها انتَ أفقتَ،لقد نجوت بصعوبة فشكرااااا الله ولأعشاب والدي.
فقال ڤولس : من أنا ؟ من أنتِ ؟ أينَ أنا ؟ هل نحن في الجنةْ؟
ردت الفتاة: أنت في المقبرة وأنا هي محاسبتكْ،فعل تعلم حجم الكوارث التي وجذتها في حياتك البائسة،إنها لتطعم بلدين على أقل تقدير..
رد ڤولس: ربما انا في الجحيمْ،وكل من كانو هنا قد حشرو،وأنتٍ من تلقينهم الى حيت تقبع سوالم اللهب القاهر..
ردت الفتاة بسخرية: أنتَ التالي فإستعد لتشوى على مهلْ حتى شعرك الأسود القصير سينذثر عندما يلامس النيرانْ السفلى،هل أنتَ بخير؟
رد ڤولس: قليلاً ....أوه تمزحينْ فلو كنت لأشوى اليوم لما أحسست بكل هذا الألم ،فالأجساذ تصرخ والأرواح بكماءْ.
ردت الفتاة : لقد حاولت إنتحار وقد أنقذتك بعذما سقطت من اعلى الجرفْ..
إبتسم ڤولس وقال: أنا ؟ أنا حاولت إنتحارْ،لا لا تمزحين معي،أرجوك لا تضحكيني فقلبي صغير يتحمل كل شيء ما عدى الكركرات الطويلة إنها تدفعني الى البكاء.
لقد فقذ ڤولس كولكسيز ذاكرته على إثر سقوطه من ذاك الجرفْ القاسيِ،فلم يعد يذكر حتى من يكونْ،سيتعافى من كل جراحه ،ولكنه سيظل يشعر بألم في رأسه

يأتيه عندما يحاول الغناءَ،فڤولس قد إستعاد روحه المرحة ليس بسقطة من تلك الهوة بل لأن الفتاة التي وجدتهُ هي العلاج لكل ما ذاقه من ألمْ،وظل ماكثاً في إسطبل يأكل ما تحضره له،فيخرج خفية ليساعدها في الرعي،ومرة مرة يحاول إستعادة ذاكرته،فيتذكر أنه كان فلاحاً بفضل إستمراره في النظر الى النعجاتْ،ولكنه كان يؤمن بشيء واحد هو أن الذاكرة لو كانت أفضل لما فقذها،وإسترجاعها هو إسترجاع للألم وكل المعانات التي مرَّ بها خلال السبعة والعشرون سنة الماضية،فقال:

لقد عشتُ ما لم يعشه أحد قطْ،ونسيت ما عشتهُ،لدى سأسير على دربٍ جديد فالممل أن نسير على درب واحد طول الحياةْ.

ولكن المشكلة أن الفتاة لم تخبر والديها عن ڤولس كولكسيزْ،والذي ظل يساعدها في الرعيِ حتى وقعا في حب بعضهماَ،فقد كانا يلعبان كالأطفال الصغار،يركضان خلف الأغنام ويصيدان الفراشاتْ،حتى أنهما يستلقيان على ارض فيتخيلان اشكالا بتلك الغيوم المارةْ،ولكن ڤولس كان يخاف من شيئين، لعبة الشجرة التي يلعبها مع الفتاةْ ،والتي تذكره بالجرف الذي رمى نفسه منه،وصندوقه العجيب الذي مكث فيه طويلا في صغرهِ،وفي يوم ماَ،وعندما أحضرت إليه الفتاة طعام إفطار أمسكها فجأت من يدها وهي على وشك أن تغاذر يقول ڤولس:

مر شهرٌ ألم تملِ مني؟ ولليوم لم أعرف إسمك،ولم تسأليني عن إسمي فما سركِ؟

ردت الفتاة بخجل: علمتُ من تكون أنت المجنون ڤولس كولكسيزْ! أما أنا فيناذونني لاوفي نسبة لجذتي الراحلة التي قاتلت بضراوة في حربها ضد الإسبانْ.فهل سمعت بلاوفي كورسكيلز.

ڤولس : أوهْ... لم أسمع بها!،إذن جدتك محاربة عظيمة حسناا ؛ ربما أنا ڤولس كولكسيز ذاك ! نعم ربما هذا إسمي؟ إنه جميل،ولكن كيف عرفتِ انه اسمي.؟

ردت لاوفي: لقد سمعنا من جارنا إبراهام أن مجنونا يسكن الغابة ويدعى ڤولس كولكسيز.فلا شك أنه أنتَ....

إبتسم ڤولس بفرح وقال: حقا إسمي جميل ،وراح يضحك في وجهها،وهي ماطلة عيناها الجميلتان في وجهه المبتسم فتقول:

أتسعى لإصطيادي أيها البدينْ؟

رد ڤولس بخجل: ههه بكل صراحة اجل،فقد سقطتُ في فخك منذ ان فتحت عيناي ووجدتُ كل هاته الاغنام حولي ولست تشبهين واحدة منهن...لقد سرقتي ما بقي فياَ...
إبتسمت بخجل محاولة إظهار روح المقاومة والقسوة فقالت لستُ أهلا للحبْ،ولسنا ممن يضعفون أمام كذبة كهذهِ.
ولتلك اللحظة لم يكن أبواها يعلمان بوجود شخص في اسطبل وذاك الشخص هو المجنون الذي يخاف منه كل أهل القرية،فشك أبوان في إبنتهما التي في كل صباح ومساء تخرج في يديها كيساً مملوءًا،فتعود به فارغ الوفاضْ،فلم يكثرتا للمرة الأولى والتانية ولكن عندما كثر تسترها وأفعالها المماثلة فيسألونها عن فحوى الكيس فلا تجيبْ،أخدت أمها السيدة كيلان كورسكيلز بتتبعها عندما حملت كيساً للمرة الألف وفي صباح باكرٍ نحو إسطبل،لاحظت أنها تمكث طويلا داخلهُ،فتخوفت لما قد يحصل هناكْ،فتسللت كالقط الجائع الى التلاجة،تم هزت رأسها من نافذة إسطبل فلم تجذ سوى الأغنام متحولقة حول بعضها البعضْ،ولاوفي تطعهم بعض العشبْ الذي جاءت به اليهم...فعادت الأم كيلان مرتاحة البالِ،مطمئنة،وقد جرى عليها المقلبْ،فقد شكت لاوفي بذكاءها الحادْ،ونظرها القوي أن والدتها تتجسس عليهاَ،وإن إكتشفت حقيقة المجنون لتطردهُ من إسطبل فتحضر إليه أناس القرية فيرجمونه بالسهامْ،فهم لا يحبون الذخيل ولا يميلون لإستضافة أحدْ،فأخدت لاوفي بعذما رأت أمها تسترق النظر من النافذة،ڤولس ووضعته بين الأغنام ووضعت القليل من العشب بجانبه ليخفو أثرهَ وحملت بضع أعشاب ووضعته في الكيس ليتبين أنها تطعم الخرفانْ،وبعد أن إنتهت الخدعة،قفز ڤولس صارخا :
أتحسبينني خروفا من بين ما لديكِ؟ أنا لستُ خروف أحدْ،بل خروف نفسي...
فضحكت لكلامهِ،لذرجة أن ڤولس زاد وقوعه في الهوة،فأحزم اللجام قلبه وصار يبتسم لجمالها الناصع بالآلئ..
تم قالت لاوفي: أيها الأحمق،لو لم تخفيك الأغنام بصوفها،لكنت الآن كذاك الجرذ الذي يلاحقه كل القططْ.
رد ڤولس: أحقا ما تقولينْ،أوه شكرا للهْ،وراح يقبل رؤوس أغنام الكبيرة والصغيرة،ولاوفي تصرخ من الضحك فقد أثار فكاهتها الغائبةْ.
وفي تلك اللحظة وقع الإتنان في نفس الهوةْ،إنها هوة الحبْ،الذي لا يختار أحداً..

لقد كان في مقدوري أن أغتنم كل فرصة أجده أمامي،ولكني إصطفيت جُـلهاَ،بالطبع ليست كل فرصة هي ملكيِ،تصلحُ لشخصيتي وإرادتَي.فقد نجذ القليل يصلح لنا والكثير لا...
إن الأرواح التي تشقى طويلا،هي أفضل من يقدم الحُبْ ،وهي ذاتها من يستحقهُ،فلا يوجد اليوم من يميل إليهم ،بل الكل ينفر منهم بدعوى أنهم بائسونَ،متشائمون لا يصلحون لشيء بفضل عبوسهم الطويلْ والدائم .غير أنهم يصبون لتلك النفوس المحثالة التي ترسم على وجهها إبتسامة مخادعةً ،لتظهر براءة منصعة بالنفاقْ،فليسو قادرين سوى على نفثِ بؤسهم المدسوس خلف إبتسامتهم تلكَ،بشخصياتهم المقفرة،المؤقتة التي تميل لتجربة كل شيء وكل شخصْ،إنها أرواح المنحرفة التي لا تستقر عند سكير واحد بل تستمر في إستمالة كل السكارى.
وفي يوم ما،وعندما جاء الشتاء محملا بعبق من الثلج المبهر،مع جفون حمراء يكسوها البياض وفراء ابيض لذب قطبيِ يلف العضامْ،جاء لصوص من تلك القرية محاولين سرقة أغنامْ،ولحشن الحظ كان ڤولس نائما بينهمُ،مخطى ببعضهم،فلم يروه بل واصلو إخراج الأغنام،لوقت شعر ڤولس بالبرد فحاول أخد إحداهن لتدفئة نفسه،فلاحظ إختفاء البعضِ،فهز رأسه من بين ما تبقى فرآى لصَـيْن يحاولان سرقة الأغنام،الأول قصير القامة رأسه كبير مقارنة بجسده الصغير، يكسوه الفراءْ،حاجبيه غليضانْ،وعيناه صغيرتانِ،والثاني متوسط القامة،اصلع الرأس وعيناه كبيرتانِ،دو أنف طويل ،يصيحان في وجه بعضهما فيتناوشانْ عن من يأخد النعجة السمينة،فالقصير يخبره أنه قد أخد تلاثة نعجات قصيرة مثلهُ،والآخر يقول أنه آخد نعجتين ونصفْ،وذاك النصف غير محسوب لأنه يمثل إبن النعجةْ...
فوقف ڤولس يحاول منعهما،ولكنه فكر طويلا في أسلوب اللائق لمعاملة اللصوصْ،فقديقتلانه فيهربان بالأغنامْ،فيكون ذون فائدةْ،فصرخ بملإ إرادتهِ يقول بصوت مرعب:
أتركو أحفادي.....أتركوو احفادي...وشأنهم...سأقتلكمْ جميعاً اليومْ....بصوت شبح عزيز على أمهُ.
فإرتعب الإثنانْ،وتركا كل الأغنام وفرى هاربيْنْ،فخرج السيد هيردج بالونسيكي وهواب لاوفي بسرعة البرق هو ولافي نفسها،على إثر صياح النعجاتْ،فقد كانا

يضنان أن الذئاب قد غزت القطيع،لكن هذا الذئب اليوم هو ذئب آدمي،ولا يمد للآخرى بصلة.
وفجأة ومع دخول هيردج الإسطبل وجد ڤولس نائما على صوف إحدى النعجاتْ،فأغلق إسطبل بإحكامْ،وعاد الى النومْ،وفي اليوم التاليِ،أحضرمعه كل أهل القرية حتى اللصوصْ،فقد كانا متخوفان من ان تكشف حقيقة الأمسِ،ومحاولتهما سرقة اغنامْ،غير أنه عندما فتح إسطبل يقول:
هذا هو سارق أغنامْ،إنه حبيس هنا،سجنته البارحة بينما كان يحاول سرقتيِ...
ففتح الباب فوجد ڤولس نائما كطفل صغير بجسد كبير معانقاً خروفه العزيزْ،فالكل إنصدم بالمنظر حتى لاوفي التي أسرعت لإنقاذه لم تقدر على فعل شيْء.
إنه حقا منظر عاجز هذا الذي يسقط البراءة من السماء على القلوب،فتبهرُ،فلا شيء يتطلبه الفعل أنذاك سوى الصمت والبقاء صامدين في وجهه.
وفجأة إستيقظ ڤولس فأسرع هيردج بإمساكه كالفأر في يد قطهِ،فيصرخ قائلا:
هذا هو اللصْ..
وڤولس أنذاك لم يستوعب ما يقعْ،إنه يحاول كوبسة عالمه وواقعهِ،فينظر الى الناس واحدًا واحداً،تم قال:
يا للجمال أهذه أنتِ يا لاوفي ،إنه حقاً كابوس ممتعْ،فرآى اللصين يقفان بين الحشدْ.ثم قال:
اوه ...ها أنتما...
فتدخلت لاوفي ماسكة أباها هيردج من يده تهمس في أدنه وهو جابرٌ يديه في عنق ڤولس ،تقول :
أبي إنه صديقي...وليس لصاً ...
فصرخ هيردج: أأصبحت تصادقين الذكور؟ أصبحتِ تصادقين اللصوص أيضاً.
فإبتسم اللصان وقال أحدهما للآخر(القصير): سنطلب منها أن تغدو عشيقتنا ماذا قلتَ يا فينساكي؟
رد فينساكي: حسناً سنسرق نعجاتها ونرغبها لتكون عشيقتنا يا سيناز.
فأخد اللصان ڤولس كلص رسمي ليعاقب على سرقته للأغنامْ،فأجلسوه وسط القرية والكل يرمقه بسخرية الظالمِ،وقلبٌ محطم يغتشي المظلومْ،ولكن ڤولس كان متأكداً أن لاوفي تحبهُ وقد تفعل أي شيْءْ من أجله لدى صمَتَ وأراد إختبار

حبها لهُ،تاركا مصيره للقدرْ،ولكنَّهُ حزن لأن لاوفي لم تظهر بين الحشد منذ وقت طويل فظن أنها قد تخلت عنهُ،فأحضر هيردج كيسين الأول مليئٌ بفضلات الأغنام والبقر والتاني مليئ بالسكاكينْ،فقالت هيردج :
لك أن تختار بين الذُّلِّ والموتْ،فأقبح شيء أن يعيش المرءُ دليلاً وأفضل من ذلك أن يموت بعزهِ..
فصاح ڤولس ممازحا: أريد فضلات البقر،فلست أستحمل الموت مرتينْ!
فجاءتهُ لاوفي ماسكة في يدها كيساً تالثاً،وهنا تأكد ڤولس من أنها لم تحبه قطْ،بل تسعى لنهايتهِ.فقال هيردج :
مالذي أحضرته في ذاك الكيس،يا لاوفي؟
فردت لاوفي : إنه داك الشيء الذي رأته والدتي أطعمه اللأبقار والخرفانْ! ولهذا المسكين أيضاً.
فنطت الأم كيلانْ تقول: اليس في ذاك الكيسْ عشباً؟ فهل كنتِ تطعمين هذا الفتى العشبْ.
ردت لاوفي: ابداً،كنت أطعمه من قلبيِ من كل شعورٍ قد ذفنته في قلبي منذ أن توفي زوجي الأول .
فحملت الكيس وأخرجت منه اطعمة شهية فأخدتها الى ڤولس تقول :
هذا الفتى اليوم ،كان البارحة طريح الفراشْ،كان جتثة تكسوها الذماءْ،كان ميتاً ولو ظهر أنه يتنفسْ،فالغريب أن الكل ظن أن من يتنفس يحياَ،فقد ألقى هذا المسكين بنفسه من أعلى الجرف!
فأمسك ڤولس جزءا من ملابس لاوفي يهمس بقوله : لاتقولي مسكين ..إن لدي عزة نفس تغرق العالمْ...
فإستمرت لاوفي في قول كلمة مسكين إلى أن لان قلب الجماعة،حتى اللصانْ قد تأترى بقولها..تقول لاوفي:
وجدتهُ في الجبل محاصراً بالذماء،فأحضرته الى إسطبل وعالجتهُ،اتذكر تلك الأعشاب التي طلبت منك إعطائي إياها يا أبي بدعوى أن إحدى النعجات مريضة.
رد هيردج: نعم ذكرتْ؟

لاوفي: هي التي عالجت بها جراحه القاسية ،ولو بقي على ذاك الحال لوجدتهُ الآن غداءاً لطيور الجارحة الذي لن يكفيها لشهرْ،فقد تسطوا على خرافنا عندما تنتهي منهِ،لدى تقدمت لمساعدتهِ.فهل تعلمون من يكون هذا المسكين؟
رد هيردج: لا أحد يعلم أصله من فصله...
فردت لاوفي: إنه ڤولس كولكسيز المجنون الذي قيل أنه كذلك.
فإنبهر الكل،وراحوا يتهامسون لبعضهم " انه المجنون الذي يلقي الأغاني في الليل ،وهو من يسرق الأغنام ايضا.." اوهه انه سارق أغنامي...
فقالت لاوفي: نعم إنه هو،ولكن ليس من سرق أغنامكمْ،وليس من يغني في لياليْ،فالذي يغني في الليالي هي هاتهِ...
إنها مسجلة موسيقى قديمة،وقد وجدتها لاوفي في منزل اللصين الحقيقين،فينساكي وسيناڒ،وهما أبناء القرية.فقالت لاوفي:
إن اللصان دائما ما كانا يستعملان هذا اللحن لنشغل به لوقتٍ يسمح لهما بسرقة أغنامنا،فيلفقان التهمة لمجنون الغابة لڤولس نفسهِ،فيبدوان كضحايا بدل مجرمين ،ففي كل سرقة لاحظت أن هذا اللحن يتقدم أولا تم تسرق الأغنامْ،وقد تتبعت مصدره فوجدته في كوخ أخوان فينساكي وسيناڒ،فقد رغبتُ في فضحهما مراراً وقد إنشغلت بقصة هذا المسكينْ فنسيت أمرهماَ،فاليوم أشكر ڤولس كولكسيز عن هذا المعروف الذي قدمه ليِ،بمنعه هاذين أحمقين من سرقة أغنامي.
فأمسك رجلان قويان من أهل القرية اللصانْ وعلقوهم مكان ڤولس ،فأنزلوه في هبة من نفسِهْ ووضعوه أمام هيردج،فرمقه قليلا تم قال: شكراً يا ڤولس ،وأسف على لومي لكَ،وشكراً لأنك موجود بيننا !
رد ڤولس متسائلا: لما الشكر الأخير؟
رد الأب هيردج : إنك مجنون الغابة،وكثير من قطاع الطرق يتخوفون من قريتنا التي توجد داخل تلك الغابة ،فقد أرعبت بوجودك كل الحمقى الذين يريدون سرقة أغنامنا،فهل لك طلب مناَ،لنحققه لكَ؟
د ڤولس بشيء من الخجل : أريد شيئا واحداً....فتردد لقوله...
هيردج: ما هو يا بني فلتقل ،لا تحرجْ مني فأنا كوالدكْ..
رد ڤولس: أوه حسنا...أريد أن أتزوج إبنتك لاوفي.
فإنصدم الأب هيردج لما سمعهُ،وإنبهر الكل لما وقع من صيت في أدانهم.فقال الاب :

هل سمعتُ جيداً،أن أني اتخيل؟ اتريد الزواج من إبنتي الأرملة لاوفي؟
رد ڤولس : نعم أريد،فقد عالجت جراح قلبي قبل أن تعالج جراح جسدي..
فنط رجل من بين الحشد يقول:
إن الزواج بأرملة محرم لدينا ،فالتي يموت زوجها تظل تقاسي حتى تموت هي أيضاً ،إنه الوفاءُ يا بني .
فقال الاب هيردج: سأخبرك بالحقيقة يا بني لكي تعلم لماذا نحرم زواج الأرامل...في يوم كهذا مات رجل إحدى نساء قريتنا فزوجناها لرجل من قرية أخرى فعم القرية نبأ غريب أنها قتلته وقتلت نفسها بجانبه ،بسبب لعنة الأراملْ.ومن تم لم يتجرأ أحد على الزواج بأرملة وكل أرملة تنهي حياتها بعد أن يموت زوجها.
إن المخاوف التي تزرعها العاداتْ،توقضها الخرافاتْ.
فحزن ڤولس وقال : وعدتني بفعل ما أطلبه ،لربما الوفاء بالوعود ليس من خصال أهل هذه القرية..
فقال اب هيردج: إني أوفي بوعدي،وسأوفي به،مهما كان الثمن،ولكن مسؤولية لن أتحملها بل أنت من سيتحملها..
فخجلت لاوفي وفرتْ مسرعة الى الاسطبل .
فقال أب هيردج: لماذا ستتزوجها،هل تتزوجها لجسدها الجميل ،الذي تريد أن تفرغ فيه كل شقاءكِ؟
أم أنك تحتاج لحضن دافئ يقيك من قساوة البردْ الذي يعم خارجاً..
رد ڤولس : الحبْ،إنها الزهرة التي أشعلت كل فراشة في داخلي فجعلتها ترقص بهجة وشوقاً،فهي المشعل الذي ضوى قارتي التي أخمدها الكثيرينْ..
إنها أفضل من وثقت أنها تصلح لحياتي،فقد أحسست اليوم أنني وجدتُ من يعلي بي،ويتحمل شقائي وأُلفَتي.وإن قلت أنها :
ليست فتاة بل إنها آلهة الحبْ ذاتها،التي تترك في كل روح ذرة ما من البهجة لتكبر فتنمو ليولد الحب من أعماقها .
فقال أب هيردج: حسنا ،سأختبرك،وإن نجحت فيه سأزوجك لإبنتي لاوفي.
فهناك إختباراننْ،الأول لزعماء والآخر للعبيدْ،فلك أن تختار أحدهما لأدلك على مصيركْ...
فقال ڤولس بكل جرأة: أختارالأول... إختبار الزعماءْ

فَنَطَّتْ لاوفي تقول مترددة: ولكن يا أبي.....
رد الأب هيردج: أتممت الإختيارْ،فالإختبار الزعماء أقسى من الآخر،فالوقت لازال لديك لتغير رأيكْ..فإختبار الزعماء يجعلك واحداً مناَ،عضو في أسرتنا الكبيرة،ولكن إختبار العبيد هو فقط لتتزوج واحدة منا ليس إلاَ..
فڤولس لم يرضى بإختبار العبيد لأنه كان يبحث عن إنتماءِ،عن أسرة تحتضن هذا اليتيم الذي تخلو عنه وهو طفل صغيرْ،عن طفل الصندوق هذا الذي قاسى مرارة اللإنتماء،فكم هو صعب العيش كلامنتمي مع أنك تنتمي...
رد ڤولس :أن عازم على إختياري ،فسلالتي لا تستحق سوى هضبة الزعماءْ.فهاتو الإختباراتْ..
فقال هيردج: أولا سنختبرك هل أنت بصحة عقلية جيذة ،أم أنك مجنون كما أخبرونا..ومن تم تجتاز إختباراتْ..
فجاءو لڤولس كولكسيز بقطعة من الحديد وقالو له : إصنع لنا شيئا يفيدنا في شيء من هاته القطعة..
فضاع ڤولس في سبيل إجابة،حيت أنهم قدمو له قطعة من الحديد،وأرادو منه صنع شيء بها...فقال ڤولس :
أبدا لا أستطيعْ،فهاته القطعة لا تصلح لشيء وإن صلحت فإنها قد تكون عصى يتعكز عليها شيوخكم،أو معدنٍ يمكننا تدويبهُ وصنع منه شكل فنيِ،فأمسكه ڤولس وأشعل النار وتركه فيها لساعتين حتى يعود في مقدوره تَنْـيهُ،وبعد أن خلص وإنبثقت فكرة المجسم الذي يريد صناعته بهِ،في عقله الصغير ،راح يتلاعب بالأشكال ،فيلويه مرة ويمده مرتين...وبعذما إنتهى تفاجأ الكل بالشكلِ الغريب ،حتى ڤولس تفاجأ به وإنذهش لما صنعت يداهُ،حينئذ تأكد أهل القرية أن بينهم فناناً كان مدسوساً وراء لقب المجنونْ،فروحه المقهورة تولد فيها إبداعْ،فالأرواح التي تشقى طويلا تكون ميالة للفنْ،بل هي المبدعة ذاتها،فالمستخيل أن تبدع الأروح الماتعة ،لأن متعتها وجدتها أمامها، غير أن النفوس المحرومة تنجب من أعماقها كل البدعْ لتجذ عظمتها ومتاعها.
فتأكد أصحاب القرية أن ڤولس ليس مجنوناً،فقدمو له الطعام وأجلسوه بينهم لوقت يحين فيه إختبار .فقال هيردج:

لقد أَبَنْتَ عن موهبتكَ وصدمت شيوخنا وأطفالناَ،ولو كان بمقدوري قول شيء،لزوَّجْتُك فوراً لإبنتي ،غير أن العادات ينبغي أن تستمرْ،ويتقبلكَ أهل القرية كفرد منهم لا كزائر.
وبعذ أن غادر هيردج تاركا ڤولس ينعم بالراحة قليلا قبل أن ينقتل للإختبارين النهائيين جاءه رجل عجوز يمسكه من يده اليسرى يقول له:
ماشاء الله عليك يا بني،أنتَ قويٌّ فنانْ،يبدو أن أباك كان حداداً!
فرد ڤولس: أنا يتيم يا عمْ.
فقال العجوز: اوهْ....حسنا،فالذي يراك تعمل يقول أنك تملك خبرة الحداد في صناعة الحديْ،لربما تصلح لكل شيء ولا تصلح لشيء واحدْ..
فتذكر ڤولس قولا لايزال محفوراً في عقله،لكن صاحبه مجهول:
أن بيوڤان أفضل من يقوم بكل أعمال،ولكن بيير نفسهُ لا مكان له في هذا المجتمعْ ماذام لا يصلح لشيءْ....
تم قال ڤولس : سمعتُ أحدهم يخبر أحد،أن أحد الأشخاص يعمل كثيراً وهو أفضل في كل شيءْ ويصلح لكل شيء،وهناك شخص آخر لا يصلح لشيء هو عالة على المجتمع.
ولكن ڤولس كانت يتذكر هذا القول لما كان صغيراً فلم يدرك أن بيير هو نفسه،وأن ابواه هما من قالا بعجزه عن فعل أيِّ شيء عكس أخيه بيوڤانْ.
فأكثر الناس اليوم يقفون على رأس القمة،ينبحون من أعلاها لأسفلهاَ،ماطلين أعناقهم الطويلة،نافتين سمومهم لإحباط كلَّ من يحاول تسلق القمةِ،إنهم المحبطون الذين ماتو قهراً من العيش في المستنقع ،فأرادو نقل بؤسهم لجيل آخر فيدسون لهم في الطرقاتِ عقباتٍ وينشرون بؤسهم وسمومهم التي تنبع من نواياهم القبيحة في كل سلة طعام فيقدمونها كتعزية للأرواح الساذجة.
فلا تظن أن الناس سيقدمون افضل ما يجيذونه لكْ،فينسوْ أنفسهمْ،فأغلبهم يدس في قبعتهِ أفعى عظيمة لا تترك الفرصة لحيوانِ آخر بإكمال المهمة،إنها تَقْتُلُ بمهلٍ ذون أن تعلم أنك تحتضرْ،فلا تقربن الناس فتظنهم سواءْ،فالصالح والطالح ،والجميل والقبيح ،كلهم في سلة واحدةْ،والعاقل فينا من يجيذ إختيار أفضل.فكل ما يقع من مشاكل هو سوء إختيارْ،والحظ بريئ منا..
فقال الرجل العجوز وهو يتمتم لڤولس: إن لاوفي ليست فتاةً الي تظن أنها هيَ،ولستَ أقل منها شأناً،فإختر فتاة عزباء أخرى تليق بكْ،وبشأنك العظيمْ...

فرد ڤولس قائلا: لم أفهم؟ كيف تظنها أنت يا جدي؟
رد العجوز: إنها فتاة لا تصلح لزواج إنها كتلك الفاكهة المسمومة الذي يموت من يتذوقها..إن حريتها المنقبضة اليوم كانت البارحة دائعة..
إنها مكبُّ النفاياتْ،بلغة الواقعْ،إنها لا تصلح لتنجب أطفالاً،فالعاهرة أبداً لن تكون أما صالحة في المستقبل،داك المستقيل الذي نريده للرجال العظماءْ،سينجب لنا أشباه الرجال،أولائك المتمثلون بإناثهمْ،ومن يقدس أنثاه فيعود لها كلباً يتبع ذيلهُ،وكلاهما يولدان من بطن عاهرةٍ إستوفت مئتي رجل قبل أن توقع أحمقاً في شباكها. فلا تكُنْ أنتَ ذاك الأحمق..
فرد ڤولس متفاجئا: أتخبرني أن لاوفي تعاشر الرجال ؟
العجوز: نعم أخبركْ،أتظن أنها فعلا ترعى الأغنام وحدها في داك الجبل؟بل إنها ترعى الرجال أيضاً،فمراراً كنا نجذها ملقاتً في حقل ما هي وعشيقهاُ يقبلان بعضهما كالفئران البالية،وفي كل شهر تغير العشيقْ...فقد أردنا يوما طردها ولكن أباها هيردج منعنا،مادامت القرية صنعت بفضله،وهو من أنبل السلالات عل أرض .
لقد زعزع ڤولس كولكسيز للمرة ألف ولكنه يظنها المرة أولى،وقد كاد يصدق العجوز،ولكنه كف عن ذلك عندما قال له العجوز:
لو أردت الزواج فعلا،فلدي فتاةٌ عزباء في عشرينيات من عمرها،جميلة وظريفة،خلوقة ويافعة،أزوجها لك دون أي شروط..
فأيقن ڤولس أنه هناك أمرا مريباً بخصوصهِ،فقبل الزواج بإبنتهِ،وقال ڤولس أحضرها الآن الى هنا لأراها وإن أعجبتني أتزوجها فوراً...فقبل العجوز وراح بفرحته مسرعا لإحضارها ،فناذى ڤولس للاوفي ،وأخبرها بكل شيءْ،فقد كان على ثقة أن قلبه اليوم لم يخطئ في التصويب،وقد أراد التأكد من أمر أن ذاك العجوز لم يكن يتحدث سوى عن إبنتهِ ،فأحضرها وسط المجمع ملفوفة في خمار يسد ثغرة هواء قد تتنفسهُ،فوضعها بعيدا عنه وجاء ڤولس يخبره بأنه موجودة هناكْ،فوقف ڤولس وتقدم نحوها،ثم طلب منها أن تنزع القماش عن وجهها،ولكنها رفضتْ،فقال ڤولس للعجوز:
إن أردتني أن أتزوجها فيجب ان أرى وجهها أولا !
فإرتعب العجوز لقولهِ،فضحك بسخرية خفيفة تم قال:
ستراها في البيت،لماذا تزعج نفسك الآن بإظهارها للناس جميعاً...

رد ڤولس متذاكيا: أريد أن أراها الآن،كي أتأكد من أنها فعلا كما قلتَ لي..
فقبلت الفتاة إزالة الغطاءْ،وعندما أظهرت وجهها،بدت جميلة بيضاء اللون متوسطة القامة،عيناها كبيرتان،وأنفها الصغير مختبئ بين جفونها الحمراء الكبيرةْ،فقالتْ: هل رأيتني الآن ؟ كيف وجدتي هل أصلح لك يا سيدي ؟
رد ڤولس بشيء من إرتباكْ : تصلحينْ،....نعم تصلحينْ...
وبعد أن تأكد ڤولس أن لا أمر مريبٌ في العجوزْ،إلتفت عائدا الى مرقضهِ،والفتاة وأبوها لا يزالان واقفين أمامهُ،كسلطان لم يقرر بعد العقاب الذي سينزل على المتهم أمامهُ،وفجأة صرخ أحد الرجال العجائز :
من ذا الذي أحضر هاته الفتاة إلى هنا! إن مكانها هو مستنقع الفاسدينِ،حيت تقبع كل الخنازير....
فتبين أن تلك الفتاة الجميلة هي نفسها المنحرفة التي كان والدها يستمتع في وصفها وإسقاط كل أوصافها على لاوفي..
إن المرء دائما ما يحاول إنتزاع أوصاف الجميلة،فينسب القبيحة للناسْ،ولو كانت فيه لما توانا في إكسابها عبقاً يرضيهِ،فيلقيها على الناس كأنها لا تعنيهِ أبداً.
وفجأة صاح أحد من الحشد قائلا: اوه...ماذا تفعل تلك الفتاة هنا؟ أليس مكانها هو المستنفع الذي جاءت منه؟
فقال هيردج : لمَ جئتي يا فتاةْ؟ إنك تفسدين كل إحتفال تأتين إليهِ،لدى كان من الأفضل ألا نراكِ قطْ،فرؤية اللعنات كمن يصاب بها..
فقال العجوز: ما ذنب إبنتي؟ لقد ضُحِكَ عليها،أليس من حقها وحقي أن نشارك في إحتفال بتسمية الغريبْ؟
رد هيردج: لا ليس لكم حق لدينا...لقد إنتهت قصتكم عندما بانت حقيقة إبنتكْ،فلو تغاضينا عن أمرها لإنتشر سمها في أنحاء القرية لتجذ كل منحرفة تسكن بيتاً،فتأسر شرفاً وتحط قدراً.
رد العجوز: لقدكانت غلطة كل إنسان يخطئ،لماذا تريدون سلبي من إنسانيتي! أهذه هي أخلاق المجمع ونبالتكم التي تفتخرون بكونكم إياها؟
رد ڤولس: إن الخطأ الذي يتكرر مراراً،لا عُذْرَ لهُ،فالإنسان هو من يتعافى من أخطاءه،والأحمق من ينساها ليفعل آخرى ذون وعيِ.
الخطيئة لدى أي فتاة ليس أن شرفها قد ضاع على أيدي الذئاب،بل أنها لتزال تستمر في وهبه لهمْ.

فالحياة التي تنجب هاته الأعشاب القاتلة،لا تصلح كأدوية بل كعشب مسموم يودي بمن أراد الشفاء بهْ. إنها حقاً سلالة يصعب عليها التخلي عن قذارتها وعن مستنقعها العزيزْ،فلا هي قادرة على البقاء مصونةً،ولا حتى على إنباتِ شتائل تصلح لكل زمانْ،فدائما ما يولد المنحرف من قلب عاهرةْ...

فإبتسم هيردج قد أعجبه قول ڤولس كولكسيز ،فقال ڤولس:

إن ما يحيرني الآن هو سبب الذي من أجله غذوت فريسة سهلة لهذا العجوز المخاذع؟ هيا قل لنا لماذا أردت مني ترك لاوفي والزواج بإبنتكَ؟

فرد العجوز : ليس أمر كما يبدو..ولكنني أردتك أن تتزوج إبنتي فتحررها من العارْ،أردتها أن تصبح إمرأة يعتمد عليهاَ،تصلح لشيء في هذا العالمْ!

رد ڤولس :لا أظنك كنت تقصد كل هذا،فوراء الكلمات نوايا سيئة تتراكض للاستلاء على العرش ،فقل لنا الحقيقة ،فطبعا لزلت تحاول خداعنا...

فرد العجوز: إنك شاب حادق يا هذاا،فالكل يراك بريئا وفي أعماقك أشباح من الشياطين تتآمر لمن يحكمك أولا..

فالحقيقة أنني أردتُ أن أتخلص من إبنتي لأتفرغ لنفسيِ،فكم تعلمون لا يمكن لرجل أن يتزوج وإبنته على وشك الزواج،فقد كنت عازما على تخليصها من شؤمها ولكنك أنت ايها الوغد كشفت كل أسرارنا..فلو تزَوَّجَت لتزوَّجْتُ أنا أيضاً..وكنت لأكون مكانك الآن بجانب لاوفي الجميلة.

فمن عادات القبيلة أن تزوج إبنتها الأرملة من عجوز على حد الكفافْ،لكي يسترها ويستمر في العيش معها إلى أن يموتْ،فلن يموت إلا بإنتهاء أجلهِ،ولعنة الأرامل لن تجذ تغرة تمسكه منهاَ..فدائما لعنة الأرامل تقصد الشباب وليس العجائز،إنها تجذ فيهم حماسة مفرطة وبهجة في إرتطام بالواقعِ وبالحياة الزوجية.

فقفز ڤولس من شدة الغضب محاولا لَكْمَ العجوز لما قاله عن لاوفي،لقد شحن بأقوى المشاعر تجاهها لدرجة يمتنع عن سماع ما يقرب مساوءها،إنهاغيرة قاتلة تلك التي تودي بأي شخص نحو من يحبْ.

فقليل هم الذين يتفهمون هاته الغيرة بأنها أقصى درجات الحبْ،وهي أفضل ما أنجبه العشق،وكثير هم أولائك الذين يرونها كمرضْ،محاولة لإبعاد كل الشوائب الصالحة عن نارٍ تحب كل الشوائب.

إنه الحب يا عمْ...إنه الحبْ..إنه حيت تقام كل الجنائز،تلك المقابر الفارغة من كل أحدْ،إنها تطالب الأجساد بالرضوخ للاشيء ،لشعور بالخوف ورعب من عمق الهذيان،إنه هروب من الوحدة حيت ترسو كل المقامات المكسورة، وكل الاروح التي إتسمت بالثعب والعناءِ، إنها حيت نبذل أنفسنا،ونحن لا نملك سواهاَ،فكيف لا وإنسان لا يملك غير نفسهِ،فأليس من الجذير بنا أن نتوقف عن بذل الكثير لأرواح لا تهتم بالقليلْ،إنها ولو جئتها بما لم يكن في الحسبانِ،لمدت يدها تسعى لتنال المزيدْ،إن الذي لا يشبعه القليل أبداً لن يكفيه الكثير،سيبقى جائعا طوال الوقت،فلا يجذ من يسكت رمق سكيرْه،فليس على المرئ بذل الغيرة لأناس إعتادتْ ملاطفة الجميع،فالغيرة لديها سمٌّ يقتُلُ كل محاولة لتطليف الجوْ،فالغيرة ليست مرضاً بل هي أكثر الأعراضِ قساوةً،حيت يبذل المرءُ شيئا من عنذه ليخبرك أنك كل شيء في حياته ولكن بطريقة تشعرك أنها غيرة،وأنه أبداً لا يحب مشاركتك مع أحدْ،فالذي يبذلها قليلونْ،ولا يوجد في هذا العالم من يقبلها كحبْ،فأغلب الناس يرونها كمصدر لطرد الأصدقاءْ،وأولائك المعجبينْ،فليس أمر بعيداً عن من يفضل أن يلاطف الكل،ويعاشرهمْ،فقد تأتيه الغيرة من شخص لا يتوقعهُ،فيبدو له كمن سرقت منه جبنتهُ ،إنها أسوء الأرواح التي تمر في كل زمان،هاته التي ترغب في آلاف الأصدقاءْ،إنها لا تصلح لشيء غير هذاَ،لأنها فقط تحاول نيل الفخر بتملقهم الغريبْ،وكسب تقديرهم،كأنها تنتظر من يخبرها بأنها مقبولة إجتماعياً،وهي الشخص الذي عاشر ألف رجلْ.. فاليوم لم يتبقى لتلك البطون السيئة ما تنجبه من سوء،فقد إنتهت وخلصت الى نيلٍ من هذا العالم بولادة سلالات غريبة لا تمد للإنسانية بصلةْ،كتلك التي تركض وراء ديلها..والأخرى المتمسكة بوجهها،وجسدها الفاني القبيحْ،ولا واحد رأيناه اليوم يترك رأسه فيرتكن الى عقلهِ..

وفجأة أمسكه هيردج يقول: إن فخر الرجال هو شرفهم وغيرتهمْ،فإن فقذو واحدة منهما ضاعت الأخرى.فالغيرة تصون الشرفْ،وحسن الشرف دليل على نقاء الغيرةْ.

فلو كان اليوم الناس يغيرون عن بعضهم لما رأيت إحداهن ماطلة جسذها الغريب وسط الشارغ،ولما رأيت طفلا منحرفاً قد ولد من خطيئة أبواهْ،ولا حتى فتاةً تقف بمحادات شابٍ غير أخاهاَ...فالغيرة التي لا تقام على الأرواح،أبدًالا يمكن لأرواح بذونها أن تعيشْ بل أن تصبوالى الأعالي،فأكتر المنحطين

اليومْ،تركوها وصعدو الجبل حيت ترقظ المتع البائسة،فاليوم نرى أجساد عراتْ،والإخوة بلاءْ،نرى الأهل لامبالين بإبنتهمْ،بإسم الحداثة والتحضرْ،وغير هذاَ،فالقرى كما يقولون متوحشونْ،فيصفونهم بالبدائي وشيء من أوصاف الحقيرة التي لا تمد لوجودهم بصلةْ،غير أن هؤلاء المتوحشون هم أفضل من يحفظ شرف بناتهم وأطفالهمْ،وهم أحسن من يبذل الغيرة على الوطنْ،وعلى كل ما يبذو لهم ذا ثمنْ،ليس كالحضر الذين فقذو إحساس بالشرف وتناولهم الثرفْ،فعادو يتاجرون بالشرفْ ولو على حساب بناتهمْ،فليسو أقل ما يفعله الحيوانات اليومْ،إنهم أفضع من كسرو حيل الشرفْ،عندما سمحو لبناتهم باختلاط مع الرجال فيصفون أنفسهم بالمتطورينْ،نعم سلالة من ذوي اصول الفاخرة التي تَهبِ بناتها للغرباءْ،فينتزعون شرفهن ويتركونهن في بؤسهن ...تم يسألون (لماذا قل الزواج في المدنْ ؟)،فالغيرة لا توجد سوى في القرى وفي المدينة منعذمة تماماً،فقد تجذ الذئب مع النعجة وأبو النعجة جالس بينهما يفتخر بما يكونه .

فالخبيث في كل هذا أنه أبداً لم يعد للإنسان مكان يلجأ إليهْ،فحتى الزواج الذي يبدو كطموح فئة غريبة من الشتائل المثعبة،لم يعدْ يرضيهمٍ مادامو قد رأو أن جل من يودون معاشرتهم لا يصلحون لشيء غير آبهين بشرفهن،وعرضهن.. فنحن لم نأخد من الحداثة إلا المظهر ونسينا ما يتمخض داخلها من تطور فكريِ يتجاوز الأجساد في كل إمتداد"

فلا تتزوج إلا من مالت نفسك إليهاَ،فالزواج اليوم فخٌ يُستدرج إليه الحمقى،ليخفو بؤس الزمان الذي إنْتزَع مِن الفتاة شرفهاَ ..

فغاذر أب مع إبنتهِ،في أسوء حالة قد يتعرض لها إنسان،وواصلو الحفلة بتتويج الملك ڤولس كولكسيز الذي ليزال مبتدئا،ينتظر الإختبارات بفارغ الصبرْ،فقد كان ڤولس حساسا للغايةْ،رغم ما بذله للعجوز فإنه يشعر بالذنب لما وقع بسببهِ،فجاءته الجميلة لاوفي ،ثم قبلتهُ بسرعة على خده وغاذرت مسرعة تركض نحو الإسطبل وڤولس متفاجئ قد إنصدم من هذا الفعل الغريبْ،إنه لأول مرة يحس أن أحداً يفهمه ،فحمرت جفونه،وراح الكل يسخر منهُ،يقولون " لقد سقطت التفاحة على قلب نيوتن وليس على رأسه" .

وفي تلك اللحظة جاء هيرذج حاملا ورقتين يقول :لقد إجتزت إختبار الأول ،وهوالمتعلق بالوفاء،فجاء معه العجوز وإبنته الفتاة الجميلة،فقد كان مجرد

إختبار وقد نجح فيه ڤولس بكل براعةْ،ولو أن ڤولس لوحده لما تنبأ أحد بما قد يفعلْ...
مختبرين درجة وفاءه،فالمرءُ لا شيء ذون وفاءْ.
والإختبار التاني كان تسلق جرف صخري محملا بكيس من البطاطة،ففرح ڤولس مادام هو كيس واحدْ،فعندما وصل الى الجرف خافْ،وإرتعشت قدماَهُ،لأنه نفس الجرف الذي ألقى نفسه منه..فجاءتهم لاوفي تطالبهم بتغيير إختبار،وبأن هذا الجرف الخطر لا يصلح للإختبار،وبعد مناوشات كتيرة،غيروهُ بدل أن يتسلق ڤولس الجرف عليهِ أن يأخد كيساً من اللحم من وسط وادِي الذي تسكنه الحياة والطيور الجارحة..فيوصله الى بائع اللحوم في جهة المقابلة من القرية..ففبل ڤولس ولكن لاوفي بدت خائفة عليهِ،لكونها تعلم مخاطر الواديِ وأصحابهِ.
فذاكرته المشوشة لم تترك في بطنها سوى منظر السقوط من الجرف وآخر لصنـذوق مغلق تعمه العثمة...
وعنذ الظهر تماماً،عزم ڤولس على التحركْ،وقد كانت كل الطيورالجارحة جائعة تنظره ليصلْ،مع كيس من الطعامْ،الذي تأتي به كل عام ضحية ،فقد ألفو هذا اليوم إنه إحتفال يأكلون فيه الكثيرْ،إنه حيث يقام العيدْ،فتأتي الطريدة بالطعام،لتمر من أمام مفترسها الجوعاَنْ.وعنذما وصل ڤولس لم يجذ أحداً وظل يسير في داك الوادي الضيق لوقت شعر فيه بأن جلده يقشعر،إنه خطر غير إرادي قد تنبأت به النفسْ،وفجأة غار عليه الطيور الجارحة من كل إتجاه تسرق من الكيس ما فيه،لكن ڤولس كان ذكيا متحادقَّاً ،فقد وضع اللحم أسفل الكيس ووضع أوراق الخيزران فوقهُ فَلف اللحوم بأوراق ،فلم تستطع الطيور الجارحة شم رائحته ولا حتى الأفاعي التي تسكن داك الواديِ.فإستمر بالمسير،والطيور الجارحة تسقط عليه كالحجر فتنخر عظامهُ وتسقط شعرهُ،فأسرع في الركض لوقت وجد نفسه خارج الوادي مثعباً ،مهدود الجسدْ،فجلس ليستريح وفجأة سمع صوتا من خلف الصخور يقول :
لقد نجى الوغد من الطيور الجارحة! كيف فعل ذلكْ؟ هيا نخبر هيردج بما فعلهُ،لربما يجذ حلا جيذا لقتلهُ ذون أم تحزن لاوفي....
وعنذما سمع ڤولس ما حاكوه له من مؤامرة أوصل الكيس لصاحبه،وعاد أذراجه الى القريةْ،ففرح الكل لنجاته ونجاحهِ،ولكنه لم يفرح لانه سمع مكيدة التي تحاك

لهُ ،وأكثر من فرح هي الجميلة لاوفي التي تراه كقلبٍ مملوء بالعطف رغم ما يبدو عليه من القسوة.
وقد تركوه لوحده ليستريح من المهمة في إنتظار إستعداد للمهمة التانية،فجاءته لاوفي تبتسم لهُ،ويبتسم لها...تم شعر بالحزن وسرعان ما تغيرت ملامحه،فجلستْ تحادثه،فأخبرها بما سمعْ،فقالت لهْ:
أحقا ما تقول! هذا يبرر لما زوجي قتلْ! فقد أخبروني أن الطيور الجارحة كانت ثملة فهجمت عليه ونخرت عظامه وتناولته على العشاءْ.
فقال ڤولس: هيا لنهربْ،ولنعيش سويا في مكان غير هذا!
رد لاوفي: واي مكان يصلح لنا غير هذا !
رد ڤولس :أي مكانٍ،ولكن غير هذاً..
فأمسك يدها يجرها وهي مترددة في الهروبْ،فلاحظ هيردج هربهما وأمر بعض أصحابه بالإتباعهماْ،وقد إقتربو منهما فلم يبقى سوى القليل ليروهم،فنطت لاوفي في برميل للمياهِ يوجد بالقرب من إحدى المنازل المهجورةْ،وقد أضطر ڤولس هو أيضا لدخولهُ..ولكنه كان يعاني ضيقا في التنفس ورعبا لا يتصوره لما زُرِعَ فيه من تخوف عندما كان صغيراً،حينما كان والداه يسجنانه ذاخل صندوقْ،فإقترب الناس يبحثون عنهما ،وهما مختبئان في برميل للمياهْ،ولو أن المياه لم تكن ساخنة لأصيبو بنزلة برد تبين عن وجودهم بنفخة من أنوفهم الصغيرةْ،وفجأة صرخ ڤولس بشيء من الذعر فلم يستطع البقاء طويلا داخل داك البرميلْ،فأسمكو بهما وأخدوهما للمجمعْ،حيت الكل كان ينتظرْفأمسكه هيردج قائلا:
لم أصدق أنك خائن،فاردت سرقة إبنتي! بعذما أوهمتنا أنك وفِـيٌّ حقاً..
رد ڤولس بجرأة: أتريد مني أن انتظر لتقتلوني...هل هذا الوفاء في نظرك يا عمْ،إن الوفاء لا يهم عند الضرورة وخصوصا عندما يتعلق الأمر بإنتزاع الحياة.
رد هيردج : من يحاول قتلك؟ لقد جننت !
ڤولس : لقد سمعت هادين الأحمقين يتناوشان حول مآمرة لقتلي..تم أشار الى رجلين ..
فقال هيدرج : ماذا قال بالضبط؟

ڤولس:قالا (لقد نجى الوغد من الطيور الجارحة! كيف فعل ذلكْ؟ هيا نخبر هيردج بما فعلهُ،لربما يجذ حلا جيذا لقتله ذون أن تحزن لاوفي....)
رد هيدرج بخاطب الأحمقين : أليس عليكما أن تتحدثا في صمت أيها الغبيينْ،هاقد حاولت الفريسة الهرب ،فلو أنهما لم يخطئا لفرو منا...
فإبتعد ڤولس خطوتين يقول: إذن معهما حق كنت تحاول قتلي...
فإبتسم هيردج في سخرية وخبث عارم يقول:
نعم حاولتُ،إنه هو إختبارْ،لقد كانت مزحة وقد مات من وقع فيها،ومن نجى من الطيور نجى من العقاب.
إنها مزحة هذه القبيلة،فدائما ما كنا نلعب مثل هكدا ألعابْ لنشعر بعضنا بأننا مهمون لدى بعضناَ،فقد كنا نرسل أحدهم الى الواديِ،ونبعث شخصين وراءه يسمعانه كل ما نريدْ،فيعود منهاَراً يائساً محملا بالغضب للنيل مناَ،فيرتاح عندما نقول له الحقيقة..فهل إرتحت يا ڤولس كلكسيز.؟
ڤولس: لا ليس بعد، فأنا لم أعد أصدق أحداً،فقد تكون خدعة تانية تحاكى لي من قبلكمْ. ايها الكوميديون
إبتسمت لاوفي تقول: إنها مزحة تقام كل عامْ!
ڤولس: هل كنت تعلمين الحقيقة؟
لاوفي: طبعا،كنت أعلمْ ،هل كنت تظن أن فرارنا كان منطقياً..فحتى ولو كنت أحبك فلن أترك قبيلتي وأهرب دون أن أسمع الخبر منهم.
ابتسم ڤولس وقال: يا لك من فتاةْ،لم تهزمني الطيور الجارحة ول الحياتْ المسمومة ولكني هزمت على يد فتاةْ.
فقال هيردج: لقد إجتزت كل الإختباراتْ،وقد أصبحت من اليوم فرداً من عائلتيِ ولس فقط زوج إبنتيِ.
فعانق هيردج ڤولس ولاوفيِ،وقد تقرر زواجهما بناءا على عادات القبيلة،فبنى ڤولس كوخا بجانب أكواخ الأخرى وصار مزارعاً يعتمد عليهِ،ولكنه نفس الوقتْ كانت ذاكرته تنذر بالنجاة من النسيانْ،فقد أصبح يفقذ الوعي في كل الاوقاتْ،لذرجة أن لاوفي تظل طوال الوقت تضع له قماشا مبلولا بالماء تظنها حمة الصيفْ،فجاء هيرذج يطمئن على حاله ذات يومْ،فأخبرته إبنتهُ أن ڤولس ليزال كما هو مريضاً يتألم على إثر صداع في رأسهْ وطلبت منه علاجه لما في يديه من بركةْ،وما يجيذه من إستعمال أعشاب كذواءْ،فأمسك هيرذج يتفحص

رأس ڤولس فلم يجذ شيئاً،فقد كان يساير ڤولس فيخبره بمكان ألم لوقت وجده فيهْ،فتذكر أنه كان موصوم بورم تم قال ڤولس لهيردج : لقد أصبت بورم خبيث منذ زمن،لربما خلصنا الى النهاية معاً..
فأماط هيردج يديه على رأس ڤولس وبدأ يضغط عليه بقوة فيتألم ڤولس فيصرخ من الألم لذرجة جعلت لاوفي تتهرب من رؤيته في داك الوضعْ،فإبتسم هيرذج وقال :
الأمر لا يتعلق بالورمْ،بل بحجم ما تملكه في عقلكِ من افكار سوداءْ..فلليوم لم يعترض شيء طريقي في معالجة أمراضْ.
فقال ڤولس : ولكني كنت أفقذ الوعي،وقد قيل لي أنه ورم.
هيرذج: إني متيقن أنك تتوهمْ،ففقذان الوعيِ الذي تعيشه هو لقلة نومكَ،وما يحصل في روحك من تصارع بين نفسيتك القديمة وأخرى الجديدة.فحتى الخيباث وكثرة المآسي تذفع إنسان شيئا فشيئا لنسيانْ،وفقذان الوعي فجأة.
فإبتسم ڤولس من الفرح لأنه أيقن أن لا ورم في رأسه تم قال: لربما معك حقْ،لأني الى اليوم لم أتذكر ماضيِ،بقدر ما تذكرت البعض منهُ فقطْ..فلست أستطيع النوم لأني أفكرطويلا في ماضي الضائع.ولو أنه لم يكن بشعاً لتذكرته بسرعة ،لدى فأفضل لكلينا ألا نستعيد بعضنا.
وبعذ أن شفِي ڤولس من الحمى،وقف على حيله،ليكمل بناءَ منزله بمساعدة من الجيران ولكنهم تفاجأو في تصميم المنزل لكونه أخبرهم أنه يحتاج لأربعة نوافذ بدل إتنتين،لأنه يعاني رهاب أماكن الضيقة.ولأول مرة يسمعون بإسم هذا المرضْ .ثم تزوج ڤولس ولاوفيٍ،وعاشا في كوخ صغيرْ،بسعادة تكسو جوهما الجميل،ينتظرنان مولودهما الأولْ،يعيشان على رعي الأغنامْ،وحرث أرضِ وزراعتها...ففي ماضِ ترك ڤولس الزراعة وحياة المزارع وهو اليوم يعود إليها من جديدْ بشوق ولهفة في إستعادة الزمن الغابرْ،ولحظات الجميلة من ماضيه الغريبْ.
أفليس من البساطة أن يعيش المرءُ هكذا،ذون أن يتعالى وأن يطمع في أشياء تزيده بؤسا وشقاءاً..فالأشياء البسيطة تعاش بسعادة بينما المعقدة يرقض تحتها البؤس ،والطمع والخذلانْ.

... لا تنتظر شيئا من أحدْ،فإنتظار قد يطول،والقطار لن يجيئ محملا إلا بأشياء التي قد تجعلك تشقى طويلا،فإختصر على نفسك حفر الزمانْ،وغاذر حتى وإن لم تجذ المكانْ.

" إن الغريب أن كل من يجيذ النباح لا يجيذ الركض،وكل من يجيذ الركض لا يجيذ إفلاتْ،فحتى تعيش مع الحمقى عليك الفصل بينهما كي تستطيع إما الهرب وإما المواجهة.

كنتُ طفلا عندما دسست نفسي وأبَنْتُ عما أحبو أن أبِينَهُ،كان لديَّ صندوقُ،وكنتُ لدى ذاك الصندوقُ،كنا لبعضنا المآوى والمدفئ ،فهو كان المرقض وأنا كنتُ العتمة...

"ليس المهم أن نعثر عن من يستذرجنا نحو النورْ،ونحن ذاخل العتمة ،بل من ينحو بنا نحو السعادةْ فهناك يوجد النورْ،هناك يوجد مشعل إهتمامْ فحيثما يوجذ إهتمام توجد السعادة.."

" لا تشعلو أرواح المنطفئة وأنتم من أفقذها المشعل الذي كانت به تضوي،فأخطر هو أن يُـقَدِّم صانع السمْ،العلاج للمرضى،فقذ ينْسى ويناولهم السم نفسهُ...فأكثر من إنهَارو اليوم ،قد إنذثرو بفضل ذاكرتهمْ،فالمُخْمَذُ أبداً لا ينسى من أطفأه أول مرةْ."

" إياكم والأرواح المغذورة فحسها الرهيف ولبها الخفيفْ،سرعان ما يهيج فَيَملأ الوقت كآبةً،ليسو أسوء الناس ولا أفضلهمْ،فهم مع كل روح منطفئة قد أطفأها الحمقى،إنها أكثر من يعلم بعظمة الإحتراقْ،بجسد قوام هزيل واقفٌ على حيلْ،وروحٍ تشتعل صُراخاً على وشك أن تصير رمادْ"

فأوصيكم يا أعزتي ؛

لا تطفئو الأرواح،دعوها مشعلة فزمان كفيل بإطفاءها ،فلا تزيدو شقاءها شقاءينْ،يكفيها ما يحصل فيها...

لا تحرقو الأمةْ،فالأرواحُ هي المشاعل التي تضوي بهاَ،فإن إنطفأتْ شاع الركامُ والخرابْ...

دعوني أنبتُ فيكم العزَّ فَفاقذ العز يعيشْ،وإن عاش كأنهُ لا يعيشْ..

" لا تحطمو قلباً قد أحبكم يوماً،فالركام الذي فيه، أثقل كاهليهِ،فالشيء الذي أحْرِقَ وملأ يديهِ لن يعيد النور يوماً ،مهما كان المشعل قوياً ومهما بان للغصن الهش أنه قادر على إفصاح..."

" دعوكم مني،فالتكلم عن الأرواح التي تطبعت فيها الخيباث لا يعنيكم ولا قد يقربكمْ،فنحن زائلونْ،وأغبى من ولدو حتى الآن يظنون أنهم قد أطفأو مصباحاً بحرقه ذاخل تلك الذوات المحرومة التي تسعى لتنوير الأمةْ،ولكنهم لا يعلمون أنهم سيختنقون لا بنارها الموقدة وإنما بدخانها القاتل الذي جعلوه مسموماً ".
" لا يعيش إلا صاحب العزْ،ومن راح عزهِ،فليَتَّبِعْ مَـاعِـزهُ"
" ليس للمرء إلا أن يعلو،فالجميع من نَفس القاعِ،والناجي من يتخلص من مستنقعهِ،فيجلس على السفوح يستنشق هواءها العظيم منسحباً من الهواء الكئيب المريضْ،الذي يقهر كل روحْ.إن أعظم إنجازللإنسان هو التخلص من قذارته الروحية،بل قهر الكآبة والحزنِ معًا،فهذا الذي أقول أنه إنسان لا يخاف من ألمه ولا شقاءه ،إنه عنيذ بائس،عظيم بشموخ كبرياءه، يقف أمام كآبته وجها لوجهٍ،صامدا عيناه الكبيرتان في وجهها القبيح،راغباً في تحطيم شموخها وقهر وجودهاً..فالإنسان القوي من يستطيع هزيمة كآبته بنفسهِ.
" إني أتبجح بشيء من العناذ الذي لا أملكهُ،بل أحتاط لنفسي فأرتدي لباس الأشباح الذي يخيف الحمقى،إن لدي فوبيا قاهرة من هاته الفصيلة المزعجة،فهي دائما ما تبحث فياَ عن الثغرة لتمسكني منها بذل أن تصلحهاَ،لدى فالجذير بي أن أتنحى عن وجوذها،فأمسك العزلة من ديلها لتدلني على نفسي وأدلها عن مكمنها..إني مذمن على الحَـذرْ،فإن لي روحا تطبعت فيها الثقوب فلا هي تحتاج للمزيدْ،ولا أنا أحتاج لمن يزيدني كآبةً،فالكثير من النفوس المنهارة لا تكون حذرة بل تكون أكثر سذاجة لدى تراها اليوم ماطلة أعناقها في الطرقاتِ تبحث عن موضوع يسكتُ ما تمر به من مآسي،إنها كالناقاتْ التي تدفع أعناقها نحو بئر فارغةٍ فلا تجذ سوى الهواء فتكتفي بالصراح فقط.
" حاول أن تنتزع من نفسك كل شقاءْ،فالكارثة اليوم أن كل سلالة تنجب من أعماقها من يصلحون لتذميرهاَ،إن أغلب الشتائل التي تولد هي شتائل مسمومة،تبدأ بتصفية الحساباتْ مع سلالتها لتعادي السلالات الأخرى.فيعم المرضْ.
" النجاة من الرأس لا يعني أنك نجوت تماماً،فالذيل حادٌ كالسيفْ وأصلب من الفولاذْ نفسهُ،وإن نجوت من الرأس فلن تنجو من الذيل.كالبشر تماما فإن سلمت من أفعالهم لن يدعوك أفواههم..

" أحبني ولو مرة،أغمرني بلطفك ،بحضنك الغريبْ،أشعرني أنني أستحق،هيا إفعل فالعالم أصبح غريباً عنيِ،لربما عدنا غرباء عن بعضنا ،فلا يهمْ،المهم أننا لا نملك حضنا نبيت فيهِ،عُشٌّ لطيور هاجرت الى الخوالي فلم تعثر سوى على الصحراء فتوسدت الرمال البارذة،الى أن ماتت متجمذة من القسوة ،ألسنا جيذين في أن نكون غرباءْ! نعم نحن غرباء عن أنفسنا..إسألني من أكون! لأجيبك ،لا أعرفْ."

يوسف **أسخيرة**